أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

حقّقه وقدّم له

الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء السادس

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ۱۳۷۹ ش ۲۰۰۰ م

أبو علي مسكويه الرازي
(۳۲۰-۴۲۱)

تجارب الأمم

حققه وقدم له
الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء السادس

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ۱۳۷۹ ش ۲۰۰۰ م

مسکویه، احمدبن محمد، ۳۲۰؟ - ۴۲۱ق.
تجارب الامم/ ابوعلی مسکویه الرازی؛ حققه و قدم له ابوالقاسم امامی.— طهران: دارسروش للطباعه والنشر، ۱۹۸۷ = ۱۴۰۷ق. = ۱۳۶۶-
ج.
هرجلد متفاوت ISBN 964-435-331-5 (7v. set)
-بها : ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)؛ بهای ISBN 964-435-327-7 (v. 4)
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
پشت جلد به‌انگلیسی: Miskawayh, Tajarib al-umam (experiences of nations).
عربی.
کتابنامه.
جلد چهارم (چاپ اول: ۱۳۷۶):
ج. ۶ (چاپ اول: ۱۳۷۸) ISBN 964-435-441-9
۱.اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۲.تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۳.ایران -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. الف.امامی، ابوالقاسم، ۱۳۱۳ - ، مصحح. ب.صدا و سیمای جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج.عنوان.
۹۰۹/۰۹۷۶۷۱ DS۳۵/۶۳/ الف۸ت۳۵۳
۱۳۶۶
کتابخانه‌ملی‌ایران ۹۳۴-۶۶م*



طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتح بناية جام‌جم، رقم ۲۲۸
مركز التوزيع: مجمع سروش الثقافی، المعاونية التجارية، رقم التليفون ۶۲۰۴۲۲۵۵

العنوان: تجارب الامم (المجلد السادس)

المؤلّف: ابوعلی مسكويه رازی

تحقيق: الدكتور ابوالقاسم امامی

تنضيد الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية

الطبعة الأولى: ۱۳۷۹ ش / ۱۴۲۱ ق / ۲۰۰۰ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع فی مطابع دار سروش للنشر.

شابک: ۹ - ۴۴۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (جلد ششم) ISBN: 964 - 435 - 441 - 9 (Vol. 6)

شابک: ۵ - ۳۳۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7 Vol. SET)



تجارب الأمم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحَمدُ للهِ العدل

حكاية عن بجكم تدلّ على دهاء وفكر

حكى أبو زكريّا يحيى بن سعيد السوسى قال: لمّا ترسّلت بين بجكم وبين ابن رائق أشرت على بجكم بأن لا يكاشف ابن رائق فسألنى عن السبب الذى من أجله أشرت عليه بذلك فقلت:

ـ «لأنّ بغداد في يده والخليفة معه والرئاسة ولأنّ الجيش معه كثير والأعمال والأموال في يده والمال في يدك قليل وعدّة من معك يسير.»

فقال لي:

ـ «أمّا كثرة رجاله فهم جوز فارغ قد خبرتُهم وعرفتُهم[1] وما أبالى كثروا أم قلّوا وكون الخليفة معه لا يضرّنى عند أصحابى. فأمّا ما توهّمته من قلّة المال معي فليس الأمر فيه كما ظننته وقد وفيت أصحابى استحقاقاتهم وما لأحد عليّ منهم مطالبة وفى صناديقى معى مال يستظهر به، فكم تظنّ مبلغه؟»

قلت: «لا أدرى.»

فقال: «على كلّ حال.»

---

١. خبرتهم وعرفتهم: كذا في مط. وفي الأصل غموض. والمثبت في مد: خرقتهم وسرفتهم.

فقلت: «مائة ألف درهم.»

فقال: «غفر الله لك معي خمسون ألف دينار لا أحتاج إليها.»

قال: فقلت له:

ـ «أنت أعلم وما تختار.»

قال: فلمّا هرب ابن رائق وملك بجكم قال لي يوماً:

ـ «أتذكر وقد قلت لك إنّ المال معي كثير وظننت أنّه [3] مائة ألف درهم فعرّفتك أنّه خمسون ألف دينار؟»

فقلت: «نعم.»

قال: «أفتدري كم كان بالحقيقة معي؟»

قلت: «لا.»

قال: «خمسين ألف درهم.»

قلت: «هذا يدلّ على أنك لم تثق بي ولم تصدُقني.»

قال: «لا ولكنّك صاحبي ورسولي فكرهت أن تعلم صحته في القلّة فيضعف قلبك وإذا ضعف قلبك ضعف كلامك فيطمع ذلك فيّ خصمي وأردت أن تمضي إليه بقلب قويّ فتخاطبه بما ينخب قلبه ويضعف نفسه.»

وفي هذه السنة تغلّب اللشكري[١] بن مردي على أذربيجان وهذا غير اللشكري الذي تقدّم خبره، وكان أوجه من ذاك وأكبر مرتبة وكان من أصحاب وشمكير وخليفته على أعمال الجبل. فجمع مالاً كثيراً ورجالاً وخلّف صاحبه وسار إلى أذربيجان ليستولي عليها. وكان بها يومئذ دَيْسَم بن إبراهيم فجمع دَيْسَم عسكراً كثيراً من الأكراد وأصناف أخر وأحرز سواده في بعض الجهات وأقبل إلى اللشكري فواقعه دفعتين في مدّة شهرين وانهزم

---

١. اللشكري: كذا في الأصل ومد. وما في مط: الشبكري (هنا وفي المواضع الآتية).

ديسم فيهما جميعاً.

واستولى اللشكرى على بلاده إلّا أردبيل فإنّ أهلها أجلاد ولهم بأس شديد وهم حملة سلاح ومدينتهم محصّنة بسور وهى قصبة أذربيجان ودار المملكة. فراسلهم [4] اللشكرى ورفق بهم ووعدهم الإحسان فأبوا عليه لما كان عندهم من أخبار الجيل ومعاملتهم أهل همذان وغيرها بأنواع الألم. فحاصرهم اللشكرى وطالت الحرب بينه وبينهم إلى أن تمكّن طائفة من أصحابه يوماً من السور فصعدوه ونقبوا أيضاً عدّة نقوب فيه وفتحوا الباب وتمكّنوا من الدخول وأدركهم الليل.

ذكر إضاعة حزم من اللشكرى بعد هذه الحال حتّى هرب وقُتل أكثر أصحابه

إنّ اللشكرى لمّا تمكّن من أردبيل سكنت نفسه إلى الظفر وأشفق أن ينتهب البلد وتذهب الأموال عن يده وعن أيدى أصحابها. فرأى أن ينصرف إلى معسكره وكان على ميل من البلد فيبيت ثمّ يصبح فيدخل المدينة نهاراً. فلمّا فعل ذلك بادر أهل المدينة إلى سدّ تلك الثلم وإحكامها وأغلقوا الأبواب وعاودوا الحرب، فتحيّر اللشكرى وعلم انّه فرط حين لم يدخل المدينة ليلاً أو يوكّل بالثلم من يحفظها. وأقبل قوّاده عليه يلومونه ويستعجزونه فلم يكن عنده إلّا الإعتراف بالخطأ.

وبادر أهل المدينة برسلهم إلى ديسم يعرّفونه الصورة ويشيرون عليه بالمبادرة فى يوم يعيّنه حتّى يخرجوا لمحاربته ويكبّ[1] [5] دَيْسَم من ورائه فتمّت لهم الحيلة وأقبل ديسم فى ذلك اليوم بجموع كثيرة من الصعاليك

---

١. فى مط: يكت، بدل «يكبّ».

والأكراد وخرج أهل المدينة بزيّ الديلم معهم التراس والزوبينات وهم نحو عشرة آلاف رجل فصافّهم الحرب وخرج دَيْسَم من ورائه فحمل عليهم فانهزم أقبح هزيمة وقُتل أصحابه مقتلة عظيمة وذهب نحو موقان محروباً مسلوباً ليس معه كراع ولا سلاح.

فخرج إليه اصفهبذ موقان ويُعرف بابن داولة[١] متلقياً فأضافه مع قوّاده فشكره اللشكري وسأله أن يقيم بضيافة أصحابه إلى أن يمضي هو إلى بلده ـ وكانت بينه وبينها مسيرة أربعة أيّام ـ فيستخرج ذخائره ويخرج معه ابنه وأخاه ويجمع الرجال فأجابه ابن داولة[٢]. ومضى اللشكرى مخفاً وعاد سريعاً ومعه ابنه وابن أخيه وألف رجل من أحداث الجيل مستظهرين بالسلاح والآلات، وعطف على أذربيجان طالباً دَيْسَم وساعده ابن دلوله الاصفهبذ فى أصحابه. فهرب دَيْسَم وعبر نهراً يقال له: الرس وماؤه شديد الجرية وأخذ المعابر إلى الجانب الذى حصل فيه. ونازله اللشكرى مقيماً بازائه مدّة لا يصل إليه فاجتمع إليه ابنه وابن أخيه وأحداث [6] الجيل وجميعهم سبّاح لأنّ بلادهم على شاطئ البحر وأعلموه أنّهم تتبّعوا هذا النهر من أعلاه إلى أسفله فوجدوه على ثلاثة فراسخ من معسكرهم موضعاً منه ساكن الجرية واستأذنوه في المخاطرة والعبور فأذن لهم. فصاروا إلى الموضع ليلاً ومعهم جماعة من البوقيّين بتراسهم وأسلحتهم وزحفوا إلى عسكر دَيْسَم وضربوا بالبوقات وقتلوا نفراً فانهزم ديسم واستولى الجيل على أموالهم وسوادهم واستغنوا بما حصل لهم وتمّ الظفر للشكرى.

وقصد دَيْسَم وُشمكير وهو بالريّ فأعلمه ما جرى عليه من اللشكرى

---

١. كذا في الأصل ومط: ابن داولة.

٢. في مط: دواله (خلافاً للموضع السابق). وفي مد: ابن دلوله (في كلا الموضعين).

وأنّه قد تمكّن من أذربيجان وطابقه[١] ابن دلوله اصفهبذ موقان وأنّ بلاد الجيل قريبة منه والإستمداد سهل عليه وأنّه لا يلبث أن يقصد الريّ وينازعه إيّاها ويلتمس منه عسكراً من الجيل والديلم ليكون بإزاء اللشكرى وأصحابه، وواقفه[٢] أن يجمع إليه من الأكراد وغيرهم عشرة آلاف رجل فرساناً وأن يقوم بنفقة العسكر يوم دخوله الخُونَج[٣] وهو أوّل حدود أذربيجان من ناحية الريّ وأن يقيم الخطبة على منابر أذربيجان [7] كلّها ويحمل إليه في كلّ سنة مائة ألف دينار خالصة ويردّ إليه العسكر الذي يجرّد معه بعد فراغه من أمر اللشكرى. فلمّا سمع وُشمكير ذلك أهمّه هذا الخطب واستجاب ديسم إلى كلّ ما يلتمسه وأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه العهد والميثاق بالوفاء وابتدأ بتجريد العسكر.

فإلى أن يتكامل ذلك ورد الخبر بوفاة ابن داولة الاصفهبذ وخلق كثير من أصحابه بعلّة الجدرى وأقام بقية أصحابه مع اللشكرى فأنفذ اللشكرى بقائد كبير من أصحابه يُقال له: بلسوار بن ملك بن مسافر وهو ابن أخي محمّد بن مسافر اللشكرى إلى نواحي الميانج[٤] ـ وهي تجرى مجرى الثغر ـ بينه وبين وشمكير وأمره أن يحفظ الطرق ويتتبّع المجتازين ويفتشهم ويقرأ كتبهم تحرّزاً واستظهاراً. فلم يلبث بلسوار أن ظفر بفيج معه كتب من قوّاد عسكر اللشكرى إلى وشمكير بالإعتذار إليه من دخولهم في طاعة اللشكرى وأنّهم

١. طابقه: وافقه.

٢. واقفه في الحرب، والخصومة: وقف معه.

٣. الخُونَج: جاء في المراصد في شرح «خُونا»: «.. وهي في اللفظ والكتابة خُونج: بليدة من أعمال آذربيجان بين مراغة وزنجان في طريق الريّ، آخر ولاية آذربيجان، تسمّى الآن: كاغذكنان، يعني: صانع الكاغد [والصحيح صانعو الكاغد] وهي بليدة صغيرة».

4. في الأصل: المناهج (بالإهمال الكامل). وفي مط: اللواهج. وكلاهما تصحيف «الميانج»، على ما في مد.

إنّما دخلوا معه وعندهم أنّه على طاعتهم وأنهم إن رأوا راية من راياته قد أقبلت إليهم انحازوا إليها وصاروا بأجمعهم عليه. فلمّا وقف اللشكرى على هذه الكتب طواها وستر خبرها.

وورد عليه [8] انفصال دَيْسَم عن الريّ في عسكر وشمكير مع حاجبه الشابشتى[١] فركب إلى الصحراء وجمع قوّاده وعرّفهم إقبال العسكر إليه وأنه يتخوّف أن يشتغل بحرب الجيل والديلم فيأتيه ديسم من ورائه ويجرى الأمر كما جرى فى وقعة أردبيل وأنّه قد عزم أن يرحل بهم إلى بلاد الأرمن فيغزوهم ويستبيح أموالهم ويبعد عنهم إلى الموصل وديار ربيعة فإنها بلاد كثيرة الغلاّت والأموال واسعة والرجال بها قليل. فساعدوه على ذلك ورحل بهم إلى أرمينية وأهلها غارّون. فنهبهم واستباح أموالهم ومواشيهم وسبى خلقاً كثيراً وانتهى إلى زوزان وفى يده وأيدى قوّاده من المواشى التى غنموها شيء كثير لا ينضبط ولا يعرفون مبلغها وقد وكّلوا بها الرعاة فكانوا يخرجونها إلى مسارحها بكرة ويردّونها عشية إلى معسكرهم.

وكان بالقرب من زوزان قلعة للأرمن فيها عظيم من عظمائهم يُقال له: أطوم بن جُرجين وهو قريب لابن الديرانى ملك الأرمن. فسأل اللشكرى بمراسلة لطيفة أن يكفّ عن الأرمن فإنّهم معاهدون يؤدون الأتاوة وأطمعه فى مال يُحمل إليه صلحاً فأجابه إلى ما طلبه.

ذكر حيلة تمّت لهذا الأرمني على اللشكرى حتّى قتله ومعظم أصحابه

كان هذا الأرمنيّ عرف سرعة ركاب اللشكرى وخفّته وأنه يقدم بلا روية

---

١. الشابشتى: كذا فى الأصل. وفى مط: السابستى.

ويتسرع بلا تدبير. فكمن كميناً على جبلين بالقرب من موضعه الذى كان معسكراً فيه بينهما مسلك مضيق، ثمّ دسّ إلى المواشى التى معه جماعة من الأرمن حتّي قتلوا رعاءها واستاقوها فى ذلك المضيق وهرب بعض الرعاء إلى اللشكرى مجروحاً فصادفه خارجاً من الحمّام فى سوق زوزان فأخبره الخبر، فسار لوقته وأخذ ذلك الراعى بين يديه ليدلّه علي الطريق وليس معه إلّا ستّة نفر من غلمانه أخذهم فتح اللشكرى ـ وهو أحد قوّاد السلطان بمدينة السلام وقد شاهدتُه ـ وكان موصوفاً بالبسالة والشجاعة وراسل باقى أصحابه في العسكر أن يلحقوه.

ذكر اتفاق حسن اتّفق لفتح هذا الغلام حتّى سلم وحده من القتل

اتّفق أن غمزت دابّة كاتبه لما قضاه الله من سلامته فنزل لينظر ويصلح حافرها فسبقه اللشكرى ولم يعرج عليه ومضى مع الخمسة النفر الذين بقوا معه، فوصل إلى المضيق قبل أن يلحقه أصحابه الذين استدعاهم من المعسكر وولج الموضع فلمّا توسّطه ثار إليه الكمناء فقتلوه والغلمان الذين معه وأخذوا رؤوسهم وأسلابهم[١] وتركوا جثثهم ومضوا.

ثمّ وصل العسكر [10] إلى الفتح هذا الغلام وتبعوا اللشكرى. فلمّا رأوا جماعتهم عرفوهم فانصرفوا معتزلين واجتمع أهل عسكره فعقدوا الرئاسة لابنه لشكرستان وتقرر الرأى بينهم ليحرزوا سوادهم وأثقالهم وغنائمهم من ورائها ويرجعوا إلى بلد أطوم بن جرجين فيدركوا ثأرهم منه ويأتوا عليه قتلاً ونهباً.

١. كذا فى الأصل ومط: أسلابهم. والمثبت فى مد: أشلاءهم.

ذكر حيلة تمّت عليهم ثانية حتّى قُتلوا بأجمعهم إلّا نفر يسير جداً وذلك لقلّة احتراسهم من المضائق وجهلهم المسالك واغترارهم بالشدّة

كان أطوم بن جُرجين بثّ جواسيسه ليعرف[١] أخبارهم واطّلع على هذه العزيمة منهم فسبقهم بأن رتب على رؤوس الجبال في طريقهم جموعاً من الأرمن يرمونهم بالحجارة وكان طريقهم من هذه الجبال على موضع عرضه نحو خمسة أذرع وعلى يسرته الجبل وعن يمينه نهر عظيم جار والمهوى إليه أكثر من مائة ذراع. ووقف الأرمن متمكّنين على هذا الموضع وسار أطوم بنفسه من قلعته في نفر فكمن على طريق المضيق حتّى ان أفلت انسان منهم أوقع به.

فلمّا انتهى الجيل والديلم إلى ذلك المضيق أرسلوا عليهم الحجارة فكانت الصخرة تأتي فتصدم الراكب والمركوب والرجّالة والبهائم والجمال فلا يمتنع منها شيء ويسقطون إلى النهر ويتلفون.

فترجّل قوم [11] من الفرسان ودخلوا من قوائم الدوابّ فربّما سلم الواحد بعد الواحد. فهلك في ذلك الموضع أكثر من خمسة آلاف رجل وسلم جماعة لشكرستان فيمن سلم ومضى بمن معه إلى ناصر الدولة وهو بالموصل لائذين[٢] به فنزلهم بشيء من الأرزاق يسير فاختار بعضهم أن يقبض نفقة وينصرف عنه واختار بعضهم أن يقيم مع لَشْكَرْسَتان فأمّا الذين قبضوا النفقات فأخذوا جوازات وانحدروا إلى واسط لاحقين ببجكم. وأمّا الباقون فإنّهم كانوا خمسمائة رجل فجرّدهم

---

١. كذا في مط، وانمحى الاوّل والثاني في الأصل. والمثبت في مد: ليعرف.

٢. لائذين: في الأصل ومط: لايدين. وفي مد: لايذين.

ناصر الدولة مع ابن عمّه أبى عبد الله الحسين بن حمدان من أذربيجان لمّا أقبل إليها دَيْسَم الكردى. وكان ديسم هذا من قوّاد ابن أبى الساج وكان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان مقلّداً من قبل بن عمّه أبى محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة أعمال المعاون بأذربيجان.

وفيها اختصّ قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمّد بالراضى بالله حتّى حلّ محلّ الوزراء وصار الراضى يشاوره فى الأمور ويدخله فى التدبير ويصل إليه مع عبد الله بن علىّ النفرى خليفة الوزير الفضل بن جعفر ولا ينفذ أمراً إلّا بعد مشورته.

وفيها قصد الراضي بالله وبجكم معه ديار ربيعة والموصل

ذكر السبب في ذلك [12]

كان السبب فى ذلك انّ ناصر الدولة أخّر ما اجتمع عليه من مال الحمل الذى كان فى ضمانه للموصل وأخّر مال الضياع التى فى عمله بخدمة الراضي بالله فكان الراضى مغيظاً عليه. فاجتمع رأيه مع بجكم على قصده.

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

فلمّا كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من المحرّم خرجا وأقام الراضى بتكريت ونفذ بجكم إلى الموصل فى الجانب الشرقى من دجلة. فتلقّته زواريق أنفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية إلى الراضى. فأخذها بجكم وفرّق ما فيها على حاشيته وأصحابه وفرّغها وعبر فيها إلى الجانب الغربى وسار حتّى لقى ناصر الدولة بالكُحيل وجرت بينهما وقعة

وانهزم فيها أصحاب بجكم. ثمّ حمل بجكم بنفسه على ناصر الدولة حملة حقّق فيها فانهزم وتبعه بجكم ولم ينزل الموصل إلى أن بلغ نصيبين.

ومضى ابن حمدان على وجهه إلى آمد وأقام بجكم بنصيبين وكتب إلى الراضي بالله بالفتح. فلمّا ورد كتابه بالفتح على الراضي بالله سار من تكريت يريد الموصل وكان مسيره في الماء.

وكان قبل ورود كتاب بجكم بالفتح قد لحق القرامطة الذين مع الراضي بتكريت مضايقة في أرزاقهم فانصرفوا مغضبين إلى بغداد. فلمّا وصلوا إليها ظهر ابن رائق من استتاره ببغداد وانضمّوا إليه. ويُقال: إنّ انصرافهم من تكريت كان بمراسَلة [13] منه إليهم ومكاتبة في اجتذابهم.

وورد الخبر بذلك مع طائر إلى تكريت فخاف الراضي أن يسرى إليه ابن رائق والقرامطة فيأخذونه فخرج من الماء مبادراً وركب الظهر وسار إلى الموصل ودخلها ومعه عليّ بن خلف بن طناب كاتبه وهو قلق من ابن رائق. ولمّا بلغ الحسن ابن عبد الله بن حمدان انصراف بجكم من نصيبين سار من آمد إليها. فانصرف عنها وعن أعمال ديار ربيعة من كان خلفه بجكم فيها من قوّاده وصاروا إلى الموصل وحصلت ديار ربيعة في يد ابن حمدان فزاد ذلك في قلق بجكم. وأخذ أصحاب بجكم يتسلّلون ويخرجون من الموصل إلى بغداد حتى احتاج بجكم إلى أن يسدّ أبواب دروب الموصل ويحفظ أصحابه وزاد ذلك في اضطراب بجكم إلى أن قال:

ـ «حصلنا على أن يكون في يد الخليفة وأمير الأمراء قصبة الموصل فقط.»

وأنفذ بن حمدان ـ قبل أن يتصل به خبر ابن رائق وظهوره ببغداد ـ أبا أحمد الطالقاني الذي كان أسره إلى بجكم يلتمس الصلح ويبذل أن يقدّم خمسمائة ألف درهم معجلة.

فلمّا ورد الرسول وأدّى الرسالة فُرّج عن بجكم وفُرّج بأن ابتداه بنو حمدان بمسألة الصلح وكان فكر في تسليم الموصل [14] إليه والإنحدار لدفع ابن رائق. فبادر وركب من وقته إلى الراضي وعرّفه ما ورد به الطالقاني واستأذنه في إمضاء الصلح. فامتنع الراضي لشدّة غيظه على ابن حمدان، فعرّفه أنّ الصواب في اجابته إليه والمبادرة إلى بغداد التي خرجت عن يده وهي دار الملك فأذن له في المصالحة. فردّ من يومه الطالقاني بالصلح وأنفذ معه الخلع واللواء والقاضي أبا الحسين ابن أبي الشوارب ليستحلف ابن حمدان ورجع مع مال التعجيل.

وبعد نفوذ الطالقاني جاء جعفر بن ورقاء وتكينك من عند بجكم إلى الموصل ثمّ تبعهما محمّد بن ينال الترجمان في مُرقعة[1] منهزمين من يد ابن رائق ووصفوا أنّه لمّا ظهر من استتاره ببغداد انضمّ إليه ثلاثمائة رجل من القرامطة فلقيه بديع غلام جعفر بن ورقاء وانهزم بديع وخرج إلى ابن رائق وهو بالمصلّى جماعة من الجند والحجريّة[2] وخلق من العامّة وقالوا:

ـ «نحن نقاتل بين يديك.»

فأعطاهم خمسة دراهم[3] وثلاثة دراهم.

وكان جعفر بن ورقاء وأحمد بن خاقان وابن بدر الشرابي في دار السلطان وما يليها فراسلهم ابن رائق وسألهم الإفراج له ليمضي إلى داره التي هي دار مونس. فأنزلها بجكم فمنعوه من ذلك فقاتلهم وانهزموا وقتل ابن بدر، واستأمن إلى ابن رائق جماعة من الرجال، فوعدهم [15] بالعطاء وأعطاهم خواتيم طين تذكرة بالمواعيد، وصار إلى دار السلطان [ولم يدخلها

---

١. في مط: مربعة.

٢. كذا في الأصل ومط ومد: الحجريّة.

٣. في الأصل: خمسة درهم وثلاثة درهم (بالإفراد).

صيانة][١] لمن فيها وراسل والدة الراضي بالله وحرمه برسالة جميلة وصار إلى دار مونس التي كان ينزلها بجكم فقاتله تكينك عنها وانهزم تكينك وملك ابن رائق الدار.

ثمّ أقبل محمّد بن ينال الترجمان من واسط في أربعة آلاف من الأتراك والديلم وغيرهم ليدفع ابن رائق عن بغداد فتلقّاه ابن رائق بالنهروان وجرت بينهم حرب شديد وانهزم الترجمان وصار في مرقّعة[٢] إلى الموصل.

وأقبل ابن رائق يثير ودائع بجكم وأمواله وأنفذ أبا جعفر ابن شيرزاد إلى بجكم بجواب الصلح منه فتقدّم إليه بجكم المقام وأنفذ بجواب الرسالة قاضي القضاة أبا الحسين عمر علي أن يقلّد طريق الفرات وديار مضر وجند قنّسرين والعواصم وينفذ إليها. ورجع الطالقاني وابن أبي الشوارب القاضي من عند ابن حمدان بتمام الصلح وبعض المال فانحدر الراضي وبجكم من الموصل ولمّا صار قاضي القضاة إلى ابن رائق لقيه وقرّر أمره على تقلّد الأعمال التي تقدّم ذكرها فخرج ابن رائق من بغداد متوجّهاً إلى أعماله ووصل الراضي وبجكم إلى بغداد يوم السبت لتسع خلون من شهر ربيع الأوّل.

موت الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وتقليد أبي جعفر محمد بن شيرزاد الوزارة

وفيها مات الوزير [16] أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة. وكان الراضي أنفذ خادماً يستدعيه فوصل الخادم وقد مات. فكانت مدّة

---

١. في الأصل غموض وطموس. والمثبت في مد: وكتب الأمانة. وما أثبتناه بين المعقوفتين هو من مط.

٢. في مط: مرتعة.

وقوع إسم الوزارة عليه سنة واحدة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً. وقلّد مكانه أبا جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد وسلّم إليه عليّ بن خلف، فصادره على خمسين ألف دينار وسفَر أبو جعفر بن شيرزاد في الصلح بين بجكم وبين البريدى. فتمّ ما شرع فيه وضمن أبو عبد الله البريدى أعمال واسط بستمائة ألف دينار فى السنة.

ولمّا اتّفق موت الوزير أبى الفتح وصولح البريدى شرع أبو جعفر ابن شيرزاد فى تقليد أبى عبد الله البريدى الوزارة وأشار بذلك فأنفذ الراضى بالله أبا الحسين إلى أبى عبد الله البريدى فى تقلّد الوزارة، فامتنع منها، ثمّ استجاب إليها، وتقلّد الوزارة وخلّفه عبد الله بن عليّ النفّرى بالحضرة كما كان يخلّف الفضل بن جعفر.

وكان بجكم قلّد بالبا التركيّ أعمال المعاون بالأنبار فكاتبه يلتمس منه أن يقلّده أعمال طريق الفرات بأسرها ليكون فى وجه ابن رائق وهو بالشام. فقلّده ذلك فنفذ إلى الرحبة وغلب عليها وكاتب ابن رائق وأقام له الدعوة فى أعمال طريق الفرات وعظم أمره بها واتصل خبره ببجكم.

ذكر سرعة تلافى بجكم أمر بالبا قبل أن يستفحل [17]

أنفذ بجكم غلامه يوستكين[1] وعدلاً حاجبه وقطعة من جيشه نحو أربعمائة رجل فوصلوا إلى الأنبار وقت العصر من يومهم وساروا من سحر ليلتهم إلى هيت وأخذوا منها الأدلاء فسلكوا طريق البرّيّة ووصلوا إلى الرحبة فى خمسة أيّام فدخلوها من بابين من أبواب الرحبة وجميع ذلك بوصيّة

١. كذا في الأصل: يوستكين. والمثبت في مد: بوستكين. وفي مط: توشتكر.

بجكم ورسمه، فعملا بما رُسم. فعرف بالبا الخبر وهو على طعامه فوثب إلى سطح واستتر عند بعض الحاكة وأخذ من عنده وانحدروا به إلى الأنبار. ثمّ أدخلاه بغداد مشهّراً على جمل عليه نقنق وهو مصلوب ثمّ خفى أمره فيقال ان بجكم سمّه.

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

وفيها تزوّج بجكم سارة بنت الوزير أبى عبد الله أحمد بن محمّد البريدى بحضرة الراضى على صداق مائتى ألف درهم.

واشتدّ أبو جعفر ابن شيرزاد فى معاملة التُنّاء وزاد فى المساحة واحتجّ عليهم بعلوّ الأسعار ووفورها وطالبهم بالتربيع[1] والتسعير والسلف وأظهر ظلمه.

وفيها سار الأمير أبو علىّ الحسن بن بويه إلى واسط وكان البريديّون بها. فأقام الأمير أبو علىّ فى الجانب الشرقى منها والبريديّون فى الجانب الغربى.

ذكر السبب فى ذلك

كان أبو عبد الله أنفذ جيشاً إلى السوس وقتل قائداً [18] من الديلم. واضطرّ أبا جعفر الصيمرى إلى التحصّن بقلعة السوس وكان متقلّداً أعمال الخراج بها. وخاف أبو الحسين أحمد بن بويه أن يصير البريدى إلى الأهواز من البصرة وكان أبو علىّ الحسن بن بويه أخوه مقيماً بباب اصطخر فكتب إليه أبو الحسين أخوه يستنجده فوافاه يطوى المنازل طيّاً فى عشرة أيّام.

وكانت الضرورة دعت أبا الحسين أحمد بن بويه إلى أن خرج من

---

١. كذا فى الأصل ومد: التربيع. وفى مط: التوقيع.

السوس. فلمّا وصل أخوه أبو عليّ إلى السوس دخل أبو الحسين أحمد بن بويه الأهواز وكان أصحاب وُشمكير قد تغلّبوا على إصبهان. فسار الأمير أبو عليّ الحسن بن بويه إلى واسط طمعاً فى أن يحصل له، فاضطرب رجاله لأنّه ما كان أنفق فيهم منذ سنة واستأمن من أصحابه مائة رجل إلى البريديين. وسار بجكم[1] والراضي من بغداد لحربه فأشفق أن يقع التضافر عليه ويستأمن من رجاله. فانصرف إلى الأهواز ومنها إلى رامهرمز. ثمّ سار إلى إصبهان ففتحها واستأسر بضعة عشر قائداً من قوّاد وشمكير ورجع الراضي بالله وبجكم إلى بغداد.

وفيها خرج بجكم إلى الجبل فلمّا بلغ قرميسين عاد إلى بغداد ومعه مستأمنه الديلم.

ذكر السبب في خروج بجكم إلى الجبال ورجوعه عنها وسبب فساد الحال بينه وبين البريدي بعد الوصلة والصلاح [19]

لمّا صاهر بجكم البريدي وخلّص ما بينهما كاتبه أن ينفذ إلى الجبل لفتحها وأن يخرج هو إلى الأهواز لفتحها ودفع أبي الحسين أحمد بن بويه عنها. وأنفذ إليه حاجبه عدلاً فى خمسمائة رجل نجدة ليضمّهم إلى رجاله.

قال أبو زكريا السوسي: وأخرجني معه لأن أزعجه وأحثّه على المسير مع الجيش كلّه إذ كان ابتداؤهم بالسوس. قال: فحصلت بواسط وأظهر البريدى بما وردت وعدل الحاجب له، حتّى إذا حصل بجكم بحلوان طمع البريدى فى المسير إلى بغداد وأخذ الدفائن التى لبجكم فى داره والعود بها إلى واسط

---

١. وصار بجكم: كذا في الأصل. وفى مط: وسار بحكم.

وكانت عظيمة. فما زال يتربّص ويدافع، ويقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى، تارة تشره نفسه إلى المال وتارة يرهب من مكاشفة بجكم، ويتوقّع مع ذلك دائرة على بجكم من قتل أو هزيمة فيتمكّن ممّا يريد.

وامتدّت أيّامنا حتّى أقمنا زيادة على شهر وكُتبُ بجكم ترد علينا بأن نعرّفه ما علمناه فإذا أقرأناها البريدى قال:

ـ «أنا سائر غير متلوّم.»

ثمّ يتراخى ففطنّا لما في نفسه وقلت لعدل سرّاً:

ـ «أنفذ إلى بجكم من يعرّفه الخبر.»

فبادر إليه بركابيّ يثق به. فلمّا وصل إلى بجكم[1] لم يلبث أن ركب الجمّازات ووافى مدينة السلام وخلّف عسكره وراءه.

وسقطت الأطيار على البريدى بدخول بجكم بغداد [20] وأنّه لا يدرى أهو منهزم أم مجتاز فأبلس ودهش وتحيّر وهمّ بالقبض عليّ وجذبني إلى البصرة وعملت أنا على الإستتار[2] فخفت أن يثيرني ويخرجني لأنّ واسط بلد صغير فكنت على ذلك أتردّد إليه متجلّداً. ثمّ دعاني وقت العصر بعدّة غلمان فلم أشكّ فى أنّه للقبض عليّ. فوصلت إليه وقت المغرب وقد قام فدخل إلى كلّة له هرباً من البقّ فقال لي:

ـ «عرفت الخبر؟»

قلت: «ماذا؟»

فقال: «سقط طائر قبل العصر بأنّ بجكم قد سار إلى واسط.»

فقلت: «هذا باطل متى ورد بغداد ومتى خرج؟»

فقال: «دع هذا عنك، فإنّي لا أشكّ فيه. قم اخرج الساعة إليه وأزل ما

---

١. في مط: يحكم، بدل «بجكم».

٢. الإستتار: كذا في الأصل ومط. وفى مد: الاستنار، وهو خطأ.

أوحشه منّى وهات يدك.»

فناولته إيّاها وجعلها على أذنه وقال:

ـ «خذنى إلى النخّاسين وبِعنى فإنّى لا أخالفك، واكفنى هذا البـاب ولا تسألنى عمّا تعمل.»

فقبّلت يده ورجله والأرض بين يديه وقلت له:

ـ «أمضى أتأهّب.»

فقال: «قد تأهّبت لك وقُدّم لك طيّار وجرّدت خمسين غلاماً لبـدرقتك وانزل إلى الطيّار ففيه زاد يكفيك إلى الحضرة وغلمانك يتلاحقون بك.»

فلم أتمالك سروراً ثمّ خشيت أن يكون قد اغتالنى وإنّى أخرج فيؤخذ بى إلى البصرة. ونهضت من عنده فما تاب إلىّ عقلى إلّا بفم الصلح. [21] فلمّا وصلت إلى نهر سابس لقينى خادم من دارى ببغداد بـرسالة بـجكم إلىّ أن استتر، وأسرّ[١] بذلك إلىّ وسألنى من معى من غلمان البريدى عمّا ورد به الخادم فعرّفتهم أنّه أخبرنى بحال عليلة لى وأنّها مشفية، وسرت مبادراً

وأصبح البريدى نادماً على إنفاذه إيّاى ووجّه خلفى من يطلبنى لأنّ طائراً سقط عليه بما آيسه من صلاح بجكم له، وأغرى بى فى الكتاب فكفانى الله.

ووصلت إلى دير العاقول وبها أحمد بن نصر القشـورى، فـخرجت إليـه وأراد أن يأخذ الطيّار ويوقع بالغلمان. فلم أتركه وبرزتُ للغلمان[٢] ورددتهم فى الطيّار وجلست أنا فى طيّار أحمد بن نصر ووافيت الزعفرانـيّة ولقـيت بـها بجكم وصعدت إليه فحدّثته بالحديث واجتهدت فى إصلاحه للبريدى وردّه إلى بغداد، فأبى فقال:

ـ «لو لقيتنى وأنا على درجة من دارى لما تهيّأ لى أن أعود فإنّها تكون

---

١. أن استتر، وأسرّ: كذا فى الأصل. وفى مط: واستتر، بدل وأسرّ. وفى مد: انى استتر وأسر.

٢. برزت: كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: «ندوت للغمان» مع حذف الواو قبل «ندوت».

هزيمة فكيف وقد سرت ووصلت إلى ههنا.»

وانحدرت معه فقبض على أبى جعفر بن شيرزاد بواسط لأنّه كان سبب البريدى عنده وهو الذى أشار بوُصلته.

إزالة اسم الوزارة عن البريدى وإيقاعه على سليمان بن الحسن

وأظهر بجكم صرف أبى عبد الله البريدى عن الوزارة وأزال اسمها عنه وأوقعه على أبى القاسم سليمان بن الحسن. فكان اسم الوزارة عليه وخُلع عليه خلع الوزارة والأمور [22] يدبّرها كاتب بجكم وهو ابن شيرزاد إلى أن قبض عليه.

فكانت مدّة وقوع اسم الوزارة على أبى عبد الله البريدى سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً.

وكان بجكم عند إخراج مضربه إلى الزعفرانية متوجّهاً إلى البريدى أحبّ أن يُكتم خبر انحداره. وكان انحداره فى حديدى فضبط الطرق ومنع من نفوذ كتاب لأحد لئلا يكتب بخبر انحداره.

ذكر اتفاق ظريف غريب

كان معه في الحديدى كاتب له على أمر داره وجرايات حاشيته وكان له أخ فى خدمة البريدى فلمّا جلس بجكم فى الحديدى سقط على صدر الحديدى طائر فصاده غلمان بجكم وجاءوا به إلى مولاهم فوجد على ذنبه كتاباً فقرأ فإذا هو كتاب من كاتبه هذا إلى أخيه بخطّه يعرّفه فيه انحدار بجكم ومن أنفذ على الظهر من الجيش وسائر أسراره وعزائمه. فلمّا وقف

عليه بجكم[١] عجب واغتاظ وأحضر هذا الكاتب ورمى إليه بالكتاب فسقط في يده ولم يمكنه جحده لأنّه بخطّه المعروف فاعترف به فأمر به فرُمى بالزوبينات بحضرته إلى أن قتله ورمى به في الماء وسار إلى واسط فوجد البريدى قد انحدر منها ولم يقف.

ابن رائق يُنفذ ابنه ليُقتل قصاصاً

وفي ذى الحجّة من هذه السنة ورد الخبر بأنّ ابن رائق أوقع بأبى نصر ابن طغج أخي الأخشيد. فانهزم أصحاب أبي نصر ابن طغج واستؤسر وجوه قوّاده وقتل أبو نصر ابن طغج [23] فأخذه ابن رائق وكفّنه وحنّطه وحمله في تابوت إلى أخيه الأخشيد وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمّد بن رائق وكتب إلى الأخشيد معه كتاباً يعزّيه فيه بأخيه ويعتذر ممّا جرى وأنّه ما أراد قتله وأنّه قد أنفذ إليه ابنه ليقيده[٢] به إن أحبّ ذلك.

فتلقّى الأخشيد فعله ذلك بالجميل وخلع على أبي الفتح مزاحم وردّه إلى أبيه واصطلحا على أن يفرج ابن رائق للأخشيد عن الرملة ويكون باقي الشام في يد ابن رائق ويحمل إليه الأخشيد عن الرملة مائة وأربعين ألف دينار.

دخول الترجمان من الجبل منهزماً

وفيها دخل أبو نصر محمّد بن ينال الترجمان من الجبل منهزماً من الديلم واتصل خبر هزيمته ببجكم وهو بواسط فوجّه بمن ضربه في منزله بالمقارع وقيّده وحبسه مدّة ثمّ رضى عنه.

---

١. وفي مط: بحكم، بدل «بجكم».
٢. أي يقتله قصاصاً.

ودخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

قبضُ بجكم على كاتبه ابن شيرزاد

وفيها كان القبض من بجكم على كاتبه ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله الكوفى فكانت مدّة كتابة ابن شيرزاد لبجكم وتدبيره الملك وقيامه مقام الوزراء تسعة عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً.

وحين أراد القبض عليه كاتب تكينك خليفته على يد مسرع بأن يُحضر أبا القاسم الكلواذى وأصحاب الدواوين والعمّال والمهندسين ويتقدّم إليهم بأن يتواقفوا[١] على أمر المصالح بالسواد وأن يعملوا عملاً [24] بما يحتاج إليه ناحية ناحية فإذا فرغ منه تسلّمه منهم وقبض على فلان وفلان ـ قوم أسماهم له من الكتّاب ـ فإذا حصلوا كتب على عدّة أطيار بخبر حصولهم.

فأحضرهم تكينك وناظرهم فى دار بجكم على أمر المصالح. فلمّا فرغوا من ذلك وأرادوا الإنصراف اعتقل من أسمى له منهم وفيهم أبو الحسن طازاذ بن عيسى ومحمّد بن الحسن بن شيرزاد والمعروف برهرمه[٢] وجماعة من الكتّاب والعمّال وكتب بخبر القبض عليهم. فلمّا عرف خبرهم وحصولهم فى القبض قبض حينئذٍ على أبى جعفر ابن شيرزاد وزيره.

من دلائل دهاء بجكم

وممّا يستدلّ به على دهاء بجكم ما حكاه ثابت عن أبى عبد الله الكوفى قال:

قال بجكم بعد قبضه على أبى جعفر ابن شيرزاد: كان يقال لى: إنّ أبا

١. فى مط: يتوافقوا (بتقديم الفاء على القاف).
٢. وفى مط: برهريمة، بدل «رهرمة».

جعفر موسر كثير المال وكنت أظنّ أنّ أعداءه يكثرون عليه. فأردت أن أمتحن صحّة ما يقال فيه فقلت له يوماً:

ـ «قد أودعت الأرض مالاً كثيراً وعملت على أن أودع الناس شيئاً آخر ولست أثق بأحد ثقتى بك وأريد أن أودع عندك شيئاً فهل تنشط لذلك.»

فقال لى:

ـ «وكم مبلغه؟»

فقلت: «مائة ألف دينار.»

فقال لى مسرعاً:

ـ «نعم.»

ولم يستكثرها ولا رأيت فى وجهه إعظاماً لها. فلمّا رأيت قوّة قلبه ونشاطه للأمر وأنّ المقدار لم يهله ولا عظم فى نفسه علمت أنّ الذى قيل في يساره [25] وكثرة ماله حقّ. فسلّمت إليه مائة ألف دينار وتركته مدّة طويلة ثمّ قلت له:

ـ «قد احتجت إلى تلك الدنانير فينبغى أن تردّها.»

فقال: «نعم.»

وحمل بعد أيّام جزءً منها ثمّ اقتضيته فحمل شيئاً آخر ثمّ اقتضيته فحمل جزءً آخر فأظهرت غضباً وقلت له:

ـ «دفعتها إليك جملة وتردّها تفاريق.»

فارتاع لغضبى وصياحى عليه ودهش فخجل وقال:

ـ «أنا أصدق الأمير ليس لي من أثق به في هذه الأحوال إلّا أختى وليس تطيق حمل الجميع ولا لها حيلة إلّا أن تحمله شيئاً بعد شيء.»

فسكتُّ. وقلت:

ـ «يجوز.»

وحصّلت من كلامه أنّ الذى يجرى على يده أمر ودائعه هو أخته. فلمّا قبضت عليه وطالبته، أخذ يتماتن. فوجّهت إليه:

ـ «لا تماتن، فإنّ أختك قد وقعت فى يدى.[1]»

ولم تكن قد وقعت وإنّما أردت أن أرعبه. قال: فانحلّ وبلغ ما أردته.

موت الراضي بالله

وفيها فى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأوّل[2] مات الراضي بالله وكان قد انكسف القمر كلّه وكان موته بالاستسقاء الزّقّى، واستتر كاتبه أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وانقضت أيّامه.

وكان رجلاً أديباً شاعراً حسن البيان يحبّ محادثة الأدباء ومعاشرتهم ولا يفارق الجلساء وكان سمحاً سخيّاً واسع النفس.[26]

ما قاله سنان بن ثابت لبجكم فى علاج خُلقه

وطمع بجكم فى جماعة من ندمائه وظنّ أنّه ينتفع مع عجمته بآدابهم. فلمّا نظر لم يجد من يفهّمه ما ينتفع به إلّا سنان بن ثابت. فإنّ سناناً كان ينادمه الراضى بالله.

قال سنان: دعاني بجكم ووصلني وأكرمني ثمّ قال لي:

ـ «أريد أن أعتمد عليك فى تدبيري وأمور جسمي ومصالحي وفى أمر آخر هو أهمّ إليّ من أمر بدني وهو أمر أخلاقي. فقد وثقت بعقلك وفضلك

---

١. وفى مط: بيتى، بدل «يدى».

٢. من سنة ٣٢٩.

وقد غمّني غلبة الغضب والغيظ عليّ وافراطهما فيّ حتّى أخرج إلى ما أندم عليه من ضرب وقتل. فأنا أسألك أن تثقف[١] ما أعمله ثمّ تعالجني ممّا تكرهه وإذا عرفتَ لي عيباً لم تحتشم أن تذكره لي ثمّ ترشدني إلى علاجه ليزول عنّي.»

قال: فقلتُ له:

ـ «السمع والطاعة، ولكن في العاجل اسمع منّي جملة علاج ما أنكرته من نفسك إلى أن يجيء التفصيل.

ـ «إعلم أيّها الأمير بأنّك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لمخلوق، وأنّه لا يتهيّأ لأحد منعك ممّا تريد ولا أن يحول بينك وبين ما تهواه أيّ وقت أردته، وأنّك متى أردت شيئاً بلغته في أيّ وقت شئت، لا يفوتك منه شيء.

ـ «ثمّ اعلم أنّ الغيظ والغضب يُحدث في الإنسان سكراً أشدّ من سكر الشراب المسكر بكثير. فكما أنّ الإنسان يعمل في وقت السكر من النبيذ ما يندم عليه وما لا يعقل به ولا يذكره إذا صحا،[٢] كذلك [27] يحدث في حال السكر من الغضب بل أشدّ. فيجب كما يبتدأ بك الغضب وتحسّ بأنّه قد ابتدأ يغلبك ويسكرك وقبل أن يشتدّ ويقوى ويتفاقم ويخرج من يدك فضع في نفسك أن تؤخّر العقوبة على الذنوب وتتركها. تغبّ ليلة واثقاً بأنّ ما تريد أن تفعله في الوقت لا يفوتك عمله في غد. وقد

---

١. كذا في الأصل: أن تثقف. والمثبت في مد: أن تثقف. وفي مط: أن تنفذ. وثقف: حذق، وفهم بسرعة.

٢. في مط: صحنا، بدل «صحا».

قيل: «من لم يخفْ فوتا حلم» فإنّك إذا فعلت ذلك وبتّ ليلتك وسكنت فلا بدّ لفورة الغضب من أن تبوخ وتسكن وتصحو من السكر الذى أحدثه لك الغضب. وقد قيل: «إنّ أصحّ ما يكون الرأى إذا استدبر الإنسان ليلته واستقبل نهاره».

ـ «فإذا صحوت من سكرك فتأمّل الأمر الذى أغضبك، فإن كان ممّا يجوز فيه العفو ويكفى فيه العتاب والتهديد أو التوبيخ أو العزل، فلا تتجاوز ذلك. فإنّ العفو أحسن بك وأقرب لك إلى الله عزّ وجلّ. وليس يظنّ بك المذنب ولا غيره العجز ولا تعذّر القدرة. وإن كان ممّا لا يحتمل العفو عاقبت حينئذٍ على قدر الذنب ولم تتجاوزه إلى ما يقبح ذكرك ويزيغ دينك ويمقت عليه نفسك وإنّما يشتدّ هذا عليك عند تكلّفه أوّل دفعة وثانية وثالثة، ثمّ يصير عادة فيسهل لك ثمّ تستلذّه إذا علمت أنّه[1] فضيلة.»

فاستحسن ذلك بجكم [28] ووعد أنّه يفعله، وما زال ينبهه على شيء شيء حتّى صلحت أخلاقه وكفّ عن القتل والعقوبات الغليظة واستحلى ما كان يشير به من استعمال العدل والإنصاف ورفع الجور والظلم وعمل به حتّى قال:

ـ «قد تبيّنت أن العدل أربح للسلطان بكثير وأنّه يحصّل له دنيا وآخرة وأنّ موادّ الظلم وإن كثرت وتعجّلت سريعة النفاد والفناء والإنقطاع، وهو مع ذلك كأنّه لا يبارَك فيها وتحدث حوادث يتحرّمها[2] ثمّ يعود بخراب الدنيا وفساد الآخرة.»

---

۱. أنّه: ما فى الأصل غير واضح، قرأناه فى ضوء ما فى مط، وهو ساقط من مد.
۲. يتحرّمها: كذا فى مط. ما فى الأصل يحتمل أن يكون: يتحرّمها، يتخرّمها، يتجرّمها.

فقلت له:

ـ «وبالضد، فإنّ موادّ العدل تنمي وتزيد وتدوم ويُبارَك[١] فيها عند ابتداء العمل به.»

وعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة وببغداد بيمارستاناً[٢] وعدل في أهل واسط وأحسن إلى أهلها، إلّا أنّ مدّته لم تطل. فقُتل عن قرب، ولله تدبير في أرضه وله أمر هو بالغه.



١. يبارك: كذا في الأصل ومط، وهو الصحيح. والمثبت في مد: تبارك.
٢. في الأصل ومط: بيمارستان.

خلافة المتّقي لله
أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

لمّا مات الراضي بالله بقي الأمر في الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدوم أبي عبد الله الكوفي من واسط واحتيط على دار السلطان وانتُظر أمر بجكم فيمن ينصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفي يأمر فيه: أن يُجتمع مع الوزير الذي كان يزر للراضي بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكلّ من تقلّد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلويين [29] والعبّاسيين ووجوه البلد، وشاورهم فيمن ينصب للخلافة ممّن يُرتضى مذاهبه وتحمد طرائقه. فمن وُجدت فيه هذه الأحوال عُقدت له الخلافة.

فلمّا اجتمعوا ذكر بعضهم إبراهيم بن المقتدر، فتفرّق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لأمر. فلمّا كان اليوم الثاني دُفع كتاب بجكم إلى كاتب فقام وقرأه على الناس وذكر إبراهيم.

فقال محمّد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي:

ـ «هذا الرجل من ولد المقتدر، فقُل لنا هذا الرجل المذكور في الكتاب، يجب أن يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم.»

فقال أبو عبد الله الكوفي:

ـ «من كانت فيه هذه الأوصاف نصب في الخلافة كائناً من كان.»

فقال له:

ـ «يحتاج أن يكون الخطاب في هذا سرّاً.»

فقام أبو عبد الله فدخل إلى بيت وأقبل يدخل إليه الناس إثنان إثنان ويقول لهما:

ـ «قد وُصف لنا إبراهيم بن المقتدر. فأيّ شيءٍ تقولون؟»

فإذا سمعا ذلك لم يشكّا في أنّه شيء قد تقرّر وورد فيه أمر بجكم، فيقولون هو موضع لما أهلّ له، وكلاماً[1] في هذا المعنى. فلمّا استوفى كلام الجماعة تقدّم بحمله ليعقد له الأمر في دار بجكم ثمّ يُحمل إلى دار السلطان.

وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعُرضت الألقاب على المتقى لله فاختار منها هذا اللقب، وأخذت البيعة على الناس [30] وأنفذ الخلعة واللواء إلى بجكم مع أبي العبّاس أحمد بن عبد الله الإصبهاني إلى واسط. فانحدر بها وخلع عليه وأخذ البيعة عليه للمتّقى لله.

وأطلق بجكم لأصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يطلق للكتّاب ولا للنقباء وأشباههم شيئاً. ووجّه بجكم قبل استخلاف المتّقى فحمل من دار السلطان فرساً كان استحسنه وآلات كان اشتهاها. وخلع المتقى لله على سلامة الطولوني وقلّده حجبته وأقرّ سليمان بن الحسن على وزارته وإنّما كان له من الوزارة الإسم فقط والتدبير إلى أبي عبد الله الكوفي.

ورود الخبر بدخول ابن محتاج إلى الريّ وقتله ماكان الديلمي وهزيمته لوشمكير

وفيها ورد الخبر بدخول أبي علي ابن محتاج في جيش خراسان إلى

---

١. وفي مط: وكانا، بدل «كلاماً».

الرى وقتله ماكان الديلمى وهزيمته لوشمكير إلى طبرستان.

ذكر السبب في ذلك

كان ماكان مستقرّاً بكرمان من قبل صاحب خراسان حتّى بلغه قتل مرداويج فاجتمع عليه استئمان رجاله إلى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته إيّاه وطمعه فى معاودة أعماله الأولى من جرجان وطبرستان. فصار إلى خراسان واستعفى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان. فولّيها وسار إليها وفيها بلقاسم ابن بانجين[١] من قبل وشمكير فقدّم ماكان كتاباً إلى وشمكير يداريه فيه ويستنزله عن أعماله التي كانت [31] في يده ويستعيده إلى حال المودّة والموادعة، وكان الإجماع قد وقع من الجيل والديلم أنّه لم يُر فيهم أشجع ولا أنجد ولا أفرس من ماكان وأقرّ له بذلك كلّ شجاع مذكور وكلّ متقدّم مشهور.

فصادفت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب عهده بالمصيبة وإشفاقه من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه. فاستجاب له إلى النزول عن جرجان وكتب إلى صاحبه بلقسم ابن بانجين[٢] بتسليمها إليه. فلمّا مضت له مدّة استنزله ماكان أيضاً عن سارية[٣] فنزل له أيضاً عنها.

فتأكّدت الحال بينهما واستحكمت المودّة واستوحش صاحب خراسان من تضافرهما وآل الأمر إلى أن خلع ماكان طاعته وأسقط خطبته. فسار حينئذٍ أبو على ابن محتاج إلى جرجان لمواقعته فى عسكر كثيف أمدّه به صاحب

---

١. بانجين: كذا فى الأصل: وما فى مط مهمل الآ فى الأخير. والمثبت فى مد: بالحسن.

٢. حال الكلمة هنا حالها فى الموضع السابق.

٣. وفى مط: شاريه، وهو تصحيف.

خراسان وكتب ماكان إلى وشمكير بالصورة واستنجده. فأنجده بعسكر قويّ ثمّ أتبعه أيضاً بعسكر ثان مع شيرج[١] بن ليلى وحاصر ابن محتاج ماكان واشتدّ به الحصار إلى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال.

فانتهز هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه واغتنم شغل وشمكير بماكان فطمع فى الريّ وكاتب أبا عليّ ابن محتاج صاحب جيش خراسان [32] وأشار عليه بمناجزة القوم ووعده بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه وأشار عليه بالمناجزة ووعده بأن يسيّر أخاه إلى الريّ فى عسكر قويّ.

وعرف وشمكير الخبر وكتب إلى ماكان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان إلى الخراسانية وكتب إلى شيرج[٢] وإلى سائر عسكره بالإنصراف ففعل ماكان ذلك وعاد الجيش باجمعه إلى الريّ وحصل ماكان بسارية وتمكّن ابن محتاج من جرجان واتصلت المكاتبة بينه وبين عماد الدولة وركن الدولة واستحكمت المودّة بينهم واتّفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكراهما وصارا عسكراً واحداً واشتملت عدّة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سوى الأتراك والعرب وأظهرا من السلاح والجُنن والآلات والدوابّ أمراً عظيماً. فترافدا فى التدبير لأنّ وشمكير كان منفرداً بإطلاق النفقات والأموال وإقامة الأنزال[٣] والعلوفات وتفقّد القوّاد والرجال لأنّ الريّ وأعمالها كانت فى يده.

فأمّا ماكان فإنّه تفرّد بمباشرة الحرب وترتّب منها فى القلب. فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتّى قرُب منها وأقام الديلم والجبل مصافّها

---

١. وفى مط: شرز بن ليلي.

٢. وفى مط: سيرج (بالسين المهملة).

٣. وفى مط: الاتراك، بدل «الأنزال».

وبات الفريقان على أهبة لمباكرة الحرب والمناجزة [33] وكان وشمكير ضرب عدّة خركاهات للمصافّ ونصب المطارد والأعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ماكان فى الصدر يأكل ويُطعم ويُجلس من يرى ووشمكير قائم متردّد على رسمهم فى ذلك. فكان ماكان يقول:

ـ «يا با طاهر، لم لا تأكل معنا ثمّ تتوفّر على النظر بعد ذلك؟»

فيقول: «يا با منصور، نحن بازاء أمر قد قرُب انفصاله. فإن كان لنا فسوف نأكل معاً ونطعم وإن كان لغيرنا فسوف يأكل ويطعم.»

وكانا يتعاملان معاملة النظراء ويتخاطبان بالكنى ويتساويان فى جميع أحوالهما. فما استتمّوا طعامهم حتّى ورد عليهم الخبر بأنّ ابن محتاج رحل عن موضعهم عادلاً عن سمتهم إلى إسحاقاباذ ليجتمع معه العدد الذى أنفذه ركن الدولة، لأنّه كان سار على طريق قم وقاشان. فارتحلا جميعاً فى الوقت إلى هذه القرية، وأعاد المصافّ بها ووافى ابن محتاج وقد عبّى جيشه كراديس.

ذكر حيلة فى الحرب تفرّق بها الجيش المجتمعون ودخل بينهم الغدر فأزال تعبئتهم وهزمهم

تقدّم ابن محتاج إلى أصحابه أن يطرقوا القلب ويلحّوا عليه وكان فيه ماكان وجمرة العساكر[1] وان يتطاردوا لهم ويستجرّوهم ثمّ وصّى الكراديس التي بإزاء الميمنة [34] والميسرة أن يناوشوهم مناوشة خفيفة بمقدار ما يشغلهم عن أن يصيروا مدداً لمن فى القلب ولا يطلبوا المناجزة بل يقفوا

---

١. جمرة العساكر: الذين انضمّوا، فصاروا يداً واحدة.

بازائهم على هذا السبيل. ففعلوا ذلك وألحّوا على القلب ثمّ تطاردوا لهم كالمنهزمين فطمع ماكان وأصحابه الذين كانوا فى القلب فيهم فاتّبعوهم وفارقوا مصافّهم وبعدوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير. فحينئذٍ أمر ابن محتاج الكراديس التى بإزاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا فى الفضاء الذى اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بإزاء الحرب أن يحملوا ويحقّقوا عليه مواجهين له. فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلوهم كما شاؤا.

وكان ماكان قد ترجّل وأبلى بلاءً حسناً وظهرت منه آثار لم يُر مثلها. فوافاه سهم عائر وقع فى جبينه فنفذ الخوذة والرأس[١] حتّى طلع من قفاه وسقط ميتاً. وأفلت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل إلى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم.

وملك ابن محتاج الرىّ وأخذ رأس ماكان بخوذته والسهم فيه وحُمل على هيئته وحالته إلى خراسان مع الأسارى ورؤوس القتلى وكانوا عدداً جمّاً يقال: إنّهم نحو ستة آلاف. [35]

ثمّ حُمل بعد ذلك رأس ماكان إلى بغداد بعد مقتل بجكم. لأنّ بجكم ينتسب إلى ماكان ويزعم أنّه تربيته وقد كان أظهر حزناً وغمّاً شديداً لمّا سمع بقتله وجلس للعزاء. فلمّا قتل بجكم ورد أبو الفضل العبّاس ابن شقيق المرسوم كان بالترسّل بين ولاة خراسان وبين السلطان ومعه رأس ماكان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

---

١. والرأس: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: والتراس، وهو خطأ.

ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج فى استنامته إلي جيش غريب حتّي قتل خلق من أصحابه وانتهب سواده ونجا بنفسه

كان الحسن بن الفيروزان[١] ابن عمّ ماكان وصنيعته وكان قريباً منه فى الشجاعة. إلّا أنّه كان شرساً متهوّراً زَعِر الأخلاق. فلمّا قتل ماكان التمس منه وشمكير أن يدخل فى طاعته وينحاز إليه فلم يفعل. ثمّ لم يقتصر على التثاقل عنه حتّى أطلق لسانه فيه وقال: هو الذى أسلم ماكان إلى القتل وخذّله ونجا بنفسه. فأفسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقيعة فيه. فقصده وشمكير وهو يومئذٍ بسارية. فانصرف عن سارية وصار إلى ابن محتاج داخلاً فى طاعته ومستنهضاً له على وشمكير. فقبله ابن محتاج وأحسن إليه وساعده على قصد وشمكير.

فلقيه بظاهر سارية واتصلت الحرب بينهما أيّاماً إلى أن ورد الخبر [36] على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان. فصالح وشمكير وأخذ ابناً له يقال له: سالار، رهينة وواقفه على أمور تقررت بينهما وانصرف إلى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس بما فعله وأراد منه أن يتمم الحرب ثمّ يستخلف الحسن ويمتدّ بعد ذلك إلى خراسان.

فلمّا لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا الحقد ودبّر أن يطلب غرّته فى طريقه ويفتك به. فلمّا صارا إلى الحدّ بين أعمال جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بعسكره

---

١. الفيروزان: كذا فى الأصل ومط (على أصله الفارسي). والمثبت فى مد: الفيرزان.

ليقتله. فأفلت منه وقتل حاجبه وانتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أعني ابنه سالار وعاد إلى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلعة[١] التي كان يعتصم بها.

وكان وشمكير صار إلى الريّ فملكها. فلمّا فعل الحسن بابن محتاج ما فعل عاد إلى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة وردّ عليه ابنه الذى كان رهينة عند ابن محتاج. وأراد بذلك أن يستظهر على الخراسانية به إن عاودوا حربه. فتسلّم وشمكير ابنه وحاجزه في الجواب ولم يصرّح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه.

ثمّ إنّ ركن الدولة قصد الريّ وحارب وشمكير [37] فانهزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله إلى ركن الدولة وصار إلى طبرستان فاغتنم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار إليه واستأمن إلى الحسن بقية أصحابه وانهزم وشمكير إلى خراسان على طريق جبل شهريار.

فلمّا حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان أن يواصل أبا على ركن الدولة وينحاز إليه فراسله ورغب في مواصلته. فأجابه إلى ذلك وتمّت المصاهرة بينهما بوالدة الأمير على ابن ركن الدولة، أعني فخر الدولة وهى بنت الحسن بن الفيرزان.

حوادث حدثت فى هذه السنة

منها مقتل بجكم

وفى هذه السنة فرغ من مسجد براثا وجمّع فيه.

وفيها اشتدّ[٢] الغلاء ببغداد وبلغ الكرّ من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً وأكل

---

١. وفي مط: العلقة، بدل «القلعة».

٢. وفي مط: ابتدأ، بدل «اشتدّ».

الناس الحشيش وكثر الموت حتّى كان يدفن فى قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلاة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتكفين ومن آخرين فجور وغصب[١] وهم الأكثر.[٢]

وفيها انبثق نهر الرّفيل ونهر بو[٣] فلم يقع عناية بتلافيهما حتّى خربت بادوريا بهذين البثقين بضعة عشر سنة.

وفيها قتل بجكم.

ذكر سبب قتله

كان ورد جيش البريدى إلى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين وتوزون فى جيش للقائه فكانت بينهما وقعة [38] عظيمة كانت أوّلاً على أصحاب بجكم. فكتبا إلى بجكم يسألانه أن يلحق بهما فخرج بجكم من داره بواسط يوم الأربعاء عشرة خلت من رجب للمسير إلى المذار ليلحق عسكره وأصحابه. فورد كتاب توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدى وأنّه قد استغنى عن انزعاجه فأنفذ بجكم بالكتاب إلى بغداد وكُتب به كتاب هناك قُرأ على المنابر.

وهمّ بجكم بالرجوع من حيث وصل إليه الكتاب بالخبر وكانت خزائنه قد سارت. فأشار عليه أبو زكريا السوسى بأن لا يرجع وقال له:

ـ «تمضى وتتصيّد.»

فعمل على ذلك. فلمّا بلغ نهر جور عرف أنّ هناك قوماً من الأكراد

---

١. غصب: كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: غضب، وهو خطأ.

٢. وزاد صاحب التكملة: وكان علىّ بن عيسى والنُّفَرىّ يكفيان الناس على باب دورهما.

٣. نهر بو: كذا فى الأصل. وفى مط: ابوا. وفى مد: بوا والمثبت فى مد: بوق. ولعلّ «بو» لغة فى «بوق». حسب أصله.

مياسير فشَرِهَ إلى أموالهم وقصدهم متهاوناً بهم فى عدد يسير من غلمانه وعليه قباء طاق[١] بلا جبّة. فهرب الأكراد من بين يديه وتفرّقوا ورمى واحداً منهم فأخطأ ورمى آخر فأخطأ واستدار من خلفه غلام من الأكراد وهو لا يعرفه فطعنه بالرمح فى خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الأربعاء لتسع بقين من رجب. واضطرب عسكره جدّاً ومضى ديلمه خاصة إلى البريدى وكانوا ألف وخمسمائة رجل فقبلهم وأضعف أرزاقهم فى دفعة واحدة.

وكان بنو البريدى [39] عملوا على الهرب وقد ضاقت عليهم البصرة لمراسلة بجكم أهلها بما سكّن نفوسهم فكانوا مجتمعين بمطارا. فلمّا بلغ بنى البريدى قتل بجكم فرّج عنهم ونفّس خناقهم وعاد أتراك بجكم إلى واسط وسار تكينك بهم إلى بغداد ونزلوا فى النجمى وأظهروا طاعة المتقي لله وصار أحمد بن ميمون كاتب المتقى لله قديماً هو المدبّر للأمور وصار أبو عبد الله الكوفى من قِبله.

فكانت مدّة تقلّد أبى عبد الله الكوفى كتابة بجكم وتدبيره المملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ومدّة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيّام.

ووجّه المتقى بجماعة من حجّابه فوكّلهم بدار بجكم ولم يتعرّض لشيء ممّا فيها حذراً من أن يرد خبر لبجكم يبطل الخبر الأوّل.

دفائن بجكم فى البيوت والصحارى

فلمّا صحّ عنده قتله أحضر يكاق[٢] صاحب تكينك فأثبت المواضع التى فيها المال مدفوناً. فسأل عن سبب معرفته بها فذكر أنّه كان يخرج من

١. وفى الأصل: قباطاق (دون الهمزة). وفى مط: فناء طاف!
٢. وفى الأصل: يكاق (مكان؟). وفى مط: يكان (بإعجام الأوّل).

الخزانة ويستدلّ على أنّه لدفين، ثمّ يتّتبع الأثر سرّاً. فلمّا عرف البيت الذى فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طلب له ثقة وضمّ إلى نجاح خادم المتقى، فاستخرج شيء كثير فى قدور كبار منها عين ومنها ورق. فلمّا فرغ ممّا وجد بذل للحفّارين أن يأخذوا التراب باجرتهم فامتنعوا، [40] فأطلق لهم ألفى درهم ثمّ تقدّم بغسل التراب فغسل وأخرج منه ستّة وثلاثون ألف درهم.

وكان بجكم قد دفن فى الصحارى ولم يقتصر على ما دفنه فى البيوت فكان الناس يتحدّثون أنّه إذا دفن فى الصحراء شيئاً ومعه من يعاونه قتله لئلاّ يدلّ على ما يدفنه فى وقت آخر فبلغ بجكم ما يقوله الناس فعجب منه.

فحكى سنان بن ثابت قال:

قال لى بجكم: فكّرت فيما دفنته في دارى من المال وقلت قد يجوز أن يحال بينى وبين الدار بحوادث تحدث فلا أصل إليها فيتلف مالي وروحي، إذ كان مثلى لا يجوز أن يعيش بغير مال فدفنت فى الصحراء وعلمت أنّه لا يحال بينى وبين الصحراء.

فبلغنى أنّ الناس يشنّعون علىّ بأنّى أقتل من يكون معى. ولا والله ما قتلت أحداً على هذه السبيل. وأنا أحدّثك كيف كنت أعمل: كنت إذا أردت الخروج للدفن أحضرت بغالاً عليها صناديق فرّغ إلى دارى فأجعل فى بعضها المال وأقفل عليها وأدخل من أريد أن يكون معى من الرجال إلى باقى الصناديق التى على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل عليهم وأسيّر بالبغال، ثمّ آخذ أنا مقود القطار وأسير إلى حيث أريد وأردّ من يخدم البغال وأنفرد وحدى فى وسط الصحراء، ثمّ افتح عن الرجال [41] فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله، وأخرج المال فيدفن بحضرتى وأجعل لنفسى علامات، ثمّ أردّ الرجال إلى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال

إلى حيث أريد، وأخرج الرجال فلا يدرون إلى أين مضوا ولا من أين رجعوا، واستغنى عن القتل.

واستوزر المتقى لله أبا الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون وخلع عليه واستحلف أبا عبد الله الكوفى وطلب تكينك فاستتر.

وقدم الترجمان من واسط، فأقرّه المتقى لله على الشرطة ببغداد.

وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم.

ذكر الخبر عن إصعادهم وما آلت إليه أمورهم

لمّا قُتل بجكم اختلف أهل عسكره. فأمّا الديلم فعقدوا الرئاسة لبلسوار ابن مالك بن مسافر الكنكرى، فهجم عليه الأتراك وقتلوه. فانحدر الديلم بأسرهم إلى البصرة مستأمنين إلى أبى عبد الله البريدى وكانوا ألفاً وخمسمائة رجل مختارين منتجبين ليس فيهم حشو. فقوى البريدى بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السلطان وانضاف عسكرهم إليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل. فأصعد البريديون من البصرة إلى واسط. فراسلهم المتقى لله وأمرهم ألّا [42] يصعدوا وأن يقيموا بواسط فأرسلوا:

ـ «إنّا محتاجون إلى مال الرجال فانفذ إلينا ما نُرضيهم[1] به ونحن نقيم.»

فوجّه المتقى لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد أن ردّ عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وانحدر فى جملته تكينك سرّاً من المتقى لله.

وقال الأتراك البجكمية والجنكاتى[2] الذى كان استأمن من جهة البريدى

---

١. نرضيهم: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: يرضيهم.

٢. الجنكاتى: هنا فى الأصل: الجنكلى، وفى سائر المواضع: الجنكاتى. وفى مط: الجنكالى.

للمتقى لله :

ـ «نحن نقاتل بنى البريدى إن جاؤا، فأطلق لنا مالاً وانصب لنا رئيساً.»

فأنفق فيهم وفى رجال الحضرة القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذى وُجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولونى الحاجب وبرزوا مع المتقى لله إلى نهر ديالى.

وعاد عبد الله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين يلتمسون المال. فحمل إليهم معه من مال بجكم أيضاً مائة وخمسين ألف دينار فأخذها وقال :

ـ «أنا أحتاج إلى خمسمائة ألف دينار للديلم. فإن حُملت إلىّ وإلّا فإنّ الديلم لا يمهلوني، وعلى كلّ حال أنا سائر. فإن تلقّانى المال انصرفت، وإلّا دخلت الحضرة.»

فقال المتقى لله لمّا أُدّيت رسالته :

ـ «أنا قد أنفقت فى الأتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفى غيرهم جملة فمن أين أعطيه ما طلب؟ دعه يرد الحضرة ويعمل ما شاء، فإنّى أرجو أن أكفى أمره.»

وسار أبو عبد الله البريدى [43] من واسط نحو الحضرة. فلمّا قرب منها اضطرب الأتراك البجكمية وقلعوا خيمهم[١] واستأمن بعضهم إلى البريدى وسار بعضهم إلى الجنكاتى[٢] إلى الموصل ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفى وسلامة الحاجب ومحمّد بن ينال الترجمان، وتقلّد الشرطة

←

والمثبت فى مد: الجنكاتى (بتغليب هذا الضبط).

١. وفى مط: خيرهم، بدل «خيمهم».

٢. وفى مط: الحيكانى.

مكان الترجمان أحمد بن خاقان، وتأسّف الوزير أبو الحسين على أربعمائة ألف دينار ذهبت ضياعاً. ورهب الناس البريدى رهبة عظيمة لعسفه وتهوّره وطمعه، فهمّ أرباب النعم بالانتقال.

فتحدّث بعض المختصّين بأبى الحسن علىّ بن عيسى قال:

كنت بين يديه أنا وأولاده وأخوه وخواصّه فى تلك الأيّام ونحن نتحدّث بأمر البريدى وموافاته الحضرة ونتجارى جرأته وإقدامه وقلّة اكتراثه وأنّه ينعل الناس بنعال الدوابّ وأشارت الجماعة عليه بألّا يقيم ببغداد وأن يخرج هو وعياله إلى الموصل إلى أبي محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزّعناه وهوّلنا عليه وهو لا يصغى إلى رأينا. فلمّا أكثرنا عليه ترجّح رأيه. ثمّ أطلق لى مائتى دينار على أن أبكّر وأكترى له بها زواريق ليُصعد هو فيها وعياله إلى الموصل. فباكرنى رسوله مع السحر يأمرنى بالمصير إليه [44] وجئت وسألنى فعرّفته أنّى ما مُكّنت من امتثال أمره بمباكرة رسوله واستدعائه إيّاى. فقال:

ـ «ويحك لفكّرت البارحة فيما أشرتم به فوجدته خارجاً عن الصواب مفسداً للدين. أيهرب مخلوق إلى مخلوق؟ اصرف تلك إلى وجوه الصدقة فإنّى مقيم.»

فرددتها إلى خزائنه وأقام. فلمّا قرب البريدى انحدر إليه وتلقّاه فاكرمه أبو عبد الله غاية الإكرام ووفّاه حقّه وأعظمه ومنعه من أن يخرج من طيّاره وانتقل هو إليه وشكر برّه وخاطبه بنهاية الإكرام والتعظيم.

ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان. فنزلوا البستان الشفيعى وتلقّاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والكتّاب والعمّال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذاءات والطيارات والحديديات والزبازب

ما لا يحصى كثرة. فوجّه المتقي إليه يعرّفه أنسه بقربه وحمل له الطعام والشراب والألطاف عدّة ليال وكان يُخدم فى ذلك كلّه خدمة الخلافة. وظهر محمّد بن ينال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدى بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضاً بالوزارة ويصير [45] أبو الحسين إليه بسيف ومنطقة وقباء ويخاطب كلّ واحد منهما صاحبه بالوزارة ثمّ لبس أبو الحسين الدرّاعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطأة الخليفة وذلك لستّ خلون من شهر رمضان فكانت مدّته فيها ثلاثة وثلاثين يوماً وتفرّد أبو عبد الله البريدى باسم الوزارة.

فلمّا كان يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القوّاد إذا حضر[١] أبو الحسين مجلسه أن يجتمعوا ويكلّموه ويتوثبوا عليه ويتهددوه بالقتل ويقولوا أنّه يضرّب[٢] علينا الخليفة ويفسد علينا رأيه.

ففعل الديلم ذلك فى هذا اليوم. فما زال الوزير يسكّنهم ويعرّفهم كذب ما بلغهم عنه، ثمّ قال لأبى الحسين وابنه:

ـ «قوما ادخلا الرواق.»

يوهمهما أنّه يريد أن يخلّصهما من القتل. فدخلا الرواق ووكّل بهما، وانصرف القوّاد وحصلا فى قبضه. ثمّ قال لهما بعد أيّام:

ـ «يا أبا الحسين قد قلدتك الإشراف على واسط وأجريت لك ألف دينار فى كل شهر، فامض إلى عملك مع ابنك.»

فحملا إلى واسط ومنها إلى البصرة. ولمّا قبض عليه استكتب المتقى لله على خاص أمره أبا العبّاس أحمد ابن عبد الله الإصبهانى واعتلّ أبو الحسين

١. إذا حضر: كذا فى الأصل. والمثبت فى مد: إن أحضر. وفى مط: إن حضر.
٢. فى مط: يصرف، بدل «يضرّب».

بعد مدّة [46] بالبصرة ومات بها.

ولم يلق الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار السلطان وذهب إليه الأمير أبو منصور ابن المتقى لله وهو فى النجمى ليسلّم عليه فلبس أبو عبد الله البريدى قباء أسود وعمامة سوداء وتلقّاه في أحسن زيّ وأوفر عدّة ونثر عليه دنانير ودراهم. وراسل الوزير أبو عبد الله البريدى المتقى لله على يد القاضى أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخِرَقى وأبى العبّاس الاصبهاني يطالبه بحمل مال، فحمل إليه مائة وخمسين ألف دينار. فأخذها وراسله بأنّه لابدّ من خمسمائة ألف دينار.

فالتوى المتقى لله فقال للقاضى:

ـ «انصحه وقل له: أما سمعت خبر المعتز بالله والمهتدى بالله والمتوكّل على الله؟ والله لئن خلّيتك والأولياء لتطلبنّ نفسك فلا تجدها وأنت أبصر. إنّما الديلم وافوا لأجل المال الذى أخذته لا إلى بغداد وعندهم أنّهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا يمين[1] لك فى رقابهم.»

وكان الجواب عن هذه الرسالة الإنعام، وحمل إليه خمسمائة ألف دينار. فاستوفاها عن آخرها فى سلخ رمضان ووهب للقاضى الخِرَقى[2] منها خمسة آلاف دينار. ولمّا حصلت الأموال عند البريديين انصرفت أطماع الجند كلّهم إليه وكان البريدى [47] يبعث الجند على طلب الأموال من الخليفة ويحملهم على الشغب. فلمّا استصفى مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه. وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيج بن الفاراضى[3]

١. يمين: كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: منن.

٢. الضبط من مد. وفي مط: الحرفي.

٣. كذا فى مد ومط: الفاراضى. وما فى الأصل يشبه أن يكون: القلاصى.

الديلمى فرأس الأتراك على أنفسهم تكينك غلام بجكم وانحاز الديلم باجمعهم إلى دار السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التى كان ينزلها.

ونفر الجيش عن أبى عبد الله البريدى وصار تكينك إلى الديلم وتضافروا وكان سبب ذلك أنّ تكينك لم يكن كبيراً في نفوس الأتراك. فأرسل إليه كورَنكيج وخدعه وقال له:

- «إن تفرّد كلّ واحد منّا عن صاحبه ضعف، وأرى أن نجتمع وتصير أيدينا واحدة.»

فانخدع له وصار إليه فاجتمعوا فلمّا تمكّن منه عاجله بالقبض عليه إلّا أنّه استعان به في العاجل لمّا اجتمعوا وواقفه[1] على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده. فاتّفقوا على ذلك وقصدوا بأجمعهم النجمى وعاونهم العامّة فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب فى الماء ووثبت العامّة. فى الجانب الغربى بأسباب أبى عبد الله البريدى وقُتل نعجة[2] القرمطى.

فهرب الوزير أبو عبد الله البريدى وأخوه وابنه وانحدروا إلى واسط فى [48] الماء ونهبت داره في النجمى ودور قوّاده ونهب بعض المال الذى كان حمله إليه المتقي فى ذلك اليوم. لأنّ هربه كان يوم الإثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل إليه من بقيّة المال فى ذلك اليوم. واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونهبت داره وظهر سلامة الطولوني وبدر الخرشَني. فكانت مدّة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوماً. ولمّا هرب البريدى حصلت الإمارة لكورنكيج يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شوّال.

---

١. وفي مط: واقعه.

٢. كذا فى الأصل: نعجة. فى مط: نفحه (بالإهمال).

ذكر إمارة كورَنكيج

فلمّا كان يوم الخميس لثلاث خلون منه لقى كورنكيج المتقى لله فـقلّده إمارة الأمراء وعقد له لواء وخلع عليه. وكان يكتب له رجل من أهل إصبهان يعرف بأبى الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقى لله أبا الحسن علىّ بـن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبّر الأمر عبد الرحمن من غير تسمية بـوزارة. وقبض الأمير أبو شجاع كورنكيجُ على تكينك يوم السبت لخمس خلون من شوّال وغرّقه ليلا.

وفى يوم الجمعة اجتمعت العامّة فى الجامع مـن دار السـلطان وضـجّوا وتظلّموا من الديلم ونزولهم فى دورهـم بـغير أجـرة وتـعدّيهم عـليهم فـى معاملاتهم. فلم يقع إنكار لذلك. فمنعت العامّة الإمام من الصـلاة وكسـرت المنبر وشغب الجند. فمنعهم الديلم من ذلك [49] فقتل بين الفريقين جماعة.

واستوزر أبو إسحاق محمّد بن أحمد الإسكـافى المـعروف بـالقراريـطى للمتقى لله فكانت مدّة نظر عـلىّ بـن عـيسى وأخـيه عـبد الرحـمن تسـعة أيام.

ذكر السبب فى وزارة القراريطى

حكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى قـال: كـنت بـحضرة كورنكيج مع كاتبه أبى الفرج وفى مجلسه علىّ بن عيسى وعـبد الرحـمن أخوه والقراريطى فطالب كورنكيج أبا الحسن علىّ بن عيسى بالمال وعرّفه حاجته إليه لإعطاء الرجال فبلّح[1] هو وأخوه وذكر أنّ المال قد استنظف من

---

١. بلّح: أعيا وعجز.

النواحى وأنّه لا وجه له. قال: فقال القراريطى ونحن فى المجلس فيما بينى وبينه:

ـ «إن رُدّ الأمر إليّ أقمت به واستخرجت ما يُدفع إلى الرجال ويفضُل بعده جملة وافرة.»

فاجتمعت مع أبي الفرج كاتب كورَنكيج وعرّفته ما خاطبنى به. فالتمس أن يصير إليه فى خلوة ليسمع كلامه. فأحضرته في غد فأعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوهاً لجملة من المال فذهب إلى صاحبه كورنكيج فعرّفه أن علىّ بن عيسي وأخاه قد بلّحا وأنّ القراريطى قد حضر وذكر أنّه يقوم بالأمر ويزيح علل الرجال حتّى لا يقع إخلال بشىءٍ يحتاج إليه. فاستروح كورنكيج إلى ذلك وأمره باحضاره ليلاً فأحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام [50] بكلّ ما يحتاج إليه ولم يبرح حتّى انعقد له الأمر ووقّف المتقى لله عليه.

وأخرج إصبهان الديلمى إلى واسط من قبل الأمير أبى شجاع كورنكيج لمحاربة البريدى وكان أبو يوسف قد أصعد من البصرة إلى واسط. فلمّا سمعوا بانحدار إصبهان الديلمى انحدر البريديّون إلى البصرة وظهر ابن سنجلا وسلفه على بن يعقوب من استتارهما وصارا إلى دار الوزير أبى إسحاق القراريطى ليسلّما عليه. فقبض عليهما من داره قبل أن يصلا إليه وحملهما إلى دار السلطان وكتب فيهما رقعة إلى المتقى لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين ألف دينار.

وفى هذه السنة سار محمّد بن رائق من الشام إلى مدينة السلام لمّا بلغه قتل بجكم.

ذكر الخبر عن مسير ابن رائق من الشام ودخوله بغداد وما آل إليه أمره

كان الأتراك البجكمية مثل توزون[1] وخُجخُج ونوشتكين وصيغون وكبارهم لمّا انصرفوا من بغداد بعد قتل بجكم وإصعاد البريدى صاروا إلى الموصل. فحاد عنهم أبو محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه فى إطلاق نفقاتهم فأطلق لهم ربع رزقة، فتقدّموا إلى ابن رائق بالشام فصحّ عنده قتل بجكم بمصير الأتراك إليه، وكتب إليه المتقى يخبره بقتل بجكم ويخاطبه [51] بخطاب جميل ويستدعيه إلى الحضرة فسار من دمشق. فلمّا قرب من الموصل كتب كورنكيج إلى إصبهان الديلمى بأن يصعد من واسط فأصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ إلى واسط متقلّداً لها ولم يتمّ أمره ورجع من الطريق. ولمّا وصل ابن رائق إلى الموصل حاد عنه أبو محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما مراسلة تقرّر فيها أن يحمل أبو محمّد إلى ابن رائق مائة ألف دينار. فأخذها وانحدر إلى بغداد وعاد أبو محمّد بن حمدان إلى الموصل.

ولمّا كان يوم الأحد لخمس بقين من ذى القعدة قبض كورنكيج على القراريطى. فكانت مدّة وزارته ثلاثة وأربعين يوماً وقلّد الوزارة أبا جعفر محمّد بن القاسم الكرخي ولقى المتقى لله فى هذا اليوم وخلع عليه.

وورد الخبر بدخول بنى البريدى واسطاً لمّا انصرف عنها إصبهان الديلمى وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم.

وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهزم كورنكيج واستتر.

---

١. وفى مط: قوزون.

ذكر الخبر عن هزيمة كورَنكيج
واستتاره باتّفاق وحرب

لمّا قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيج منها وانتهى إلى عُكْبَرا وقلّد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق إلى كورنكيج وابتدأت الحرب واتّصلت أياماً متتابعة كانت [52] على ابن رائق.

فلمّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة دخل ابن مقاتل بغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق. وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربى ونزل فى النجمى وعبر فى غداة غد هذا اليوم إلى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلّم عليه واستركبه فركب معه فى دجلة إلى زقّة الشمّاسية[1] وانحدرا من وقتهما إلى دار السلطان فصعد المتقى لله إليها وعبر ابن رائق إلى النجمى.

ولمّا كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى كورنكيج فى جيشه من عُكْبَرا على الظهر بغداد هو وأصحابه وهم فى نهاية التهاون بابن رائق ومن معه وكانوا ينهرون ويقولون: «أين نزلت هذه القافلة الواردة من الشام.»

ولمّا وصل كورَنكيج إلى دار السلطان دفع عنها وكان فيها لؤلؤ وبدر الخَرشَني فانصرف كورَنكيج ونزل فى الجزيرة التى بين يدى اصطبل مربط الجمال وخزانة الفرش ويعرف اليوم بدار الفيل.

فتحدّث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك أنّه كان عمل على الإنصراف والرجوع إلى الشام لمّا دخل كورنكيج بغداد وأنّه حُمّل ثقله وابتدأ بالمسير.

---

١. فى مط: رقّة الشواسيه. وما فى الأصل مهمل فى الأول. وفى مد: زقّة.

قال: ثمّ قلت في نفسي أنصرف وأسلّم هذا الأمر. فلم تطب نفسي وقلت لفاتك حاجبي: استوقف الناس. فاستوقفهم فلم يقفوا حتّى بادر إلى بغل من بغال النقل فعرقبه. [53] فوقف حينئذٍ الناس وعبرت نحو من مائة رجل من أصحابي مع محمّد بن جعفر النقيب على الظهر إلى الجانب الشرقي وعبرت أنا في سميريّة ومعي سباشي الخادم التركي ونحو من عشرين سميريّة فيها غلمان. واتفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد. فلمّا رشقنا[1] الديلم بالنشاب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامّة، فاضطربوا ونخبت قلوبهم وقدّروا أنّ الجيش قد وافاهم من خلفهم وأنّهم قد ملكوا ظهورهم فانهزموا وأخذهم الرجمة من العامّة وطرحت السُّتر عليهم وهرب كورنكيج واستتر. وقيل: ما عرف أصحابه أيّ طريق أخذوا وثبت أمرنا.

ذكر الخبر عن قتل الديلم
وإمارة ابن رائق

لمّا استتر كورنكيج وتقطّع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله أحمد بن عليّ الكوفي لابن رائق وعاد إلى خدمته. وأمر ابن رائق بقية الديلم المستأمنة بطرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه إلى جماعة منهم كانوا تحصّنوا في حصن بالقرب من جسر النهروان فرجعوا ودخلوا الدار المعروفة بدار الفيل فكانوا نحو أربعمائة رجل لم يجسروا أن يتفرّقوا.

فلمّا كان يوم الإثنين لخمس بقين من ذي الحجّة وجّه ابن رائق برجّالته[2] السودان إلى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن اجتمع هناك من الديلم فقطعوهم

---

١. كذا في الأصل: رشقنا. في مط: رشقوا.

٢. وفي مط: برجال.

فلم يسلم منهم [54] إلّا رجل يقال له: خذاكرد،[١] وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجوالقات إلي دجلة ورمى به مع غمرة[٢] فعاش مدّة طويلة بعد ذلك.

وكان ابن رائق استأسر[٣] من قوّاد الديلم بضعة عشر قائداً. فوجّه بهم إلى دار فاتك حاجبه وأمره بضرب أعناقهم فضربت أعناقهم صبراً في داره.

وكان من المنهزمين من الديلم قوم مضوا في الهزيمة إلى طريق خراسان. فلمّا تجاوزوا جسر النهروان باتوا في بعض الخانات، فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم.

ولمّا كان يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذى الحجّة خلع المتقى لله على ابن رائق وطوّقه وسوّره بطوق وسوار مرصّعين بالجوهر وعقد له لواء وقلّده إمرة الأمراء وألزم أبو جعفر الكرخي بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة وخمسين يوماً.

ودبّر الأمور أبو عبد الله أحمد بن علىّ الكوفى كاتب الأمير أبى بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأُطلق أبو إسحاق القراريطى إلى منزله، ووُجد كورنكيج فأُخذ وحمل إلى دار السلطان.

ودخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

واستوحش ابن رائق من بنى البريدى لأنّهم ما حملوا شيئاً من مال واسط والبصرة. فلمّا كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرّم انحدر ابن رائق وهرب البريديون إلى البصرة وسفر بينهم [55] الكوفى إلى أن ضمن البريدى

١. وفي مط: حنداكرد، بدل «خذاكرد».
٢. وفي مط: غيره، بدل «غمرة». وفي مد أيضاً: غمرة.
٣. استأسر: كذا في الأصل، والمثبت في مد: استامر (خلافاً للأصل). وفي مط: قد أمر.

البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثمّ بستمائة ألف دينار في كلّ سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق إلى بغداد.

وفيها دخل العبّاس بن شقيق ومعه رأس ماكان بن كاكي[1] الديلمي مع هدايا صاحب خراسان إلى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهابي، وشُهر رأس ماكان في شذاءة وكان علي الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة والرأس ومرّ من الجانب الآخر من الخوذة.

وفيها شغّب الأتراك على ابن رائق وخرجوا إلى المصلّي ومعهم توزون ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنّي عليه ورحلوا سحر يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر إلى البريدي بواسط. فلمّا وصلوا إليه قوى بهم جانبه واحتاج ابن رائق إلى مداراته.

ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر وأنفذ إليه الخلع مع الطيب ابن سوسن. واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد بالحضرة وأوصله إلى المتقي لله إلّا أنّ المدبّر للأمور كلّها أبو عبد الله الكوفي.

ووردت الأخبار بعزم البريدي على الإصعاد إلى بغداد. فأزال ابن رائق عنه اسم الوزارة وعزله بأبي إسحاق القراريطي ولزم أبو جعفر [56] ابن شيرزاد منزله واستتر.

وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق والوزير أبو

---

١. كاكي: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: كالي (خلافاً للأصل).

إسحاق القراريطى والجيش. وساروا على الظهر وبين أيديهم المصاحف المنشورة والقرّاء واستنفر العامّة لقتال البريديين. ثمّ انحدروا إلى داره فى دجلة من باب الشماسية واجتمع خلق من العيّارين بالسكاكين المجرّدة في جميع محالّ الشرقى من بغداد. وفى يوم الجمعة لُعن بنو البريدى على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد.

ذكر أبي الحسين البريدى فى إصعاده إلى بغداد

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً فى الجيش إلى بغداد ومعه غلمان أخيه أبى عبد الله والأتراك والديلم. فلمّا قرب من بغداد استأمن كلّ من كان معه من القرامطة إلى ابن رائق واستعدّ ابن رائق للقتال وعمل على أن يتحصّن في دار السلطان فسَدّ أكثر أبواب دار السلطان والثلم فى سورها ونصب العرّادات والمنجنيقات على السور وعلى شاطئ دجلة فى فناء الدار وطرح حول الدار الحسك والحديد واستنهض العامّة وفرض بعضهم. فصار ذلك سبباً لتوزّع العصبيات بينهم واتصال الحروب وافتتن الجانب الغربى وأحرق نهر طابق ممّا يلى دار البطيخ واتصلت الكبسات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واستُقفي[1] الناس نهاراً وليلاً وقتل بعضهم [57] بعضاً قتلاً ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنة.

وبرزت خيم السلطان إلى نهر ديالى وخرج ابن رائق إلى الحلبة والقوّاد معه. فلمّا كان يوم الإثنين للنصف من جمادى الآخرة عبر أصحاب أبى الحسين البريدى نهر ديالى وكان لؤلؤ مقيماً على شاطئ النجمى وبدر

---

١. استُقفي: كذا في الأصل ومط. والمثبت فى مد: واستغفر (خلافاً للأصل). استقفى فلاناً بالعصا ونحوه: جاء من خلفه وضرب قفاه بها.

الخرشنى بالمصلّى وما زالت الحرب بين البريدى وابن رائق إلى وقت الظهر وما زالت الحرب فى الماء منذ ذلك اليوم إلى يوم السبت لتسع بقين من جمادي الآخرة. فاشتدّت الحرب على الظهر وفى الماء، وأوقع الديلم بالعامّة الذين فُرصوا[١] ودخل الديلم من أصحاب البريدى دار السلطان من جهة الماء وملكوا الدار فخرج المتقى وابنه منها هاربين فى نحو عشرين فارساً فخرجا إلى باب الشمّاسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه ولؤلؤ ومضوا إلى الموصل.

واستتر القراريطى الوزير فكانت مدّة وزارته أحداً[٢] وأربعين يوماً.

وقتل الديلم من وجدوا فى دار السلطان ونهبوها نهباً قبيحاً ودخل الديلم دور الحُرم. وأقام البريدى أبو الحسين فى حديدية أيّاماً على باب الخاصّة ووُجد فى دار السلطان ابن سنجلا وعلىّ بن يعقوب فأُطلقا. وأمّا كورنكيج فقيّده وحدره إلى أخيه أبى عبد الله فكان آخر العهد به. ووُجد القاهر فى محبسه فأُقرّ فيه من دار السلطان.

فلمّا كان بعد أيّام صعد أبو الحسين البريدى [58] ونزل في دار مونس وهى التى كان ينزلها ابن رائق وقلّد أبا الوفاء توزون الشرطة فى الجانب الشرقي ونوشتكين الشرطة فى الجانب الغربى وأخذ الديلم فى النهب والسلب وكُبست الدور وأُخرج أهلها ونُزلت ولم يزل الناس على ذلك إلى أن تقلّد توزون ونوشتكين الشرطة، فإنّ الفتنة سكنت قليلاً. وأخذ أبو الحسين البريدى حُرم توزون وابنيه وعيالات أكثر القوّاد والأتراك وأنفذهم إلى أخيه ليكونوا رهائن فى يده.

وغلت الأسعار ببغداد وظلم البريدى الظّلم المعروف لهم وافتتح الخراج

١. فُرصوا (بالصاد المهملة): كذا في الأصل. وفى مط: فرضوا (بالمعجمة). وهو المثبت في مد.
٢. وفي الأصل: أحد.

في اذار فخبط التّنّاء حتّى تهاربوا وافتتح الجوالى وخبط أهل الذمة وأخـذ الأقوياء بالضعفاء ووظف على كرّ من الحنطة سبعين درهـماً وعـلى سـائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كرّ كان للتجار ورد من الكوفة وادعى أنّه للحسن بن هارون المتقلّد كان للناحية وهرب خجخج إلى المتقى لله وكان أُخرج إلى برزج سابور والراذانين.

وكان توزون ونوشتكين والأتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدى فغدر نوشتكين بتوزون ونَمي الخبر إلى أبي الحسين البريدى فتحرّز وأحضر الديلمَ دارَه واستظهر بهم. وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغُلّقت الأبواب دونه وانكشف لتوزون غدر نوشتكين [59] فلعنه وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الأتراك إلى الموصل واضطرب العامّة وقاتلوا البريدى.

ولمّا صار توزون وخجخج والأتراك إلى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على أن ينحدر مع المتقى لله إلى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدى وكتب إلى أخيه يستمدّه فأمدّه بجماعة من القوّاد والديلم وأخرج أبو الحسين مضربه إلى باب الشمّاسية وأظهر أنّه يحارب ابن حمدان إن وافى. وذلك كلّه بعد أن قتل محمّد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على إثر هذا الحديث.

فلمّا قرب المتقي وأبو محمّد بن حمدان من بغداد انـحدر أبـو الحسـين هارباً وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلاً في يده يطالبه مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهّاب وعليّ بن عثمان بـن النـقّاط ومـن أشـبههم. فاضطرب العامّة ببغداد زيادة اضـطراب ونـهبت الدور وتسلّح النـاس فـى الطرقات ليلاً ونهاراً وكانت مدّة أبي الحسين البـريدى بـبغداد ثـلاثة أشـهر وعشرين يوماً.

ولمّا وصل المتقى لله وابناه ومحمّد بن رائق ومن معهم إلى تكريت وجدوا

هناك وهم مصعدون إلى الموصل بعدُ، أبا الحسن علىّ بن عبد الله بن حمدان. وذاك أن ابن رائق لمّا قرب البريدى من بغداد كتب إلى أبى محمّد ابن حمدان يسأله مدداً ومعاونة على قتاله. فأنفذ أبو محمّد أخاه فلم يلحقهم إلّا بتكريت [60] وقد انهزموا وأخذوا طريق الموصل.

فلمّا التقوا أقام علىّ بن حمدان للمتقى لله وابنه وابن رائق والقوّاد كلّ ما يحتاجون إليه من الميرة والثياب والفرش والدراهم وما قصر فى أمرهم وساروا بأجمعهم إلى الموصل. فلمّا وصلوا إليها حاد عنها أبو محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر إلى الجانب الشرقى ومضى إلى نواحى مَعْلَثايا[1].

فمازالت الرسل تتردّد بينه وبين محمّد بن رائق إلى أن توثّق بعضهم من بعض بالأيمان والعهود والمواثيق حتّى أنس أبو محمّد وعاد فنزل فى الشرقى بإزاء الموصل.

ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق

فعبر إليه الأمير أبو منصور ابن المتقى لله ومعه أبو بكر ابن رائق[2] يوم الإثنين لتسع بقين من رجب ليسلّموا عليه. فلقيهم أجمل لقاء ونثر على الأمير أبى منصور الدنانير والدراهم. فلمّا أراد الإنصراف من عنده ركب الأمير أبو منصور ثمّ قُدّم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب فأمسك أبو محمّد بن حمدان كمّه وقال له:

ـ «تقيم اليوم عندى لنتحدّث، فإنّ بيننا ما نتجاراه.»

فقال له ابن رائق:

---

١. مَعْلَثايا: بليدة قرب جزيرة ابن عمر من نواحى الموصل (مراصد الإطّلاع).

٢. وفى مط: راتق، بدل «رائق».

ـ «اليوم لا يجوز لأنّي أريد أن أرجع مع الأمير ولكن يكون يوماً آخر.»

فألحّ عليه ابن حمدان إلحاحاً استراب به ابن رائق فجذب كمّه من يده حتّي تخرّق، وكان رجله في الركاب فشبّ به الفرس فوقع [61] وقام ليركب فصاح أبو محمّد بغلمانه وأمرهم بالإيقاع به وقال:

ـ «ويلكم لا يفوتكم.»

فوضعوا عليه السيوف وقتلوه.

وأرسل أبو محمّد ابن حمدان إلى المتقى لله أنّه وقف على أنّ ابن رائق أراد أن يغتاله ويوقع[1] به فجرى في أمره ما جرى فردّ المتقى عليه الجواب يعرّفه أنّه الموثوق به ومن لا يشكّ فيه ويأمره بالمصير إليه فعبر ولقيه.

ذكر إمارة أبي محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان

فخلع عليه المتقى وعقد له لواء ولقّبه ناصر الدولة وجعله أمير الأمراء وكنّاه، وكان ذلك مستهلّ شعبان، وخلع على أخيه علىّ وعلى أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب إلى القراريطى بتقليده الوزارة وذلك في شوّال وجلس في داره وقلّد وعزل وأمر ونهي وضبط الأمر إلى أن وافى المتقى وناصر الدولة أبو محمّد.

خبر محاربة البريدى مع ابن حمدان

دخل المتّقى بغداد[2] مع ناصر الدولة أبي محمّد وأخيه علىّ وجميع الجيوش وعملت لهم العامّة القباب ونزل ناصر الدولة وأخوه في البستان

---

١. وفي مط: يوبع، بدل «يوقع».

٢. بغداد: وفي الأصل بالذال الموجهة: بغداذ، في أكثر المواضع.

الشفيعي. ولقى الوزير القراريطى المتقى لله وناصر الدولة. وتقلّد أبو الوفاء توزون الشرطة فى جانبى بغداد وخلع المتقى على الوزير أبى إسحاق القراريطى [62] خلع الوزارة يوم الإثنين لليلتين خلتا من ذى القعدة وفى يوم الخميس خلع المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطُوّقا وسوّرا بطوقين طوقين وأربعة أسورة ذهباً وعلى أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوّق بطوق واحد وسوارين ذهبا.

وورد الخبر بأنّ أبا الحسين عليّ بن محمّد البريدى قد أصعد من واسط يريد الحضرة. فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقى إلى الزبيدية ليكون مع ناصر الدولة وقدّم حُرمه إلى سرّ من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى منها وسار أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان فى الجيش وكان مع أبى الحسين البريدى لمّا أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة والديلم وجيش عظيم.

فكانت الوقعة بين أبى الحسن عليّ بن حمدان وبين البريدى يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الأربعاء مستهلّ ذى الحجّة ويوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث وأربع خلون من ذى الحجّة في القرية المعروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين ومع ابن حمدان توزون وخُجخُج والأتراك. فكانت أولاً على عليّ بن عبد الله بن حمدان وانهزم أصحابه فردّهم ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن. ثمّ صارت على أبي الحسين البريدي. [63]

فانهزم واستؤسر من أصحابه يانس غلام البريدى أبى عبد الله وأبو الفتح ابن أبى طاهر ومحمّد بن عبد الصمد ومذكر البريدى والفرج كاتب جيش البريدى واستأمن إلى ابن حمدان محمّد بن ينال الترجمان وإبراهيم بن أحمد الخراسانى وحصل له جمع الديلم الذين كانوا فى عسكر البريدى وقُتل

جماعة من قوّاد[١] البريدى وعاد البريدى إلى واسط مهزوماً مفلولاً ولم يبق فى علىّ ابن حمدان وأصحابه فضل لأتباعه لعِظم ما مرّ بهم ولكثرة الجراح فيهم.

ولسبع خلون من ذى الحجّة عاد المتقى لله من الزبيدية إلى دار الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحرم من سر من رأى ومن كان هرب إليها من بغداد.

ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة بغداد وبين يديه يانس[٢] غلام البريدى وأبو الفتح بن أبى طاهر والمذكر البريدى مشهرين على جمال وعلى رؤوسهم برانس وكُتب عن المتقى كتاب الفتح إلى الدنيا ولقّب المتقى لله أبا الحسن علىّ بن عبد الله بن حمدان لما فتح هذا الفتح: سيف الدولة، وأنفذ إليه خلعاً وكتب فيه كتاباً. وانحدر سيف الدولة إلى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها إلى البصرة وأقام بها ومعه الأتراك والديلم وسائر الجيش.

ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة [64]

وراسل أبو بكر محمّد بن علىّ بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبى زكريّا السوسى، فأخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل أنّه إن[٣] استقرّ بينه وبين ناصر الدولة مصادرة ينهض بها ويطيب نفسه لها أقام على ظهوره. وإن لم يستقرّ عاد إلى استتاره. فلمّا ظهر تباعد ما بينهما. فقال له ناصر الدولة:

---

١. فى مط: فزاد، بدل «قوّاد».

٢. وفى مط: تانس، بدل «يانس».

٣. ما فى الأصل دون «إن» فزدناها من مط.

ـ «عد إلى استتارك.»

فقال ابن مقاتل:

ـ «لم أجدّ لذلك حداً، فإذا شئت فعلت.»

فضجّ ناصر الدولة من ذلك لأنّه مضطرّ إلى الوفاء بعهده وعلم أنّ الحيلة قد تمّت عليه. فاضطرّ إلى أن فصل أمره على مائة وثلاثين ألف دينار.

ونظر ناصر الدولة في أمر النقد والعيار فأمر بتصفية العين والورق وضرب دنانير سمّاها: الإبريزيّة،[1] من أجود عيار وكتب في ذلك كتاباً.

وفي هذه السنة استولى الديلم على أذربيجان

ذكر السبب في ذلك

إنّ دَيْسَم بن إبراهيم لمّا تمكن من أذربيجان ـ وقد كتبنا خبره فيما تقدّم ـ كان معظم جيشه الأكراد إلّا طائفة يسيرة من بقية عسكر وُشمكير اختاروا المقام معه حين ردّ عسكر وشمكير إليه. فتبسّط عليه الأكراد وزاد أمرهم في الإدلال والتحكّم إلى أن صاروا يتغلّبون على حدود أعماله فنظر في أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم إلّا الديلم. فاجتذب جماعة من أكابرهم [65] منهم صعلوك بن محمّد بن مسافر وأسفار بن سياكولي[2] وجماعة من أمثالهم وصار إليه بجماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قوّاد بجكم فنفاه بجكم من عسكره لشيء أنكره منه يقال له: عليّ بن الفضل الصولي، فأفضل عليه ديسم وموّله وعظّم محلّه فاجتذب الديلمَ إليه. فلمّا قويت شوكة ديسم بهم انتزع من يد الأكراد ما كانوا تغلّبوا عليه وقبض على جماعة من

---

١. وزاد فيه صاحب التكملة: وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان عشرة. (من حواشي مد).

٢. ما في مط: مهمل تماماً.

رؤسائهم وازداد من عدّة الديلم واستظهر بهم.

وكان يتولّى[١] وزارته أبو القاسم علىّ بن جعفر وكان من كتّاب أذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به. فأخافه ديسم وأوحشه حتى هرب منه إلى الطرم ليعتصم بمحمّد بن مسافر فوافق وصوله إليه الوقت الذى استوحش فيه ابناه منه: وهسوذان والمرزبان، وملكا عليه قلعته المعروفة بسميران[٢] وكان السبب في وحشتهما قبح سيرته وسوء معاملته لأهل بيته وقبضه عليهم لغير ذنب كبير وذلك لشرّ كان فى طبعه. وكان استوحش منه وهسوذان فصار إلى أخيه المرزبان وكان فى قلعة من قلاع أبيه بالطرم فعلم محمّد بن مسافر أنّه لا يتمكن من القبض عليه إلّا بعد أن يفرّق بينه وبين أخيه فكتب إلى المرزبان يستدعيه فقال وهسوذان له:

ـ «انى لا أقيم فى القلعة بعدك.»

وأعلمه أنّه إن [66] فارقه تمكّن منه وقبض عليه فقال له المرزبان:

ـ «فاخرج معى.»

فلمّا صاروا فى بعض الطريق ظفرا برسول لأبيهما كان أنفذه سرّاً إلى المقيمين فى القلعة يأمرهم إذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسوذان والاحتياط عليه وعلى القلعة. فعجبا من ذلك وجمعهما الاستيحاش من أبيهما. فوصلا إلى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما إلى قلعة أخرى. فعرّفا أمّهما خراسوية ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فساعدتهما على القلعة وفيها ذخائر محمّد بن مسافر وأمواله فاستوليا عليها وتمكّنا منها. فلمّا

١. يتولّى: كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: متولّى.

٢. وفى الأصل: شميران (بالشين المعجمة). وفى مط ومد: سميران. وسميران قلعة حصينة على نهر جارٍ بين جبال ولاية تارم، خرّبه صاحب ألموت، وهى قلعة ملك الديلم (مراصد الإطلاع). وشميران بلد بأرمينية وقرية بمرو الشاهجان (مراصد الإطلاع).

عرف محمّد بن مسافر ذلك تحيّر فى أمره وحصل فى القلعة التى كان قصدها وحيداً قد فرّق بينه وبين نعمته.

فلمّا وصل علىّ بن جعفر كاتِب ديسم إلى هذه الصورة اعتصم بالمرزبان وأطمعه فى أذربيجان فضمن له أن يملكه إيّاها فيوصله إلى أموال جليلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها. فنفق عليه وقرب من قلبه وقلّده وزارته واتّفقا مع ذلك على عصمة فى الدين. وذاك أنّ علىّ بن جعفر كان من دعاة الباطنية وكان المرزبان معهوداً فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو إلى هذا المذهب ظاهراً. فاجتمع له كل ما أراده.

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم [67] ومن هو غير راضٍ عنه ومن لا يرضى مذهب ديسم لأنّ ديسماً كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوه وكان يصحب هارون الشارى أعنى أباه. فلمّا قتل هرب إلى أذربيجان وتزوّج إلى رئيس من أكرادها فوُلد ديسم فاصطنعه ابن أبى الساج وارتقى معه إلى ما ارتقى إليه.

ولم يزل علىّ بن جعفر يضعضع[١] أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم إلى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا:

ـ «إن صار إلينا المرزبان فارقنا ديسماً بأجمعنا.»

فلمّا وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار إلى أذربيجان وسار إليه ديسم. فلمّا صافّه الحرب قلب الديلم تراسهم فى وجهه وصاروا إلى المرزبان وكانوا نحو ألفى رجل واستأمن معهم كثير من الأكراد وحمل عليه المرزبان ففرّق عنه من بقى معه وانهزموا وهرب فى طائفة يسيرة إلى أرمينية واعتصم بجاجيق بن الديرانى لمودّة كانت بينهما، فأحسن ضيافته

١. يضعضع: كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: يصعصع. ولكليهما معنى يناسب العبارة.

وحمل إليه ما يحمل إلى مثله. فاستأنف ديسم يألف الأكراد وعرف خطأه فى الإستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء أن لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل فعصاه[١].

وملك المرزبان أذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه علىّ بن جعفر إلى أن أفسد ما بينه وبينه. [68]

ذكر السبب في ذلك

كان له كاتب يعرف بأبى سعيد عيسى بن موسى ويعرف بعيسكويه، فسعى عليه وأطمع المرزبان في ماله، وكان علىّ بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فتضافروا عليه وعارضوه فى تدبيره وأحس علىّ بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بأن أطمعه فى أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز ـ وتبريز هذه مدينة جليلة وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مثمرة وهى حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار ـ فضمّ إليه المرزبان جستان بن شرمزن ومحمّد بن إبراهيم ودلير بن أورسفناه[٢] والحاجب الحسن بن محمّد المهلبى فى جماعة من ثقاته فسار علىّ بن جعفر إلى تبريز.

فلمّا تمكّن بها استمال أهل البلد وكتب إلى ديسم يتلافاه ويستدعيه ويعده من نفسه أن يقتل الديلم ويوازره حتى يعود إلى مملكته. فأجابه ديسم بأنّه لا يثق به إلّا بعد أن يوقع بالديلم فواطأ أهل البلد على الإيقاع بهم وأعلمهم أنه إنّما حضر لطمع المرزبان فيهم وأنّ الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون إلّا باستئصالهم. فواطأه أهل البلد على الوثوب بهم فى

---

١. فعصاه: كذا في الأصل ومط: والمثبت فى مد: بعصاه. وهو خطأ.

٢. اورسفناه: كذا فى الأصل ومط ومد.

يوم ذكره وأحضر القوّاد المذكورين فى ذلك اليوم فقبض فى داره عليهم وقتل الديلم فصار إلى ديسم فى العسكر الذى اجتمع[1] له.

وكان المرزبان أساء إلى [69] الأكراد الذين استأمنوا إليه. فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم إليه واتصل بالمرزبان ما جرى على الديلم فندم على إيحاش علىّ بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه، واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن محمود وخلع عليه ولقّبه: المختار.

ثمّ استعدّ وسار إلى تبريز وقد سبقه ديسم فجرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهزم الأكراد. فعاد ديسم إلى تبريز متحصناً بها وحامى أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم، وحاصرهم المرزبان وابتدأ فى استصلاح علىّ بن جعفر ومراسلته واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التى بينهما من الدين على أن يعود له. فأجابه علىّ بن جعفر بأنّه لا يريد من جميع ما بذله له إلّا السلامة وأنّه ما فارق ديسماً حين فارقه إلّا هرباً من المكروه ولا فارقه الآن وعاد إليه إلّا هرباً من مثل ذلك وأنّ الذى يلتمسه منه أن يعفيه من العمل ويصونه فى نفسه وحاله ليلزم منزله ويروح ويغدو إليه. فأجابه إلى ذلك وسفر بينهما من الثقات الذين يجمعهم الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن إليه.

واشتدّ الحصار على ديسم فثلم ثلمة فى سور المدينة ليلاً وخرج منها هو وأصحابه إلى أردبيل ولم يجسر المرزبان على اتّباعه فى الوقت، خوفاً من أن يعطف عليه فى صعاليكه [70] ويخرج من ورائه أهل تبريز. فتأخّر عنه وخرج إليه علىّ بن جعفر فوفى له وأقام أهل تبريز على ممانعته.

---

١. كذا فى الأصل ومط: اجتمع. والمثبت فى مد: أجمع.

ذكر ما آل إليه أمر دَيْسَم
بعد حصوله بأردبيل

لمّا عرف المرزبان حصول ديسم بأردبيل خلف على تبريز بعض جيشه وصار فى معظم العسكر إليه واستدعي أخاه وهسوذان إليه فى جماعة من أطاعه وجدّ فى محاصرة ديسم. وكان ديسم استوزر بعد مفارقة عليّ بن جعفر أبا عبد الله محمّد بن أحمد النعيمي، فراسله المرزبان وتلطّف له ووعده أن يستوزره، فاستجاب له وآثره على ديسم وواطأه على التدبير عليه.

ذكر حيلة النعيمى على ديسم
حتى فارق الحصار وخرج إلى المرزبان

أخذ النعيمي فى المشورة على ديسم بأن ينفذ إلى المرزبان وجوه أردبيل ليسألوه الصلح ويعاهدوه ويستوثقوا منه بالأيمان المؤكدة على أن يؤمنه ليدخل فى طاعته وخوّفه من طول الحصار واستيحاش أهل البلد وأنّهم سيواطئون المرزبان ويسلمونه بأن يفتحوا له الباب وأعلمه أنه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له إن لم يبادر بالصلح. ونظر ديسم فى أمره فوجد الصورة قريبة ممّا خوّفه منه وذلك أنّ الحصار كان قد اشتدّ وانقطعت الميرة عنه [71] وعن جنده وعن أهل البلد فالجميع فى شدة والدمدمة كثيرة والناس مستوحشون وعلى يأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه. وأنفذ ديسم إليه وجوه البلد وأعيانهم ومذكوريهم ليتوثقوا له نهاية التوثيق.

وراسل أبو عبد الله النعيمي المرزبان بأن يحتبس هؤلاء الوجوه ولا يردّهم إلى البلد إلّا بعد خروج ديسم إليه، لئلا يتغيّر الأمر أو يحدث ما ينقض رأيه ولأنّ أهل البلد إذا حبس عنهم وجوههم ورؤساؤهم اجتمعوا عليه ولم

يمهلوه، وعرّفوه أنّه قد أمن على نفسه بالأيمان التى سألها وسكن إلى ما بذل له وليس لتأخره عن الخروج وجه ويشيّد هو أيضاً كلامهم ويؤيّده ولا يقنع منه إلّا بالخروج إليه فى أسرع وقت وأقربه.

ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول رؤسائهم فى يد المرزبان فخرج إليه. فلما أتاه خبره تلقّاه وأكرمه وأعظمه ووفى له بكل ما واقفه[١] عليه وقلّد أبا عبد الله النعيمى وزارته وقبض على ابن محمود وسلّمه إليه فصادره وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج أموالاً عظيمة. واستقامت أمور المرزبان وخُطب له [72] على جميع منابر أذربيجان.

حثٌّ على الإعتبار بما كان

فليعتبر الناظر فى هذا الكتاب هل أُوتى هؤلاء الملوك إلّا من سوء تحفّظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقّدها بلذّاتهم وشهواتهم، وإغفالهم[٢] أمر أصحاب الأخبار وتركهم تعرّف نيات وزرائهم وقوّادهم وأمور عساكرهم، وتعويلهم على الاتّفاقات والدول التى لا يوثق[٣] بها، وقلّة تصفّحهم أحوال الملوك قبلهم ممّن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم ونيّات أصحابهم بضروب الضبط: أولاً بالدين الذى يحفظ نظامهم ويملك سرائرهم ثمّ بأصحاب الأخبار الثقات والعيون المُذكاة على مدبّرى أمورهم والتفقّد لهم يوماً يوماً

١. واقفه: كذا فى الأصل. وفى مط ومد: وافقه، خلافاً للأصل.
٢. وفى مط: اعتقالهم، بدل «إغفالهم».
٣. وفى مط: لايوبه بها، بدل «لا يوثق بها».

وحالاً فحالاً، وترك إيحاشهم ما أمكن، ومداراة من تجب مداراته، والبطش بمن لا حيلة فى استصلاحه ولا دواء لسريرته.

وقد كان حصفاء الملوك يخرجون من خزائنهم الأموال العظيمة جداً إلى أصحاب الأخبار ولا يستكثرونها فى جنب ما ينتفعون به من جهاتهم.

فأما ما انتهى إليه أمر ديسم فإنّه خاف بعد ذلك على نفسه وسأل المرزبان أن يخرجه إلى قلعته بالطرم ليقيم فيها مع أهله ويقبض على ارتفاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار فى السنة وهو دون ما كان يبذله المرزبان له ويتكلّفه من مؤونته.[73] فأجابه إلى ذلك وحصل فى القلعة مصوناً فى أهله ونفسه وضياعه.

ودخلت سنة إحدي وثلاثين وثلاثمائة

وفيها وافى الأمير أبو الحسين أحمد بن بويه إلى عسكر أبى جعفر بإزاء البصرة وأظهر أنّ السلطان كاتبه فى حرب البريدى. فأقام مدّة يحاربهم ثمّ استأمن جماعة من قوّاده إلى البريديين مثل روستاباش وغيره. فاستوحش من المقام وعاد إلى الأهواز بعد أن استأمن إليه جماعة من عسكر البريدى.

وفيها زوّج ناصر الدولة ابنته من الأمير أبى منصور ابن المتّقى ووقع الأملاك والخطبة بحضرة المتقى ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العقد إلى أبى عبد الله محمّد بن أبى موسى الهاشمى. وكان الخاطب القاضى الخرقى فلحن فى مواضع وجعل الصداق والنحلة واحداً وجعلها صداقاً وكان الصداق خمسمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يحسن أن يعقد التزويج

فعقده ابن أبى موسى.

القبض على القراريطى
وجعلُ اسم الوزارة على أبى العباس الإصفهانى

وفى رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو إسحاق القراريطى إلى ناصر الدولة على رسمه، فقبض عليه وعلى جماعة معه. فكانت مدّة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوماً وجعل اسم الوزارة على أبى العباس أحمد بن عبد الله الإصفهانى وخلع عليه المتقى خلع الوزارة [74] فى دار السلطان لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها إلى دار الأمير ناصر الدولة. فكان يلبس القباء والسيف والمنطقة فى أيام المواكب والمدبر للأمور أبو عبد الله الكوفي وصودر القراريطى والكتّاب والمتصرّفون.

استيفاء عدد الأيدى والأرجل المقطوعة

وكان ناصر الدولة ينظر فى قصص أصحاب الجنايات من العامّة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته وتُعرض عليه الأيدي والأرجل إذا قطعت وتعد بحضرته ويستوفى العدد عليهم لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه.

ذكر ما آل إليه أمر سيف الدولة بواسط
مع الأتراك وما اتصل بذلك من
خبر ناصر الدولة ببغداد

كان سيف الدولة أبو الحسن مقيماً بواسط مفكراً في أن يسير بالجيش

والأتراك إلى البصرة ليفتحها. وكان أخوه ناصر الدولة يدافعه بحمل المال ويضايق الأتراك خاصة وكان توزون وخُجخُج يسيئان الأدب على سيف الدولة بواسط ويتحكّمان عليه حتّى ضاق ذرعاً بهما.

وكان ناصر الدولة قد أنفذ أبا عبد الله الكوفى إلى سيف الدولة أخيه ومعه ألفى ألف درهم وخمسين ألف دينار لينفق في الأتراك. فوثب توزون وخُجخُج به بحضرة سيف الدولة وأسمعاه مكروهاً. فضمّه [75] سيف الدولة إلى نفسه ثمّ ستره فى بيت وقال لهما:

ـ «أما تستحيان منّى فتجاملانى في كاتبى.»

ثمّ واقف[١] سيف الدولة كاتب خجخج أن يسير خجخج إلى المذار ويسوّغه ارتفاعها إذا حماها وواقف[٢] أبا علىّ المسيحى كاتب توزون على المسير بتوزون إلى الجامدة ويوهب له ارتفاعها وعليه حمايتها. وانتظم هذا التدبير وعاد الكوفى إلى مجلسه بحضرة سيف الدولة ورهب أن يعود إلى منزله وعبر خُجخُج إلى غربى واسط للمسير واستعدّ توزون أيضاً للمسير إلى الجامدة.

فوافى أبو عمرو المسيحى وقت الظهر لثلاث بقين من شوّال هارباً من ناصر الدولة إلى أخيه أبى علىّ المسيحى وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه إليه يقول فيه:

ـ «قد اتّصل طمعك فىّ وانبساطك علىّ وأنا محتمل وأنت مغترّ. وبلغنى إدخالك يدك فى وقف فلان. ووالله لئن لم تخلّصها وتُقصر عن فعلك المذموم لأقطعنّ يديك ورجليك.»

فزعم أبو عمرو المسيحى أنّه قرأه وانحدر وذكر أنه قال له قبل ذلك

١. واقف: كذا فى الأصل بوضوح. وهو ساقط فى الأصل والمثبت فى مد: وافق.
٢. واقف: كذا فى الأصل ومط بوضوح. والمثبت فى مد: وافق.

بأيام:

ـ «يا مسيحيّ، أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحثو التراب. إن بلغ ما تؤمّله له لم يرضك كاتباً لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مثله وشبهه فاستكتبه وأنف منك فصادرك.»

فتلافى سيف الدولة أبا عمرو [76] المسيحي وواراه وراسل توزون وسكّنه. وكان سيف الدولة كثيراً يزهّد الأتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والإستيلاء عليه وعلى مصر ويضرّب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يستحبّون[1] على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقاتهم وينصّون على أن يوفيهم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصغرونه وأخاه.

فلمّا وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له:

ـ «نحتاج أن تحمل مال قائدٍ قائدٍ ورجاله وتوفّينا ذلك بالقبّان وزنة واحدة مالاً مالاً.»

فأجاب إلى ذلك قطعاً للحجّة، وساموه أن يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كلّه وأذن فيه.

وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله الكوفي ليلاً وضمّ إليه ابن عمّه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه إشفاقاً عليه ثمّ وصّى العرب حتّى بلغوا به المدائن. فلمّا كان ليلة الأحد انسلاخ شعبان كبس الأتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره ولزم نهراً بقرب معسكره، فأدّاه إلى قرية تعرف ببرقة ولزم البريّة حتّى وافى بغداد. وأضرم الأتراك النار في عسكره وقد كان بقي من المال المحمول إليه مع الكوفي من عند أخيه شيء لم يفرّق

---

١. تسحّب في حقّ فلان: اغتصبه وأضافه إلى حقّه.

فيهم فنهبوه ونهب جميع سواده [77] فهذا خبر سيف الدولة بواسط.

خبر ناصر الدولة ببغداد

فأمّا خبر ناصر الدولة ببغداد فإنّ أبا عبد الله الكوفى وصل إلى بغداد ولقى ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة إلى باب الشمّاسية وركب إليه المتقى لله فى دجلة يسأله التوقّف عن الخروج من بغداد فعبّر ناصر الدولة غلمانه إلى الجانب الشرقى من بغداد وأكثر جيشه ليوهم الأتراك أنه يعبر ويسير فى الجانب الشرقى.

فلمّا حصل جيشه فى الجانب الشرقى قطع الجسر وسار ناصر الدولة فى الجانب الغربى فنهبت داره، وأفلت يانس غلام البريدى وأبو الفتح ابن أبى طاهر من الحبس وعادا إلى البصرة، واستتر أبو عبد الله الكوفى، وخرج من بقى من الديلم ببغداد إلى المصلّى وعسكروا هناك، وضبط الأتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان، ورحل الديلم من المصلّى ودبّر الأمور بالحضرة أبو إسحاق القراريطى من غير تسمية بوزارة، وانعقدت الرئاسة بواسط لتوزون.

فكانت مدّة إمارة ناصر الدولة أبى محمّد ابن حمدان ثلاثة عشر شهراً وثلاثة أيام.

ذكر ما جرى من أمر توزون بواسط
مع الأتراك بعد هزيمة سيف الدولة
حتّى تمّت له الإمارة

لمّا انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون وخُجخُج إلى معسكرهما وقع الخلاف [78] بينهما وتنازعا الرئاسة ثمّ استقرّت الحال على أن يكون توزون الأمير وجىء بالآس والريحان إليه

على رسم العجم إذا ترأس واحد منهم، وعلى أن يكون خُجخُج صاحب جيش وهو الاسفهسالار، وأمضى القوّاد ذلك عليهما بغير رضى جماعة. ثمّ صاهر القوّاد بينهما وطمع البريدى بواسط فأصعد إليها وتقدّم توزون إلى خجخج أن ينحدر إلى نهر أبان ويراعى من يرد من أصحاب البريدى ويطالعه فنفذ.

ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدى إلى توزون يهنّئه بالإمارة ويسأله أن يضمّنه أعمال واسط ويعرّفه عنه أنّ الرأى تعجّله إلى الحضرة لإخراج ابن حمدان عنها. فأجابه جواباً جميلاً وامتنع من التضمين وقال:

ـ «إذا استقرّت الأمور تخاطبنا فى الضمان فأمّا وأنا بصورتى هذه وأنت تظنّ انى مطلوب خائف من بنى حمدان فلا وعسكرى عسكر بجكم الذى قد جرّبتُ وخبرت وطائفة منهم تفى لك.»

وانصرف عيسى بن نصر وأتبعه توزون جاسوساً.

ذكر سبب قبض توزون على خُجخُج وسمله إيّاه

فعاد إليه الجاسوس وأعلمه أنّه اجتمع مع خجخج وتخاليا طويلاً وأنّ خجخج على الاستئمان إلى البريدى. فسار إليه توزون للثانى عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الأتراك [79] ومائة من الخاصة واشكورج[1] وجماعة من الكبار وكبسه فى فراشه. فلمّا أحسّ به ركب دابة النوبة بقميصه وفى يده لتّ ودفع عن نفسه سويعة ثمّ أخذوه وجاؤا به إلى واسط وسمله توزون وهدأت نار خجخج.

وسعى أبو الحسين علىّ بن محمّد بن مقلة فى الوزارة وراسل المتقى لله

١. وفى مط: اسكورج.

واستصلح قبل ذلك الترجمان وضمن له مالاً فبعث المتقى إليه:

ـ «إنى راغب فيك مائل إليك محبّ لتقليدك، ولكن ليس يجوز أن أبتدئ بذكرك فأصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسمّيك مع جماعة فإنّى أختارك من بينهم.»

ففعل ذلك ولقى المتقى لله وقلّده وزارته وانصرف إلى منزله.

وورد الخبر بنزول سيف الدولة المورفه[1].

ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة إلى بغداد بعد هزيمته وما انتهت إليه حالته

لمّا بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخُجخُج بواسط طمع فى بغداد فوافى الموزفة[2] وظهر المستترون من أصحابه من الجند وخرجوا إليه. وانحدر أبو عمرو المسيحى كاتب توزون إلى واسط مستتراً هارباً إلى صاحبه وانحدر أيضاً الترجمان. وأرجف الناس بانحدار المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على خوف شديد، فأمر المتقى لله بالنداء ببراءة الذمة ممّن أرجف بانحداره. [80]

وجاء سيف الدولة فى يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان إلى باب حرب، فنزل فى المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضرّ الشديد لما لحقهم فى البرّية، وخرج إليه أصحابه ومن يريد الإثبات وجرت بينه وبين المتقى لله رسائل على يد أبى زكرياء السوسى وطالب بأن يُحمل إليه مال، ووعد أن يقاتل توزون إن ورد الحضرة. فحمل إليه المتقى أربعمائة ألف درهم فى دفعات وانضمّ إليه كلّ من بقى بالحضرة من القوّاد وما زال

---

١. ما فى الأصل مهمل، والمثبت فى مد: المروفه. وفي مط: الروقة.

٢. وفي الأصل المروفة (بالإهمال) والمثبت فى مد: المروفة. وما فى مط: المروقة.

يقول في مجلسه:

ـ «ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا في الليل ونحن نيام وإلّا فليحضر نهاراً ونحن مستيقظون.» ونحو هذا من الكلام.

وخلع المتقى لله على الوزير أبي الحسين بن مقلة يوم السبت لإثنى عشر[١] بقيت من شهر رمضان.

ولمّا بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلّف بواسط كيغلغ في ثلاثمائة غلام وأصعد مبادراً من واسط إلى بغداد. ولمّا اتصل بسيف الدولة خبر إصعاده رحل من باب حرب مع من انضمّ إليه من قوّاد الحضرة وفيهم أبو عليّ الحسن بن هارون. ومضى على وجهه.

ودخل محمّد بن ينال الترجمان آذناً[٢] لتوزون إلى بغداد لستّ بقين من شهر رمضان ودخل توزون من الغد ونزل دار مونس [81] واغتنم البريدى بُعد توزون من واسط، فوافاها لثلاث بقين من شهر رمضان، فنهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها وقبض توزون على أبي عمرو المسيحى كاتبه وقلّد كتابته أبا جعفر الكرخي وسُلّم أبو إسحاق القراريطي إلى الوزير أبي الحسين ابن مقلة فصادره.

ذكر الخبر عن تقليد توزون إمرة الأمراء

لمّا حصل توزون ببغداد خلع المتقى عليه وعقد له لواءً وقلّده إمرة الأمراء. وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الأمور كما كان الكوفي ينظر فيها. فأمّا الكوفي فإنّه لحق بسيف الدولة وهرب معه فكان

---

١. وفي مط: لأحدى عشر. وليس ما في الأصل واضحاً تماماً. والمثبت في مد: الإثنى عشر.

٢. ما في الأصل غامض، والمثبت في مد: آذناً. والكلمة ساقطة من مط.

مدّة نظر الوزير أبى الحسين ابن مقلة فى الأمور إلى أن ينظر فيها أبو جعفر الكرخى نحو شهر.

وقد كان كيغلغ لمّا استخلفه توزون بواسط أمره بقتال أبى الحسين البريدى فعجز عنه، فأصعد إلى بغداد ولم يمكن توزون المبادرة بالرجوع إلى واسط إلى أن تستقرّ الأمور بالحضرة، وتدبير[١] جميع ما يحتاج إليه. فأقام مدّة شوّال وأكثر ذى القعدة إلى أن توطّأت الأمور واستقامت.

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاماً له يقال له: ثمل، عزيزاً على سيف الدولة فأطلقه ووهبه لسيف الدولة وأكرمه وأنفذه إليه [82] فى هذا الوقت لما حصل ببغداد، فحسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتّى قال بالموصل:

ـ «توزون صنيعتى وقد قلّدته الحضرة واستخلفته بها».

فسكنت نفس توزون إلى ذلك، وكان مغيظاً على البريدى لقبح ما عامله به.

فانحدر توزون إلى واسط وخلّف الترجمان ببغداد وتقدّم إلى أبى جعفر الكرخى أن يلحق به، وضمّن ضياعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه إليه بمائة وثلاثين ألف دينار فى السنة.

ووافى فى هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاد إلى توزون هارباً من البريدى فتلقّاه توزون فى دجلة وسُرّ به وقال له:

ـ «يا أبا جعفر كملت إمارتى بك وتمّت النعمة عندى لأجلك. أنت أبى وهذا خاتمى ـ فنزعه من يده وأعطاه إليه ـ فدبّرنى وصرّفنى على رأيك.»

فقبّل أبو جعفر يده وسأله أن يمهله، فلم يجبه. وكان أبو الحسن الأسمر[٢]

---

١. كذا فى الأصل بشىء من الغموض، وما أثبتناه يؤيّده مط. والمثبت فى مد: تجهيز.

٢. وفى مط: الإسم، بدل «الأسمر».

واقفاً وجماعة فقال الأسمر:

ـ «بالله يا سيدى، أجب الأمير وتصدّق بصدقة وانظر فى أمره.»

ففعل ونظر فى أمره وأنفذ طازاد ابن عيسى آخر ذلك اليوم إلى الحضرة لخلافته.

فكان مدّة كتابة أبى جعفر الكرخى ونظره نيّفاً وعشرين يوماً.

ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدى والاتّفاق الغريب له فى ذلك

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافى فى ذى الحجّة فى مراكب وشذاءات يريد البصرة فيحارب[1] بنى البريدى [83] وكان معه من يحارب بقوارير النار فأحرق شذاءاتهم وزبازبهم. فملك الأُبلّة وضغطهم. فهرب فى تلك الوهلة أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طازاد وغيره.

فأما سبب هزيمة يوسف بن وجيه بعد تمكّنه فسنذكره.

ذكر حيلة تمّت على يوسف بن وجيه

كان قد استظهر استظهاراً شديداً وقارب أن يملك البصرة وكان مع البريدى ملاّح يعرف بالزيادى. فلمّا ضغط يوسف بن وجيه البريديين وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاّح:

ـ «إن أنا هزمت العدوّ وأحرقت مراكبه ما تصنع بى؟»

فوعده الإحسان إليه إن فعل ذلك.

ولم يعرّفه الملاّح ما يريد أن يعمل وكتم أمره ومضى. فأخذ بالنهار

---

١. فحارب: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: يحارب. خلافاً للأصل.

زورقين وليس يعلم أحد لماذا يريدهما ولم يأخذ معه أحداً من أسباب البريدي ومضى فملأ الزورقين سعفاً ـ ومثل هذا لا ينكر بالبصرة ـ وحدرهما في أوّل الليل ـ ومثل ذلك بالبصرة كثير لا يستراب به ـ وكان رسم مراكب ابن وجيه أن تُشدّ بعضها إلى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر. فلمّا كان في الليل ونام الناس وكلّ من في المراكب، أشعل ذلك الملاّح السعف وأرسل الزورقين والنار فيهما، فوقعا على تلك المراكب والشذاءات فاشتعلت واحترقت قلوسها(١) وتقطّعت واحترق [84] من فيها ونهب الناس منها مالاً عظيماً. وانقلع يوسف ابن وجيه ومضى هارباً على وجهه، وانكشف وجه البريدي ووفى للملاّح بما وعد له.

وفيها استوحش المتقي من توزون.

ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقي وما آل إليه الأمر(٢)

كان الترجمان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقلة خائفاً من توزون لأنه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه وزاد في نفوره. وتقلّد أبي جعفر ابن شيرزاد كتبة توزون وما شكّ أحد أنّ أبا جعفر ابن شيرزاد وافي عن موافقة البريدي فطارت نفس ابن مقلة خوفاً من ابن شيرزاد وأن يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجمان وغيره وساءت الظنون وغلب القنوط على الكافّة من أهل الحضرة. فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقلة وبين الترجمان على مكاتبة ناصر الدولة في إنفاذ من يشيّع المتقي ويخرجه إليه.

---

١. قلوسها: الأصل مهمل في الأوّل. وما أثبتناه يؤيّده مط ومد.

٢. والمثبت في مد: وما آل إليه الأمر فيه (بزيادة فيه).

وقيل للمتقى:

ـ «ثبتَّ للبريدى بالأمس فجرى ما ندمت عليه وأخذ منك خمسمائة ألف دينار وخرجت إلى ناصر الدولة فى دفعته الثانية فأظفرك الله وعُدت موفوراً وقد ضمنك بخمسمائة ألف دينار أخرى.»

وقال لتوزون:

ـ «هى باقية فى يدك من تركة بجكم وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك[1] بعد خلعك.»

فانزعج واعتبر بما مضى على [85] مستأنف أمره. وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد إلى الحضرة فى ثلاثمائة غلام.

موت نصر بخراسان وانتصاب نوح ابنه

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بخراسان وانتصاب نوح ابنه مكانه.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

موافاة ابن شيرزاد بغداد

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد لخمس بقين من المحرّم فدخل بغداد. فلم يشكّ المتقى لله والجماعة فى أنّه إنما وافى لما أرجف به. ولقى المتقى لله فى اليوم الذى وصل إلى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجمان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل. وبادر أبو جعفر بالإنصراف وأمر ونهى وأطلق القراريطى من الإعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير.

ووافى أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب فى

---

١. وما فى الأصل مهمل: لتسليمك؟ ليسلمك؟ والمثبت فى مد: لتسليمك. وفى مط: ليسملك. وله أيضا وجه من الصحّة.

جيش كثير فخرج إليه المتقى لله وحُرمه والوزير وأبو الحسين ابن مقلة والترجمان واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتّابها فلمّا بلغ المتقى تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخبطهم[١].

اشتباك الحرب بين سيف الدولة وتوزون

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ما جرى بالحضرة من خروج المتقى والوزير من بغداد. فجرّد موسى ابن سليمان في ألف رجُل وبادر به إلى بغداد. وامتدّ موسى إلى باب الشمّاسية وعسكر [86] هناك. وأقام توزون حتّى عقد واسطاً على البريدى ثمّ أصعد ودخل بغداد وقلّد الشرطة غلامه صافياً.

وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش ووصل إلى تكريت فتلقّاه الخليفة وسار توزون إلى عكبرا وعبر من الجانب الشرقي إلى قصر الجصّ[٢] بسرّ من رأى وصاعد المتقى لله إلى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو إسحاق القراريطي وأبو زكريا السوسى.

وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت. فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء. فلمّا كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الأعراب بعض سوادهما وملك توزون وشغّب أصحاب توزون فانحدر إلى بغداد.

وتأهّب سيف الدولة للقاء توزون ثانية فانحدر إلى تكريت وخرج توزون إلى باب الشماسية ثمّ سار إلى ناحية أخرى وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة

---

١. كذا في الأصل ومد: خبطهم. وفي مط: خطبهم.

٢. وفي مط: الحيص.

وتبعه توزون. فلمّا وصل سيف الدولة إلى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة والمتقى والوزير وسائر من معهم إلى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد وأبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمى واستخرج [87] ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة ألف دينار.

ورحل المتقى وحرمه ومن معه من نصيبين إلى الرقّة ولحق بهم سيف الدولة، وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوّج ابنته من أبي عبد الله البريدى وعقد الاملاك بالشمّاسية وأنفذ المتقى لله أبا زكريّا السوسى إلى توزون في رسالة يقول فيها:

ـ «إنّى استوحشت منك لأجل البريديين لقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأُبلغت أنكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى. فإن آثرت رضاى فصالح ناصر الدولة وارجع إلى الحضرة. فإنّى إذا رأيتك مطيعاً لي عدتُ واستقامت لك الأمور بى وبرضاى وكان الله عونك.»

قال أبو زكريّا: فلمّا وردت حضرة توزون اتّهمنى وهمّ بقتلى، فخلّصنى ابن شيرزاد وقال:

ـ «أيها الأمير أنا والله سألت أبا زكريا الخروج مع الخليفة لميله إلينا وليكون خليفتنا بحضرته فإن كان متّهماً فأنا متّهم.»

ثمّ أدّيتُ الرسالة فتقبّلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالإجابة وسفرت فى الصلح إلى أن تمّ وصحّ لأبى جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح وبعده زيادة على مائتى ألف دينار، وعقَد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كلّ سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم [88] وانصرف توزون إلى بغداد.

وتواترت الأخبار بنزول الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطاً وكان على وعد من البريديّين بعسكر الماء فأخلفوه وانحدر إليه توزون محارباً له

والتقيا فى الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوماً على اجتهاد شديد بين الفريقين إلّا أنّ توزون كان يتأخّر كلّ يوم ويتقدّم الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم فى مثل ذلك وكثر القتلى من الجانبين إلى أن عبر توزون نهر ديالي وحصل[1] فى الجانب الذى يلى بغداد وقطع جسوراً كان عقدها عليه.

فلمّا صار بينهما النهر ثبت الأتراك وكان مع توزون زبازب وخيل فى الماء فيها غلمان رماة. فكانوا يستولون فى كلّ يوم على قطعة من خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثمّ يحولون بين العسكر وبين الماء فيعطشون[2] هم ودوابّهم. فرأى معزّ الدولة أن يصعد على ديالي إلى نحو جسر النهروان ليبعد عن دجلة ويقرب من الماء ويحتال للميرة. فقد كانت ضاقت عليه وأحسّ توزون بذلك.

ذكر حيلة تمّت على معزّ الدولة
حتّى انهزم بعد استظهار منه

وعبر توزون بخمسمائة من الأتراك مع تكين الشيرازى وألف فارس من العرب فيهم إبراهيم المطوّق وقطينة وأمثالهم من حيث [89] لم يشعر بهم معزّ الدولة. فلمّا سار وسار سواده فى أثره خرج عليهم القوم فحالوا بينه وبين السواد ووقعوا فى العسكر على غير تعبئة. وتعجّل توزون فعبر بجماعة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتّى ملّ وأفلت معزّ الدولة مع الصيمرى ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع إليه نفر من الفلّ بعد أيام وعاد توزون إلى بغداد.

---

١. وحصل: كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: يحصل.
٢. فيعطشون هم ودوابّهم: كذا في الأصل ومد. وفى مط: فيعطشونهم ودوابّهم.

ابن شيرزاد يخلع على اللصّ

وفى صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له: ابن حمدى وكان أعيى السلطان. فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبته برسم الجند ووافقه على أن يصحّح فى كلّ شهر خمسة عشر ألف دينار ممّا يسرقه وأصحابه، وأخذ خطّه بها فكان يستوفيها منه ويأخذ البراءات وروزات الجهبذ بما يؤدّيه أوّلاً أوّلاً.

وفى هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف.

ذكر السبب فى قتل البريدى أخاه
وما جرى بعد قتله إياه وعاقبة أمره

كان أبو عبد الله البريدى لمّا حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط أحد عشر شهراً ثمّ توزون بعده ضاقت به الأمور فاضطربت رجاله وعملوا على الإستئمان إلى أبي يوسف أخيه ليساره واستقرض من أبى يوسف قرضاً بعد قرض. فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلّفه وتضييعه وأنه بالإقبال تمّ له ما تمّ لا لتدبير. ثمّ تعدّى ذلك فصار يذكر جنونه وعجلته. وصحّ عند أبي عبد الله أنّ أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لأن يجرى عليه جراية على تقتير[١]. فاستوحش كلّ واحد منهما من صاحبه.

فحكى إسرائيل الجهبذ وكان خصيصاً بأبى عبد الله أنه استدعاه وشكا إليه حاله في الإضاقة ثمّ قال:

ـ «قم إلى أبى يوسف أخي ـ وأومأ إلى درج بين يديه وفتحه فإذا فيه حبّ لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يبهر الناظرين ـ وقال: إحمل هذا إليه وسَلْهُ

١. تقتير: كذا فى مط. وفي الأصل: نقير. والمثبت في مد: تقم.

أن يقرض[١] عليه عشرة آلاف دينار.»

وكان ما فى الدرج قد وهبه بجكم لابنته سارة التى تزوّج بها. وكان بجكم أخذه من دار الخليفة فأخذه أبو عبد الله منها.

قال إسرائيل: فمضيت إلى أبى يوسف وحدّثته بجميع ما خاطبنى به أخوه وأخرجت الدرج إليه.

فقال لى:

ـ «يا أبا الطيّب من سوء تحصيله يرى، ولو مدّت دجلة مالاً لبدّده هذا رجل حصّل له من واسط فى كرّاته التى تولاّها ثمانية آلاف ألف دينار أما وجب أن يستظهر بألف ألف دينار.»

فقلت: «يا سيدى ومن أولى به منك على تصرّف كل حال؟ فتفضّل بما طلب.»

فقال: «إنّى قد أعطيته إلى هذا الوقت ومنذ انصرف من واسط خمسين ألف دينار وما تمتلئ عينه. إبعث إلى الجوهريّين [91] وأحضرهم حتّى يقوّموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته.»

فوجّه إليهم وحضروا وأخرجه إليهم فقالوا:

ـ «لا قيمة له تُحدّ، وإذا حضر ملك يرغب نحكّم[٢] صاحبه ولو انتهى فى السوم إلى أقصى غاية.»

فاشتطّ وقال:

ـ «يا جهّال، من قال لكم إنّى مروان الأموى ـ فإنه كان راغباً فى الجوهر وحضر للابتياع ـ أو خمارويه بن أحمد وابن الجصّاص؟ قوّموه بما إذا

١. وفى مط: يقرضنى، بدل «يقرض».

٢. نحكّم صاحبه: كذا فى الأصل. وفى مط: تحكّم صاحبه. والمثبت فى مد: بحكم صاحبه.

طالبتكم به بكرة صحّحتموه[١] العصر.»
فقوّموه خمسة آلاف دينار. فقال:
ـ «أعطونى خطوطكم بها.»
فتبّتوا ثمّ ردوها إلى خمسين ألف درهم وضمنوها فقال:
ـ «هذا أعطيك.»
فقلت: «يا سيدي، اجعلها خمسة آلاف دينار.»
فقال: «قم ودع فى القيمة فضلاً لطلبه فإنّه سيعاود ويطلب.»
فانصرفت بخمسين ألف درهم إلى أبى عبد الله وحدّثته الحديث، فقال:
ـ «لا إله إلّا الله قل له: يا أبا يوسف جنونى الذى ذكرته وقلّة تحصيلى أقعدك هذا المقعد وصيّرك كقارون.»
ثمّ عدّد ما عمله معه ودمعت عينه وتبيّن الشرّ فى وجهه.
فلمّا كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانه وفيهم يانس وإقبال وربيب وملاّح يانس في مخترق قد سُقّف بين باب داره ـ وكانت دار فضلان الساجي ـ بالأبلّة وبين الشطّ فتمكّن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح:
ـ «يا أخى قتلونى قتلونى.»
وأبو عبد الله [92] يقول:
ـ «إلى لعنة الله.»
فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل فى جواره إلى روشن دجلة وقال:
ـ «يا أخى قتلته؟»
فقال: «يا فاعل خربت اسكت وإلّا ألحقتك به.»

---
١. وفى مط: ضجحتموه.

فجمع أبو الحسين نفسه وشغّب الجند وظنّوه حيّاً فنبشه وأظهره لهم فسكنوا. ثمّ أعاده إلى قبره.

وانتقل إلى الدار بمسماران. فساعة ملكها طلب الجوهر فأحضره.

قال إسرائيل: دخلت إليه فقال لمّا رآنى:

ـ «يا غلام هات الدُّرج.»

فأحضره إيّاه فقال لى:

ـ «يا أبا الطيّب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل إلى لعنة الله.»

ثمّ أودع أبو عبد الله هذا الجوهر ابنه أبا القاسم سرّاً وأمره أن يستره. فلمّا توفّى أبو عبد الله وملك الأمر بعده أخوه أبو الحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له أثراً. وقيل: أودَعه مَن لا يُعرف.

ولمّا خرج ابنه إلى هَجَر أخذه معه فسأله الهجريّون أن يريهم إيّاه ففعل ذلك ووهب لهم منه حبّة[1] واحدة.

فلمّا حضر مدينة السلام فى أيّام أبى الحسين معزّ الدولة طلبه منه ليراه فأحضره عنده ووسّط أبا مخلد عبد الله بن يحيى ليبتاعه منه فامتنع من بيعه ثمّ رأى الوجه فى بيعه. فاستجاب فقوّم بما قوّمه تجّار البصرة.

فقال أبو مخلد:

ـ «حطّ منه ثمن الحبّة التى أخذها الهجريّون.»

فأُعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة [93] وأربعين ألف درهم وأحاله بذلك على كار التمر واستوفاه.

وكان أبو عبد الله البريدى يتّهم أبا الحسن ابن أسد بالتضريب بينه وبين

---

١. وفى مط: جثة.

أخيه وقيل له:

ـ «إنّ عنده ستة عشر ألف ألف درهم.»

فلمّا ملك الأمير أخرج إليه دفتر فيه ثبت ودائع أبي يوسف بخطّه، فلم يجد فيه وديعة عند أحد إلّا ما عند ابن أسد، فطالبه بها وبسط منه وأقرّه[١] على ما كان يتولّاه فمضى إلى منزله وحمل إليه ألفي ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، ولم يَظهر له، وعرّفه أنه لا وجه للباقي وأنّ أخاه حصّل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه في مدّة سنة معه وأخذ خطّه بها أنها وديعة له عنده. وكان في أسفل الثبت الذي وجد له: «عمل لكلّ سنة عملاً بالضمان وما صحّ منه بالأمانة وما تحصّل من العجز الذي أخذ خطّه به».

وجمع ذلك وكان بإزاء العجز وهو ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف درهم.

فقامت قيامة أبي عبد الله وقال:

ـ «دم أخي في رقبة ابن أسد فإنّي قتلته طمعاً في المال.»

فمضى ولم يصل إليه. ثمّ آمنه فظهر وقام بحجّته شفاهاً وذكر أنّ له بقايا هذه السنة في النواحي زيادة على أربعة آلاف ألف وله أصحاب منهم أبو العلاء صاعد بن ثابت وأبوه وأخوه وأبو علي الأنباري وقد هرب فتوسّط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه. [94]

وصحّ لأبي عبد الله جميع الوجوه على أحوال قبيحة مع الألفي الألف والخمسمائة الألف الدرهم الموجودة عشرة[٢] آلاف ألف درهم وتاه الباقي وذهبت نفس أبي يوسف.

---

١. وأقرّه: كذا في الأصل. وفي مد: واقره.

٢. وفي مط: وعشرة (بزيادة الواو).

وفيها قبض أبو العباس اشكورج الديلمي وكان توزون قلّده[1] الشرطة ببغداد على ابن حمدى اللصّ وضرب وسطَه فخفّ مكروه اللصوص عن الناس وانقطع شرّهم بعد أن تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم النوم خوفاً من كبساته.

وفيها ورد الخبر بدخول الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطَ وانحدر من كان بها من أصحاب البريدى إلى البصرة.

وفيها صار محمد بن ينال الترجمان إلى سيف الدولة وهو بالرقّة فعاتبه سيف الدولة على أشياء بلغته عنه وكان اتهم بأنه عقد الرئاسة لنفسه على العجم وواطأه المتقى لله على الإيقاع بسيف الدولة فجحد محمّد بن ينال ذلك. فلمّا خرج من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسيوفهم فقتلوه.

وفيها ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبى طاهر القرمطى وأنه جدّر ومات وصار الأمر لإخوته بعده.

ذكر الخبر عن الإصبهانى
الذى احتال لقتل القرامطة بأيديهم حتى كاد يفنيهم

كان ابن سَنْبر يعادى المعروف بأبى حفص الشريك. فاحتال فى حياة أبى طاهر بأن أحضر رجلاً [95] من أهل إصبهان فكشف له أسراراً كان أبو سعيد الجنّابى[2] كشفها له فى حياته ولم يكشفها لغيره وعرّفه مواضع دفائن له لم يعلم[3] بها غيره ولم يعلم أبو طاهر أن أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر

١. كذا فى الأصل ومط ومد: قلّده ولعله «قلّد» بغير هاء.
٢. فى مط: الحباى.
٣. فى مط: يعلم، بدل «لم يعلم».

فقال ابن سنبر لهذا الرجل الإصبهانى :

ـ «امضِ إلى أبى طاهر وعرّفه أنّك الرجل الذى كان أبوه وهو يدعوان إليه فإذا هو سألك عن العلامات والدليل أظهرت له هذه الأسرار.»

وشرط ابن سنبر على هذا الإصبهانى أن يكون إذا تمكّن من الأمر قتل أبا حفص الشريك فضمن له الإصبهانى ذلك فمضى إلى أبى طاهر وأعطاه العلامات وحدّثه بالأسرار فلم يشكّ فى صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلّم الأمر إليه وقال لأصحابه :

ـ «هذا هو الذى كنت أدعوكم إليه والأمر له.»

فتمكّن الرجل من الأمر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك.

ثمّ كان يأمر أبا طاهر وإخوته بقتل من يشاء ويقول : «قد مرض» يعنى أنه قد شكّ فى الدين فيُقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره ممتثل مطاع لا يخالف إلى أن أتى على عدد كثير منهم. وكان إذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقّف وبادر إلى امتثال أمره فخافه أبو طاهر [96] وبلغه أنه عمل على قتله فقال لإخوته :

ـ «قد وقع علىّ غلط وشبهة فى أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الأمر الذى يعرف ضمائر القلوب ولا تخفى عليه الأسرار ويمكنه أن يبرئ المريض ويعمل كل ما يريد.»

وجاءوا إلى الرجل فعرّفوه أنّ والدتهم عليلة وسألوه أن يدخل إليها ونوّموا والدتهم على فراش وغطّوها بإزار فدخل إليها فلمّا رآها قال لهم :

ـ «هذه علّة لا يبرأ صاحبها فطهّروها» معناه اقتلوها.

فلمّا قال لهم ذلك قالوا لإمّهم :

ـ «اجلسى.»

فجلست. وقالوا:

ـ «إنها لفى عافية وأنت كذّاب.»

فقتلوه.

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له إخوان: أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لا يدخل معهم فى أمورهم يقال له أبو يعقوب إسحاق مقبل على الشرب[1] والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلمتهم واحدة لا يخلفون فكانوا إذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا وأصحروا واتفقوا على ما يعملون ولا يطلعون أحداً على أمرهم فإذا انصرفوا أمضوا ما اتفقوا عليه.

موت أبى عبدالله البريدى

وفى هذه السنة مات أبو عبد الله البريدى بحمّى حادّة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتلِه أخاه أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله ربّ العالمين. [97]

فتحدّث أبو القاسم ابن أبى عبد الله البريدى بعد زوال أمره ومصيره إلى بغداد أنّ أباه لمّا مات بالبصرة انتصب أخوه أبو الحسين مكانه وكان لأبى عبد الله عسكر مقيم بنهر الأمير بإزاء الأمير أبى الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بمطارا وكان ديلم أبى عبد الله مضمومين إلى يانس غلامه وكانوا يميلون إليه وكان بين يانس وبين أبى الحسين مباينة فى الباطن وعداوة ولمّا تمكّن أبو الحسين من الرئاسة أخذ فى الإستطالة على الديلم والأتراك ويستخفّ بهم فنفرت قلوبهم منه وأحسّ يانس بذلك فمضى إلى أبى

---

١. فى مط: الشراب.

القاسم مولاه وابن مولاه أبى عبد الله فقال له:

ـ «إن كان عندك مال أصلحت لك قلوب الرجال وعقدت لك الرئاسة.»

فاعترف له أبو القاسم أن عنده ثلاثمائة ألف دينار فأصلح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الإيقاع بأبى الحسين وعقد الرئاسة لأبى القاسم وضمن لهم عنه الإحسان فسار الجيش الذى كان بنهر الأمير إلى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهو نائم فخرج من تحت الكلّة[1] ومضى ماشياً متنكراً إلى الجعفرية وكاتب الهجرى يستجير بهم[2] وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم أن يعاونوه على الرجوع إلى البصرة وردّه إلى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم [98] نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لأبى القاسم ابن أبى عبد الله.

ثمّ سار أبو الحسين من هجر ومعه من إخوة أبى طاهر إثنان وصاروا إلى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه فلم تكن لهم حيلة فى الوصول إلى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون وكاتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمّه فى الصلح وسألوه أن يؤمنه ويأذن له فى الدخول إلى البصرة واحتاط أبو القاسم فى أمره إلى أن تأهّب واختار الشخوص إلى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار إلى مدينة السلام.

طمع يانس فى الرئاسة وتمكّن أبى القاسم منها

ثمّ طمع يانس فى الرئاسة وإزالة أبى القاسم عنها فواطأ روستاباش فلمّا انعقد الأمر بينهما تحرّك روستاباش والديلم واجتمعوا فى دار روستاباش وآثر روستاباش الإيقاع بيانس والتفرّد بالرئاسة فلمّا خرج يانس من عنده

---

١. فى مط: التكملة.

٢. فى مط: يستحييهم، بدل «يستجير بهم».

أتبعه بمن يُوقع به فتحرّك يانس ورماه الديلمي بزوبين ووقع في ظهره وهرب وصار إلى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحد خبراً وكان ليلاً وسار روستاباش إلى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدبّر ليانس.

وكان قد جزع أبو القاسم لمّا عرف الخبر وهمّ بالجلوس في طيّاره [99] والخروج عن داره فلمّا عرف لشكرستان أنّ روستاباش قد أوقع بيانس وعزم على التفرّد بالرئاسة لم يُطعه وصاح الديلم وزبرهم فتفرّقوا ومضى بعضهم في الوقت معتذراً وهرب روستاباش بالليل عند تفرّق الناس عنه واستتر وأصبح أبو القاسم وقد استقام أمره وعرف خبر يانس فحمله إلى داره مكرماً ووجد روستاباش فنفاه إلى حيدة[1] وعولج يانس إلى أن برأ وأبو القاسم متهم له فلمّا كان بعد أيام قبض عليه وعلى لشكرستان وصادر يانساً على مائة ألف دينار ثمّ نفاه إلى عمان فلمّا حصل على الحديدى لينزل به خرج إليه بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقتل لشكرستان وتمكّن أبو القاسم من الرئاسة.

وفيها عرض لتوزون يوماً وهو جالس للسلام والناس وقوف بين يديه صرع فوثب ابن شيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا في وجهه رداء كان على رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس لئلاً يروه على تلك الصورة وصرف الناس وقيل لهم:

ـ «إنّ الأمير قد ثار المرار به من خمار لحقه.»

وفي هذه السنة خرج عسكر الأمّة المعروفة بالروس إلى أذربيجان

---

١. حيدة: كذا في الأصل ومد، وهو اسم موضع كما في المراصد. في مط: حبذة.

وقصدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها. [100]

شرح أخبار الروسية وما آل إليه أمرهم

هؤلاء أمة عظيمة لهم خلق عظام ولهم بأس شديد لا يعرفون الهزيمة ولا يولّي الرجل منهم حتى يقتُل أو يُقتل. ومن عادة الواحد منهم أن يحمل آلة السلاح ويُعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمنشار والمطرقة وما أشبهها ويقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُعلق عليه عمودا وآلة كالدشنيّ ويقاتلون رجالةً لاسيما هؤلاء الواردين.

وذلك انهم ركبوا البحر الذى يلي بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكُرّ[١] يحمل من جبال آذربيجان وأرمينية ويصبّ الى البحر وهو نهر برذعة الذى يشبّهونه بدجلة. فلما وصلوا إلى الكُرّ توجه إليهم صاحب المرزبان[٢] وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم صعاليك وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوّعة نحو خمسة آلاف رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترّين لا يعرفون شدتهم وحسبوا أنّهم يجرون مجرى الأرمن والروم.

فلمّا صافّوهم الحرب لم تكن إلّا ساعة حتى حملت الروسية حملة منكرة فهزموا العسكر وولّت المطوّعة بأسرهم وسائر العسكر إلّا الديلم. فإنّهم ثبتوا ساعة فقُتِلوا كلّهم [101] إلّا من كان بينهم فارساً، واتبعوا الفلّ الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملة من الجند والرعية وتركوا البلد فنزلتهُ الروسية وملكوه.

---

١. نهر الكُرّ أو نهر الروس يمرّ على تفليس وينصبّ بعضه في بحر الخزر.

٢. وفى التكملة هو «المرزبان بن محمد» يعنى ابن محمد بن مسافر (من حواشى مد).

فحدثني أبو العبّاس ابن نُدار[١] وجماعة من المحصّلين أنّ القومِ بـادروا إلى البلد ونادوا فيه وسكنّوا الناس وقالوا لهم:

ـ «لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وانما نطلب المُلكَ وعلينا ان نُحسن السيرة وعليكم حُسن الطاعة.»

ووافتهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون إليهم ويهزمونهم وكـان أهل برذعة[٢] يخرجون معهم فإذا حملوا[٣] عليهم المسلمون كبّروا ورجموهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم إليهم بأن يضبطوا أنفسهم ولا يـدخلوا بـين السلطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصّة فأمّا العامة ومُعظم الرعـاع فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما في نفوسهم ويتعرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب السلطان.

فلمّا طال ذلك عليهم نادى مناديهم بألّا يُقيم في البلد أحـد مـن أهـله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم ندائهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حُرمَهُ وولدهُ وهم نفر يسير وجاء اليـوم الرابـع والأكـثر مـقيمون فـوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر ألف رجل وغلام [102] مع حرمهم ونسـائهم وبـناتهم وجـعلوا النساء والصبيان في حصن داخل المدينة وهي شهرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصّنوا فيه. ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجـامع ووكـلوا بأبوابه وقالوا لهم:

ـ «اشتروا أنفسكم».

---

١. كذا في الأصل ومد: نُدار. وفي مط: بندار.

٢. بَرذَعة: بلد بأقصى آذربيجان، وهو على ثلاثة فراسخ من نهر الكرّ (مراصد الإطّلاع).

٣. حملوا: كذا. لعله من باب أكلوني البراغيث.

ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى قتلوا بأجمعهم واستبيحت أموالهم وذراريهم

كان بالبلد نصرانيّ له رأى سديد يعرف بابن سمعون وكان يسعى فى السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم بعشرين درهماً فتابعهُ على ذلك عقلاء المسلمين وخالفهُ الباقون وقالوا:

ـ «إنّما يُريد ابن سمعون أن يلحق المسلمين بالنصارى فى أداء الجزية.»

فأمسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا فى هذا القدر اليسير أن يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوهم عن آخرهم الا عدداً يسيراً خرجوا فى قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والاّ من افتدى[١] نفسه بذخيرة كانت له.

فربما وافق الواحد من المسلمين الروسيّ على مال يفدى[٢] به نفسه فحضر معه إلى منزله أو حانوته فإذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقته[٣] لا يمكن صاحبها منها وإن كانت [103] أضعافا مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يجتاحه فإذا علم أنّه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مختوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يجلّ قدره ويعظم خطرهُ وكانوا قد حازوا

---

١. كذا فى الأصل ومط مع شيءٍ من الغموض فى الأصل. وقرئ الأصل فى مد: اقتنى، وهى قراءة خاطئة.

٢. يفدى: كذا فى الأصل ومط مع شيءٍ من الغموض فى الأصل. وقرئ الأصل فى مد: يقتنى، وهو أيضاً قراءة غير صحيحة.

٣. فى الأصل: مواقفته.

النساء والصبيان ففجروا بهنّ وبهم واستعبدوهم.

فلمّا عظمت المصيبة وتسامع المسلمون في البلدان بخبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنفر الناس وأتاهُ المطوّعة من كل ناحية فسار في ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه العدّة ولا أمكنه أن يؤثّر فيهم أثرا فكان يغاديهم القتال ويراوحه وينقلب عنهم مفلولا واتصلت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الدبرة أبداً على المسلمين.

فلمّا أعيى المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة التجأ الى الحيلة والمكيدة واتفق له أن الروسية لما حصلوا بالمراغة تبسّطوا في الفاكهة وهناك أنواع كثيرة منها فمرضوا ووقع فيهم الوباء لأنّ بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وإنّما يحمل إليهم الشيء اليسير من البلاد الشاسعة عنهم.

فلمّا تمحّق[1] عددهم وفكر المرزبان في الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلا وواطأ عسكره [104] ان يُبادروا الحرب فإذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطمعهم بذلك في العسكر والمسلمين فإذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشعار اتفقوا عليه فإذا حصل الروسية في الوسط تمكنوا منهم.

فلمّا أصبحوا على هذه المكيدة تقدّم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفّوا للحرب فجروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم.

فحكى المرزبان بعد ذلك أنّه لمّا رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم

---

١. كذا في الأصل وهو المثبت في مد: فلمّا تمحّق. وفي مط: فلا تمحو. وهو تصحيف.

أن يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيبتهم علم أنّه ان استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين فيكون ذلك هلاكهم. قال:

ـ «فرجعت وحدى مع من تبعنى من أخي وخاصّتي وغلماني ووضعت في نفسي الشهادة فحينئذ استحيا أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم ونادينا «الكمين» فخرجوا من ورائهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون في الحصن الذى كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلاّت كثيرة [105] ومِيراً عظيمة وحصّلوا فيه السبى والأموال.»

فبينما المرزبان في مُنازلتهم وهو لا يقدرُ لهم على حيلة سوى المصابرة إذ ورد عليه الخبر بدخول أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماس واجتماعه مع جعفر بن شكّويه الكردى[1] في جماهير الهدايانية[2] واضطرّ الى أن خلف على حرب الروسية أحد قوّاده في خمسمائة من الديلم وألف وخمسمائة فارس من الأكراد وألفين من المطوّعة وسار إلى أوران ولقى أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفاً وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبى عبد الله لأنّ معظمهم أعراب وساروا عنه فسار بسيرهم إلى بعض المُدن الحصينة فلقيه في طريقه كتاب من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستئمان رجاله إليه وأنّه قد عمل على الانحدار معهم إلى بغداد ومحاربة معزّ الدولة لأنّه كان دخلها فاستولى عليها بعد إصعاد توزون عنها ويأمره بالتخلية عن أعمال آذربيجان والانكفاء إليه ففعل.

---

١. وفي مط: جعفر به سكويه الكرزى.
٢. وفي الاصل (الهدياتية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الأكراد.

سنّتهم في دفن موتاهم

فلم يزل أصحاب المرزبان عن قتال[١] الروسية وحصارهم إلى أن ضجروا واتفق أن زاد الوباء عليهم فكان إذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحهُ [106] وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلامه إن كان يحبه على سنة لهم. فاستثار المسلمون بعد زوال أمرهم مقابرهم فاستخرجوا منها سيوفاً يتنافس فيها إلى اليوم لمضائها وجودتها.

فلمّا قلّ عددهم خرجوا ليلاً من الحصن الذى كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقي وساقوا من النساء والصبيان والصبايا ما شاءوا ومضوا إلى الكُرّ وكانت السفن التى خرجوا فيها من بلادهم معدّة فيها مع ملاّحهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يمدونهم بإقساطهم من غنائمهم فجلسوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم.

شاهد يروى ما رَءاه

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسيّة حكايات عجيبة من شدّتهم وقلّة مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع فى الناحية وسمعتهُ من غير واحد أنّ خمسة نفر[٢] من الروسية اجتمعوا فى بستان ببرذعة وفيهم غلام أمرد وضيء الوجه من أولاد رؤسائهم ومعهم نسوة من السبى وأنّ المسلمين لمّا عرفوا خبرهم أحاطوا بالبستان واجتمع عدد كثير

---

١. فى قتال: كذا فى الأصل ومط، مع شيء من الغموض فى الأصل. والمثبت في مد: عن قتال، لصعوبة قراءة ما في الأصل.

٢. نفر من: كذا. وما فى مط: نفرض (بالتصحيف).

من الديلم وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا في أن يحصل لهم أسير واحد فلم يكن إليه سبيل لأنّه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يمكن [107] قتلهم حتى قتلوا من المسلمين أضعافاً كثيرة لعدّتهم وكان ذلك الأمرد آخر من بقي. فلمّا علم أنّه يؤخذ أسيراً صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر معه في مقاتله إلى أن سقط ميّتاً.

وفي هذه السنة ظهر للمتقى من بني حمدان ضجرٌ به وبمقامه عندهم وشهوة لمفارقتِهِ فراسل توزون في الصلح فتلقّى توزون ذلك بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقى لله إلى توزون مع الحسن بن هارون وأبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي وتوثّقا من توزون واستحلفاه أيماناً مؤكدة للمتقي وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتّاب حتى حلف بحضرتهم للمتقى لله وكتب بذلك كتاب وأحكِم ووقعت فيه الشهادة من جميع من حضر على توزون.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ولمّا كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم وصل الأخشيد إلى حضرة المتقي لله وهو بالرقة ولقيه بها وأعظمه المتقي نهاية الإعظام ووقف الأخشيد بين يديه وقوف الغلمان وفي وسطه سلاح ثم ركب المتقى فمشى بين يديه الأخشيد فأمره أن يركب فلم يفعل [108] ولم يزل على تلك الحال مختلطا بالغلمان إلى أن نزل من ركوبه وحمل إليه هدايا ومالا وحمل إلى أبي الحسين ابن مقلة عشرين ألف دينار ولم يدع كاتبا ولا حاجباً إلّا برّهُ.

واجتهد بالمتقى لله أن يسير معه إلى مصر والشام فيكون بين يديه فلم

يجيه إلى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلمّا امتنع عليه من الأمرين عدل إلى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بأن يسير معه إلى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الإعتراض عليه في شيء يدبّره فخالفهُ.

وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندّم ويقول:

ـ «نصحني الأخشيد فلم أقبل.»

وكانت دنانير الأخشيد في صندوق أبي الحسين إلى أن انتهبت لمّا قُبض على المتقي لله.

ولمّا توثّق المتقي لله من توزون انحدر من الرقّة يُريد بغداد في الفرات ومعه غلامان من غلمان الأخشيد ومحمد بن فيروز ونقط فلمّا وصل إلى هيت أقام بها وأنفذ القاضي الخِرَقي وابن شيرزاد حتى جدّدا على توزون الأيمان والعهود والمواثيق وأكرم المتقي لله توزون ولقّبهُ المظفّر وعاد القاضي إلى هيت وعرّف المتقي أنه قد أحكم الأمر مع توزون.

وخرج توزون لليلة بقيت من صفر إلى البثق الذى كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على شاطئ الفرات وبين توزون والمتقي [109] نحو فرسخ فلمّا همّ بالإنحدار استقبله توزون وترجّل له وقبّل الأرض بين يديه ووكّل به وبالوزير وبالجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حُرم المتقي لله وارتجّت الدنيا فسمله[١]. وحكى ثابت أنّ توزون سمله[٢] بحضرة قهرمانة المستكفي بالله.

وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدّة وزارة أبي الحسين ابن مقلة سنة واحدة وخمسة أشهر واثنى[٣] عشر يوماً.

---

١. الكلمة غير موجودة في مط.

٢. في مط: سلّمه.

٣. في الأصل: اثنا عشر. والمثبت يوافق مط ومد.

خلافة المستكفي بالله

ذكر السبب في القبض على المتقى
وخلافة المستكفى بالله

قال ثابت: حدثني أبو العبّاس التميمي الرازى[1] وكيله، قال: وكان خصيصا بتوزون مستوليا عليه، قال:

كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى وذاك أنّ إبراهيم بن الربنبذ[2] الديلمى لقيني يوماً وسألني أن أصير إلى دعوته فاستأذنت توزون فى ذلك فأذن لي فيه ومضيت إليه وهو ينزل فى دار القراريطي علي دجلة فوجدت داره مفروشة مُنضّده فسألتُهُ عن السبب فى ذلك وقلت: أحسبك قد تزوّجت.

فقال: أنا أحدّثك عن أمري:

إعلم أنّي خطبتُ إلى قوم وتجمّلتُ عندهم بأن ادّعيت أنّ لى محلاً من الأمير واختصاصاً به فقالت لي المرأة: إذا كنت بهذه المنزلة فهل لك أن تسفر فى شيء يجمع صلاح الأمير وصلاحك وصلاح المسلمين؟ فقلت لها: نعم. قالت: هذا [110] الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم

---

١. في مط: الدارمى، بدل «الرازى».

٢. في مط: ابى سد.

وكاشفتموه وليس يجوز أن تصفو نيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد في بواركم فلم يتم له فمرّة ببنى حمدان ومرّة ببني بويه وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه فى الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير لكم أموالاً جليلة لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواهُ وتكونون أنتم قد استرحتم من عدوّ تريدون أن تحرسوه وتحترسون منه وتخافونه ويخافكم وتقيمون رجلا من قبلكم يرى أنّكم قد أحسنتم إليه وأنّ روحكم مقرونة بروحه.

وأطالت الكلام فى هذا المعنى فهوّستنى ودار كلامها فى نفسى وعلمت أنّ محلى لا يبلغ الكلام فى مثله والسفارة فيه وكرهت أن اكذّب نفسى عندها لما ادّعيتُهُ من المحلّ والمنزلة فاطمعتُها في ذلك وعلمت أنّ هذا الأمر لا يتمّ إلّا بك ولا يقدر عليه غيرك وقد أطلعتك عليه فأىّ شيء عزمك أن تعمل؟ فقلت: أريد أن أسمع كلام المرأة. فجاءنى بامرأة تتكلم بالعربية والفارسية من أهل شيراز جزلة شهمة فهمة فخاطبتنى بنحو ما خاطبنى به الرجل فقلت لها: لابد من أن ألقى الرجل وأسمع كلامه. فقالت: تعود غداً إلى ههنا حتى أجمع بينك وبينه. فلمّا كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج [111] من دار ابن طاهر فى زى امرأة وحصل فى دار ابن الربنبذ فلقيتهُ وعرّفنى أنّه عبد الله بن المكتفى بالله. وخاطبنى رجل حصيف فهم ووجدتهُ مع هذا يتشيّع ورأيته عارفا بأمر الدنيا وضمن لى ستمائة ألف دينار يستخرجها ويُمشّى بها الأمر ومائتى ألف دينار للأمير توزون وقال: أنا رجل فقير وإنّما أعرف وجوه أموال لا يعرفها غيرى وأعرف من ذخائر الخلافة فى يد قوم لا يعرفهم غيرى. وذكر[1] أنّ وجوهها صحيحة لا شك فيها ولا يقدر غيره

١. كذا فى مط: وذكر. ما فى الأصل: وكرّ. ولعلّه «وكرّر» سقطت منه الرّاء الثانية.

عليها. فلمّا سمعت ذلك وعرفت صحتهُ صرت إلى توزون. وفكّرت فى أنّ الأمر لا يتمّ بى وحدى فلقيت في طريقي وأنا أصعد إلى توزون أبا عمران موسي بن سليمان في الحديدى الذى على باب توزون فأخذت بيده واعتزلنا. واستحلفته على كتمان ما أطلعهُ عليه فحلف ثم حدثتهُ به كلّه وسألتهُ معاونتى على تمامه فقال:

هذا أمر عظيم لا أدخل فيه. فلمّا أيسنى من نفسه سألتهُ أن يُمسك ولا يعارضنى فقال: افعل. فدخلت إلى توزون وأدخلتهُ إلى حجرة وخلوت به واستحلفتهُ بالمصحف وبأيمان مؤكّدة أن يكتم ما أحدّثه به فحلف فلمّا حلف حدّثتهُ الحديث من أوله إلى آخره فوقع بقلبه وقال: صواب ولكنّى أريد أن أرى الرجل وأسمع كلامه. فقلت: عليّ ذلك ولكن إن أردت [112] تمام هذا الأمر فلا تطلع عليه أبا جعفر ابن شيرزاد فإنّه يفثأ عزمك ويصرفك عنه. فقال: افعل.

وبلغ أبا جعفر خلوتى بالأمير فاتّهمنى أنى سعيتُ عليه ومضيت إلى القوم ووعدتهم بحضور الأمير ليرى الرجل ويكون الإجتماع فى منزل موسى بن سليمان.

قال: وتشددنا في الطوف بالليل فى دجلة فلمّا كان ليلة الأحد لأربع عشرة خلت من صفر وافي عبد الله بن المكتفى بالله إلى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبايع له فى تلك الليلة وكتمنا القصة.

فلمّا وافي المتقى لله من الرقّة ولقيه توزون وسلم عليه قلتُ لتوزون:

ـ «عزمك على ما كنا اتفقنا عليه صحيح؟»

فقال: «بلى.»

قلت: «فافعله الساعة فانّه إن دخل داره بعد عليك مرامه.»

قال: فوكّل به وجرى ما جرى.

وكانت المرأة التي سفرت في هذا الأمر المعروفة بحُسن الشيرازية حماة أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلمّا تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته «عَلَم»[1] وصارت قهرمانة المستكفي واستولت على أمره كلّه.

ذكر مصير الأمير أبي الحسين إلى ديالي

وقد كان قبل خلافة المستكفي صار الأمير أبو الحسين أحمد بن بويه إلى واسط وقت مصير توزون إلى الموصل. فلمّا صالح توزون إبن حمدان [113] وعاد إلى الحضرة عمل على الإنحدار لدفعه.

فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الأمير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسيب[2] بني كوما ولقيه جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام في قباب حُميد وهي في كل يوم على توزون يتأخّر توزون إلى خلف ويتقدّم الأمير أبو الحسين إلى قدّام إلى أن بلغ توزون نهر ديالي وعبره إلى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام.

ووافاه أحمد بن بويه إلى الجانب مقابلاً له وبينهما الماء. فلمّا كان يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة انصرف الأمير أبو الحسين راجعاً إلى الأهواز.

ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره وبعد ما هزم توزون

كان مع الأمير أبي الحسين سواد عظيم وكراع كثير وجمال وافرة فكان اذا

١. والضبط من الأصل.
٢. في مط: بسبب.

سار جعل سوادَهُ بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قلعت كان ذلك علامة الهزيمة.

فلمّا كان يوم مسيره إلى ديالى أخذ السواد يسير على طول ديالى واجتهد أن يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك.

وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلمّا تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرابه [114] بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفعت الضرورة إلى أن ينصرف وصارت هزيمة، واضطرّ الديلم إلى أن يستأمنوا إلى توزون لأنّهم رحالة فاستأمن أكثرهم إلى توزون وأخذ الأمير على طريق باذَرايا[1]، وباكُسايا إلى الأهواز.

وقد كانت الميرة أيضاً ضاقت على الأمير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد إلى أن ذبح خمسين جملا من جماله وفرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيمته نهبا عظيماً.

واستؤسر من وجوه قوّاده سبعة عشر قائدا فيهم أبن الداعي العلوي[2] وأسر أبو بكر أبن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل.

وأقام توزون وعاوده الصرع يوم هزيمة الأمير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلب فعاد إلى داره.

ونعود إلى تمام خبر المستكفي بالله.

---

١. باذَرّايا: طسّوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكُسّايا بين البَنْدَنيجَين وواسط (مراصد الإطلاع).

٢. وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزيدي الحسني وقام بالأمر في سنة ٣٥٣ وبايعه الزيدية وتسمى المهدي لدين الله وتوفى سنة ٣٦٠ وردت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئ ١٣١٨) ص ٦١ وفي نسبه إلى عبد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩. (من حواشي مد)

قلّد وزارته أبا الفرج محمد بن على السامرّىّ ولم يكن له من الوزارة إلّا أسمها والمدبر للأمور أبو جعفر ابن شيرزاد.

وخلع على توزون وطوّق ووُضع على رأسه تاج مرصّع بجوهر وجلس بين يدى المستكفى بالله على كرسىّ وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله.

وطلب المستكفي بالله الفضل بن المقتدر طلباً شديداً فاستتر [115] وأمر بهدم داره[١] وكان الفضل طول أيام المستكفى بالله مستتراً.

شرح قصة أبي الحسين البريدى ومصيره إلى بغداد مستأمناً إلى توزون وما آل إليه أمره من القتل

كنا ذكرنا حاله إلى وقت خروجه إلى بغداد ولما وصل إلى بغداد ولقى توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره فى دار طازاذ التى فى قصر فرج[٢] على شاطئ دجلة.

ثمّ شرع أبو الحسين فى مسئلة توزون أن يعاونه على فتح البصرة وضمن له إذا فتحها أن يحمل إليه مالا رغبة عن كثرته فكان يطمع فى المال ويعلل بالمواعيد.

وسأل أن يوصل إلى المستكفى بالله فوصل إليه مع توزون وابن شيرزاد فخلع المستكفي بالله عليه خلعة الرضا وأنصرف إلى منزله.

وبلغ الخبر إبن أخيه أبا القاسم وأنّ عمهُ يسعى فى أمر البصرة فوجّه بمن

١. قال صاحب التكملة: فلمّا هدم داره قال علىّ بن عيسى: اليوم بايع له بولاية العهد. (من حواشي مد)

٢. فى مط: فرح (بالحاء المهملة).

أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقِرّ على عمله وأنفذت الخلع اليه.

ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويئس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون أطماعه فيه.

ذكر الخبر عن قتل أبى الحسين البريدى

لما يئس أبو الحسين البريدى من معاونة تلحقه فى فتح البصرة سعى فى أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند[١] [116] ابن شيرزاد فاستوحش من أبى الحسين ومن توزون فجلس في منزله أياماً ومازال توزون يراسله ويترضاه حتى كتب إليه وأخذ فى التدبير عليه.

فلمّا كان يوم السبت لستّ خلون من ذى الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافي حاجب توزون إلى أبى الحسين البريدى فقبضا عليه وأحدراه إلى دار صافي وضُرب هناك ليلة الأحد ضربا عنيفا وقُيّد وأحدر إلى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذكر معايبه وأذكر بذنوبه.

وكان أبو عبد الله محمد ابن أبى موسى الهاشمى أخذ فى أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة بإحلال دمه فأظهرها فى هذا الوقت فلمّا كان بعد أسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدى وجمعوا بين يدى المستكفى بالله وأحضر السيف والنطع ووقف السيّاف بيده السيف وحضر ابن أبى موسى الهاشمي ووقف فقرأ ما أفتى به واحد واحد من إباحة دمه على رؤوس الأشهاد وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هى فتواه فيعترف بها حتى أتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدى يسمع ذلك

---

١. فى مط: عن، بدل «عند».

كلّه ويراه ورأسه مشدود والسيف مسلول بإزائه في يد السيّاف.

فلمّا اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي [117] بالله بضرب عنقه فضُربت من غير أن يحتجّ لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به في جانبى بغداد ورد إلى دار السلطان وصلبت جثّتهُ حيث كان حديديُّه مشدودا فيه لما ظفر بدار السلطان فبقى مصلوباً هناك أياماً.

ثم قرأتُ صكا على الجهبذ بثمن بوارى ونفط اشتريت بتسعة دراهم لإحراق جثّته فأحرقت للنصف من ذى الحجة.

وقبض على الوزير أبى الفرج السامرّىّ وصودر على ثلاثمائة ألف درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنتين وأربعين يوماً.

وفى هذه السنة طالب المستكفى بالله القاهر بأن يخرج من دار السلطان ويرجع إلى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذٍ يكتب للمستكفى بالله على خاصّ أموره ورفق بالقاهر وضمن أن ينزله عنده ولا يردّه إلى دار ابن طاهر.

قال أبو أحمد: فلمّا قلت له ذلك استجاب بعد أن سألنى عن منزلى فى أى جانب هو فقلت: فى الشرقى ناحية سوق يحيى. فسكنت نفسه إلى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلت به إلى طيّارى بعد أن غيّرتُ زيّه فإنّى وجدته ملتفّا فى قطن حشوِ جُبّةٍ[1] وفى رجله نعل خشب مربعة. فلمّا حصل فى الطيّار عبرت به [118] من إزاء داري وأومأت إلى الملاحين إيماءًا من غير أن أنطق بحرف.

١. كذا فى الأصل ومط: حشو جبّةٍ. والمثبت فى مد: محشوّ جبة.

فلمّا وضع صدر الطيّار للعبور فطن وقال «هوذا يعبر بي إلى دار ابن طاهر» وأراد أن يرمي بنفسه إلى الماء فتقدمت إلى غلماني بضبطه فضبطوه إلى أن أصعدت به إلى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج فى يوم جمعة إلى المسجد الجامع فى مدينة المنصور وأخذ فى أن يتصدق فرآه أبو عبد الله ابن أبى موسى الهاشمى فمنعه من ذلك وأعطاه خمسمائة درهم وردّه إلى داره.

وفى هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا إلى آذربيجان وملكوا برذعة. وهم قوم لا دين لهم وإنّما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم وزيّهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام.

ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحدٍ وكان للمرزبان بن محمد بن مسافر فى ذلك أثر كبير وعناء عظيم وقد ذكرناه فى موضعه.

ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

موت توزون

وفى المحرم منها مات توزون فى داره ببغداد فكانت مدة إمارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابة ابن شيرزاد له سنتان وستة عشر يوماً.

وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت [119] وكان خرج اليها لمواقفة[1] ابى المُرجّى ابن فيان[2] على مال ضمانه وكان قد أخّره وطمع فى ناحيته بموت توزون واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة

---

١. فى الأصل ومط: لمواقفة (بتقديم القاف) وفى مط: لموافقة (بتقديم الفاء).

٢. فى مط: ابى المرجان فيان، بدل «أبي المرجّى ابن فيان».

لابن شيرزاد.

وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الأمر لناصر الدولة فانحدر ابن شيرزاد فلمّا وصل إلى باب حرب وذلك في مستهلّ صفر أقام هناك في معسكره وخرج إليه الأتراك والديلم وأنفذ إليه المستكفى بالله خِلع ثياب بياض وحمل إليه طعاماً عِدّة أيام.

فلمّا كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر أجمع الجيش بأسره على عقد الرياسة له وحلفوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم العجم.

ووجّه ابن شيرزاد إلى المستكفي بالله يسأله ان يحلف له يميناً بحضرة القضاة والعدول تسكن نفسه إليها ففعل المستكفى ذلك ثم سأله إعادة اليمين بحضرة وجوه الأتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله.

فدخل ابن شيرزاد من مُعسكره على الظهر بتعبيةٍ إلى دار السلطان ووصل إلى الخليفة وانصرف مُكرّماً.

وزاد ابن شيرزاد الأتراك والديلم في أرزاقهم زيادات كثيرة فاشتدّت الإضاقة فأنفذ إلى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال ويطمعه في رد الامارة اليه فحمل إليه[١] [120] دقيقاً وسفاتج بخمسمائة ألف درهم فلم يكن لها موقع مع الإضاقة[٢] فنقض ما عزم عليه من عقد الإمارة لناصر الدولة وأقام على أمره وقلّد أبا السائب القاضي مدينة المنصور وقلّد جماعة القضاة في نواحي بغداد وأخذ في المصادرات وقسط على الكتّاب والعمّال والتجار وسائر طبقات الناس ببغداد مالاً لأرزاق الجند.

---

١. سقط من مط: «إليه».

٢. في مط: الإضاقة.

هاروت وماروت

وكان الغمازون يغمزون بمن عنده قوت من حنطة أو عُدّة لعيالهِ فكبسه وأخذه[١] وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره وبمن يُرمَق بنعمة رجلان من السعاة يُعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان إلى ابن شيرزاد في الأسحار والخلوات ويمضيان أيضاً إلى دار المستكفي بالله فلحق الناس منهما أمر عظيم وكذلك من الضرائب فإنّها كثرت حتى تهارب التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب[٢] وفساد الأمر وزيادة الإضاقة فاحتيج إلى مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي وإخوته.

وكثرت كبسات اللصوص فكان إذا ظفر السلطان بلصّ قتلته العامّة قبل أن يصل إلى الوالي.

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوسه[٣] أعمال المعاون بواسط والفتح اللشكرى أعمال المعاون بتكريت فأمّا الفتح اللشكرى فإنّه خرج إلى عمله بتكريت فلمّا وصل إليها [121] امتدّ إلى ناصر الدولة فقبله وأكرمه وقلّده تكريت من قبله وردّه إليها.

وأما ينال كوسه فكاتب الأمير أبا الحسين ابن بويه.

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي إلى الجبل فهزمه أصحاب أبي على أبي محتاج وانصرف إلى بغداد.

---

١. وفي مط : فيكبسه ويأخذه.

٢. وفي مط : بالجواب . بدل «بالخراب».

٣. كذا في الأصل ومط : كوسه (بالسين المهملة) في كلّ المواضع والمثبت في مد: كوشه.

ذكر الخبر عن مسير أبي الحسين أحمد بن بويه إلى بغداد

ورد الخبر بدخول ينال كوسه في طاعة الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه وأنّ الأمير قد تحرّك من الأهواز يريد الحضرة فاضطرب الأتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم إلى المصلّى وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم.

ثم ورد الخبر بنزول الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه باجِسرى[١] فزاد الإضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكفي بالله فكانت امارة ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما.

فلمّا وقف الأتراك على استتارهما عبروا إلى الجانب الغربي وساروا إلى الموصل فلمّا سار الأتراك ظهر المستكفي بالله وعاد إلى دار الخلافة.

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهلّبي صاحب الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه ولقي ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر إلى دار السلطان ولقي [122] المستكفي بالله فأظهر المستكفي بالله سروراً بموافاة الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنّه إنّما استتر من الأتراك لينحلّ أمرهم فيحصل الأمر للأمير أحمد بن بويه بلا كلفة.

المستكفي يلقّب الإخوان بمعزّ الدولة، وعماد الدولة، وركن الدولة

فلمّا كان يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة نزل

١. باجِسرى: بليدة في شرقيّ بغداد، وهي الآن خراب (مراصد الإطلاع).

الأمير أبو الحسين في معسكره بباب الشمّاسية ووصل إلى المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا وأخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له بأغلظ الأيمان وأدخل في اليمين الصيانة لأبي أحمد الشيرازي كاتبه، ولِعَلَم قهرمانته، ولأبي عبد الله ابن أمّ موسى وللقاضي أبي السائب ولأبي العباس أحمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على المستكفي بالله وعلى الأمير أبي الحسين.

فلمّا فرغ من اليمين سأل الأمير أبو الحسين المستكفي بالله في أمر ابن شيرزاد واستأذنه في أن يستكتبه فآمنه وأذن له في ذلك.

ثم لبس الأمير الخلع وكُنّي ولُقّب بمعز الدولة ولُقّب أخوه أبو الحسن علي بن بويه بعماد الدولة وأخوه أبو علي الحسن بن بويه بركن الدولة وأمر أن تُضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم وانصرف بالخلع إلى دار مونس.

ونزل الديلم والجيل والأتراك دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسما عليهم إلى اليوم. [123]

ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعزّ الدولة أبي الحسين

ظهر أبو جعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقي معزّ الدولة ودبّر أمر الخراج وجباية الأموال. وقبض الأمير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن علي بن مقلة وذلك لوصول رقعة له إليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد.

ذكر الخبر عن قبض معزّ الدولة
على المستكفى بالله

كان السبب الظاهر أنّ عَلَماً قهرمانته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الأمير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنّه لذلك ولما رأى من جسارتها وإقدامها على قلب الدول.

ثمّ قبض المستكفى بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفهدوست فلم يُشفّعه فأحفظه ذلك وذهب إلى معز الدولة وقال:

ـ «راسلنى الخليفة فى أن القاه متنكراً فى خفّ وإزار.»

فنتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة.

فلمّا أن كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخرة انحدر الأمير معز الدولة إلى دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم.

فلمّا جلس المستكفى بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمرى وأبو جعفر ابن شيرزاد [124] فوقفا فى مرتبتهما ودخل الأمير معز الدولة فقبّل الأرض على رسمه ثم قبّل يد المستكفى بالله ووقف بين يديه يحدثه ثم جلس على كرسيّ وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبى القاسم البريدى. فتقدّم نفسان من الديلم فمدّا أيديهما إلى المستكفى بالله وعلا صوتهما فارسية فظنّ أنهما يريدان تقبيل يده فمدّها إليهما فجذباه بها وطرحاه إلى الأرض ووضعا عمامته فى عنقه وجرّاهُ.

فنهض حينئذٍ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبى أحمد الشيرازى وعلى ابن أبى موسى الهاشمي ودخلوا إلى دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وتبادر الناس إلى الباب من الروشن

فجرى أمر عظيم من الضغط والنهب.

وساق الديلميان[١] المستكفي بالله ماشياً إلى دار معز الدولة واعتقل فيها ونهبت دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكفي بالله.

وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله إلى دار الخلافة في يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وخوطب بالخلافة وبويع له ولقب المطيع لله.



١. كذا في الأصل و مط: الديلميان. والمثبت في مد: الديلمان.

خلافة المطيع لله

ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الأمور [125]

وقام له ابن شيرزاد فى تدبير الأمور والأعمال بمقام الوزراء من غير تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره[1] أبا الحسن طازاذ[2] بن عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان.

وأقام له الأمير معز الدولة لنفقته كل يوم ألفى درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة إلى الآفاق.

وتمّ الصلح بين الأمير معزّ الدولة وبين أبى القاسم البريدى وتسلّم ابن البريدى واسطا وضمن البقايا بها بألف ألف وستمائة ألف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن على بن عيسى.

وطلب الأمير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لأنّه تبيّن منه تبليحاً فى أمر المال ولم يأمن أن يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الأمير أن يقرضه ما يمشى به أمره فدفع إليه عدة من مراكب ذهب وفضّة على أن يردّ مكانها. فتسلّم أبو جعفر ذلك وسلّم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة.

---

١. فى مط: الأمر، بدل «أمره».

٢. فى مط: طازاه، بدل «طازاذ».

وكان وصف للأمير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله إلي حضرته وأنس به ولطف محلّه وردّ إليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلّفه عمارتها.

قال ثابت: وأخبرني أبو الفرج أنّه قال لمعزّ الدولة:

ـ «لججت أيها الأمير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد [126] في أن يكتب لك وراجعتَ الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى أذن. فبأيّ سبب ظننتَ أنّه لا مثيل له في الوقت[١] في صناعته فإنّه ما كان صانعاً أمر كتّاب الرسائل وأمر كتّاب الخراج وإنّما وليَ ديوان النفقات مرّة وكتب لابن الخال وكان إمرءا متوسطا وما عدّه كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم في الكفاة وأهل الصناعة.»

قال، فقال:

ـ «أنت صادق فإنّي ما سألت عنه أحداً فقال فيه إلّا مثل قولك ولمّا رأيت لحيتهُ قلت: هذا بأن يكون قطّاناً أولى منه أن يكون كاتباً. ولكن وجدتهُ وقد تقلّد الإمارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيراً ولملوك الأطراف وتصوّره الرجال بصورةٍ من يصلح أن يرؤسهم ومن يعقدون له على نفوسهم فأردتُ أن أحطّهُ من هذه الحال إلى أن أجعله كاتباً لغلام لي أو عاملا على بلد.»

وكان الأمير معز الدولة قد أخرج موسى فياذة وينال كوسه[٢] في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب إلى عكبرا مقدّمةً له إلى الموصل. فلمّا سارا

---

١. كذا في الأصل ومط: «فبأيّ سبب ظننتَ أنّه لا مثيل له في الوقت». والمثبت في مد: «بأن نستكتبه لك ليس هذا الرغبة» وفي الأصل غموض كشفناه في ضوء ما في مط.

٢. كوسه (بالسين المهملة): كذا في الأصل ومط في كلّ موطن. ولكنّ المثبت في مد: كوشه (بالشين المعجمة).

أوقع ينال كوسه وابن البارد بموسى فياذة وأخذوا سواده ومضوا إلى ناصر الدولة.

وفي يوم الإثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاهُ أبا الحسن زكريا. [127]

ابتداء الحرب بين ناصر الدولة وبين معزّ الدولة

ونزل ناصر الدولة ومعه الأتراك بسر من رأى لأربع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعُكبرا وسار معزّ الدولة يوم الخميس لأربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله إلى عكبرا.

وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضى فتلقى أبا العطّاف جبير بن عبد الله بن حمدان أخا ناصر الدولة فإنّه وافى بغداد ونزل باب قطربّل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من العجم.

ولقيه أهل بغداد ودبّر الأمور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسرّ من رأى ونواحيها.

فلمّا كان يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة إلى بغداد فنزل في الجانب الغربى أسفل قطربّل بعد أن أحرق خزائن نفسه وأصحابه التى فى الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان فى الحرب.

ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقى من سرّ من رأى إلى الجانب الغربى من دجلة وساروا إلى تكريت ونهبوها ثم صار بهم إلى سرّ من رأى ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة إلى الجانب الغربى من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدرين إلى بغداد وبإزائهم أبو عبد الله الحسين بن سعيد والأتراك فى الجانب الشرقى.

فلمّا حصل معز الدولة [128] في الجانب الغربى عبر ناصر الدولة إلى الشرقي ونزل في رقّة الشمّاسية واجتمع مع الأتراك وما خطب ناصر للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب.

وفى يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بعسكر معز الدولة في الماء فغرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم.

ولمّا كان يوم الخميس لليلتين خلتا من شوّال وجّه ناصر الدولة بخمسين رجلاً من الديلم الذين كانوا في جملته إلى الجانب الغربى من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معزّ الدولة.

فلمّا صاروا على الخندق الذى في قطيعة أم جعفر وخاطبوا الديلم الذين مع معزّ الدولة يريدون أن يعبروا الخندق ليستأمنوا إلى ناصر الدولة فأفرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقلبوا تراسهم علي جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهزم أصحاب ناصر الدولة بأسرهم[١].

وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتكين الشيرزادى وغيره من قوّاده محدقين بعسكر معزّ الدولة في الجانب الغربى فلم يكن يقدر معز الدولة على تناول شيء من علف ولا غيره فلحق أهل الجانب الغربى غلاء شديد وعدموا [129] الأقوات.

وكان أبو جعفر الصيمرى[٢] لتشاغله بأمر الحرب قد ردّ خدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج إليه هو وحاشيته وأسبابه إلى أبي على الحسن بن هارون. فحدثنى أبو على هذا أنّه اشترى للأمير معز الدولة كرّ دقيق حُوّارى بعشرين ألف درهم.

---

١. كذا في مط: بأسرهم. وفي الأصل: بأسره. وهو سهو.
٢. في مط: الضمرى.

وتعذّر على الناس العبور من الجانب الغربى إلى الشرقى ومن الشرقى إلى الغربى لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس فى السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلّاتهم فإنّهم كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها إلى معسكرهم.

سعر الخبز فى الجانبين

وكان السعر فى الجانب الشرقى فى خمسة أرطال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقى السعر فى الجانب الغربى غالياً بعد إدراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع إذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل أن يصل إلى الجانب الغربى ولأن أعرابهُ منتشرون فى الجانب الغربى يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلّات.

وضرب ناصر الدولة دنانير ودراهم بسكة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة باسم المتقى لله وناصر الدولة وسيف الدولة.

واستعان ابن شيرزاد بالعامّة والعيّارين من بغداد [130] على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم وكان يركب كل يوم فى الماء ومعه عدّة زبازب فيها أتراك فينحدر ويُصعد فى دجلة ويرمي من على الشطوط فى الجانب الغربى من الديلم بالنشّاب.

وكان ناصر الدولة عبر بصافى التوزونى[1] فى ألف رجل لكبس معز الدولة وعسكره فلقيه اصفهذوست وأبو جعفر الصيمرى فهزماه.

فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما:

١. فى مط: السوروني.

ـ «كنت أسمع أنّ رجلا واحداً يفى بألف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفهدوست وحملتهُ وهزيمته صافي وزمرته فصدقت بذلك.»

وكان معز الدولة بنى زبازب فى قطيعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة إلى دجلة وكان غلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكر أبو جعفر الصيمرى أنّ الجهد كان قد بلغ منهم والحيل قد أعيتهم وضاق بهم الأمر حتى عزم معز الدولة على الرحيل إلى الأهواز وحمل أثقاله وقال:

ـ «ترون في طريقنا العبور فإن أمكننا حيلة فيه وإلّا جعلنا وجهنا إلى الأهواز.»

وتهيّأ أن عبر الصيمرى واصفهدوست ...[١] تسعة نفر فى سحر يوم السبت انسلاخ ذى الحجة إلى الجزيرة [131] التي بازاء المخرّم وأرادوا العبور منها إلى الجانب الشرقى فعارضهم ينال كوسه[٢] معارضة يسيرة وتهيّأ لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا.

ذكر الحيلة التى تمّ بها عبورهم

كان معز الدولة رتّب هذه المعابر فى الصراة ثم حدرها فى الليل على شاطئ دجلة إلى موضع التمارين[٣] لأنّه أضيق موضع فى دجلة ووافق وزيره الصيمرى واصفهدوست وخواص ديلمه على العبور وأظهر هو أنّه يعبر

---

١. كذا فى الأصل ومط. وفى مد: كوشه، كما سبق أن أشرنا إليه.

٢. هنا فى الأصل كلمة غامضة قرئت فى مد: «بهما» ولا نراها صواباً. وأمّا فى مط فسقطت الكلمة والكلمتان اللتان بعدها.

٣. كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مط: الثمانين: وثمانين بليدة عند جبل الجودىّ فوق الموصل نزله نوح حين خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً، فابتنوه قرية وسكنوها (مراصد الإطلاع).

من أعلى قطربّل. فمضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالأوهاق على الظهر. فلمّا رأى أعداءُه ذلك سار أكثرهم بإزائه لِممانعته فتمكن الصيمرى ومن معه من العبور وكان الصيمرى أوّل من بذل نفسه لأنّ أصحابه تهيّبوا العبور فلمّا سبقهم أنفوا وتبعوه.

ثمّ عاد معز الدولة إلى هذا الموضع وقد أحسّ القوم بحيلته فتكاثروا بالزبازب ومنعوهم من العبور وغرّقوا ركوتين واشتدّت الحرب وانهزم الأتراك.

وكان ينال كوسه قد شرب ليلته ولمّا حصل جماعة من الديلم فى الجانب الشرقى زعقوا بينال كوسه فانهزم ومضى أصحابه إلى باب الشماسيّة. [132]

واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجّه ابن شيرزاد إلى ناصر الدولة: أنّ الصواب أن تركب لتلقى من عبر من الديلم.

فرد عليه فى الجواب، أنّ العادة قد جرت بأنّى إذا ركبت انهزم الناس. وأنّ الصواب أن يركب هو. فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس يلوى أحد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضاً معهم وانهزم ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقى وأحرقوا ونهبوا وقُتل من العامّة جماعة ومات منهم عددٌ كثير من رجال ونساء وصبيان لأنّ الخوف حملهم على الهرب لما كانوا قدّموه إلى الديلم من الشتم والحرب فى أيام الفتنة فخرجوا حفاة فى الحرّ الشديد ومشوا إلى عُكبرا فماتوا فى الطريق[1].

وجرى معز الدولة على عادتِهِ فى الرأفة فأمر برفع السيف والكف عن

١. زاد صاحب التكملة: قال بعضهم: رأيت امرأة تقول: انا بنت ابن قرابة ومعي حلي وجواهر تزيد على ألف دينار فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء؟ فما أجابها أحد وماتت وما فتشها أحد لشغل كل انسان بنفسه. (مد).

النهب وأمن الناس وملك الجانبين.

ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكفّ لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتى ركب الصيمرى فقتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنهُ تسكين الجند وحُزر[١] ما انتهب فكان مقداره عشرة آلاف ألف دينار وذاك ان القصد وقع على مواضع التجار وحيث الأموال والأمتعة.

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والأتراك [133] التوزونيّة مصعدين إلى عكبرا فلمّا استقروا بها راسل ناصر الدولة الأمير معز الدولة يلتمس الصلح في آخر المحرّم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الأتراك فلمّا وقفوا على ذلك أرادوا الوثوب به وهمّوا به فرقى إليه الخبر وصحّ عنده ما عزموا عليه، فهرب منهم ومضى مُغذًّا[٢] مسرعاً نحو الموصل وتركهم.

وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتاباً نفذ إلى الأمير عماد الدولة وإلى سائر الأطراف.

حيلة غريبة ينبغي أن يُحترز من مثلها

ومن أطرف الأمور وأعجبها أنّ رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو بباب الشمّاسية بإزاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحُرّاس ولا الحجّاب ولا البوّابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من المخدّة ورجع ليطفئ السراج وشمعة كانت بقُربه خارج الخيمة فيعود فيضع السكين في موضع

١. حزر الشيء: قدّره بالحدس وخمّنه. وفي مط: حرر.
٢. مغذًّا: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: مغدًا، وهو خطأ.

حلقهِ.

فاتّفق أن انقلب ناصر الدولة فى نومه ولمّا[1] رجع الرجل لإطفاء الشمعة من جنب إلى جنب. فأطفأ الرجل الشمعة وعاد وقد أظلم الموضع فوضع سكّينه فى الموضع الذى كان فيه تقديره وما شكّ أنّ السكين يقع فى حلقهِ [134] فبقى السكين مغرّزاً فى المخدّة مكان رأس ناصر الدولة وعند الرجل أنّه قد قتله، وخرج من المضرب ولم يعلم به أحدٌ وانتبه[2] ناصر الدولة ورأى السكين وطُلب الرجل فلم يُلحق وشاع الخبر فصار الناس إلى ناصر الدولة للتهنئة بالسلامة.

ومضى الرجل إلى معز الدولة ليبشّره بأنّه قد قتله واستشرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة:

ـ «مثل هذا لا يؤمن.»

وسلّمه إلى الصيمرى ليحبسه فقتله الصيمرى.

الغلاء جعل الناس سباعاً

وفى هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة إذا راثت اجتمع على الروث جماعة ففتّشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر قطونا ويضرب بالماء ويُبسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقبّ ويؤكل ولحق الناس من ذلك فى أحشائهم أورام ومات أكثرهم ومن بقى كان فى صورة الموتى.

وكان الرجل والمرأة والصبيّ يقف على ظهر الطريق وهو تالف ضرًّا

---

١. والمثبت فى مد: ولمّا (بزيادة الواو) والواو ليست لا فى الأصل ولا فى مط.

٢. فى مط: وابتنه، وهو تصحيف.

فيصيح الجوع الجوع إلى أن يسقط ويموت. وكان الإنسان إذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه وإلّا استُلب منه. ولكثرة الموتى وأنّه لم يكن يُلحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم. [134]

وخرج الضعفى إلى البصرة خروجا مُفرطا متتابعين لأكل التمر فتلف أكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مُديدة.

ووجدت امرأة هاشمية قد سرقت صبياً فشوته وهو حيّ في تنوّر فأكلت بعضه وظُفر بها وهي تأكل البعض الباقي فضُربت عنقها. وكانت الدُور والعقارات تُباع برغفان ويأخذ الدلال بحق دلالته بعض ذلك الخبز. ووجدت امرأة أخرى تقتُل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقُتلت عدّة منهنّ.

ولمّا زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحلّ السعر.

توالي الناظرين في أعمال الخراج

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الأمير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقلة ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الأموال.

شغب الديلم على معزّ الدولة

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالإسماع وخرقوا عليه بالسفه الكثير فضمن إطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطرّ إلى خبط الناس واستخراج الأموال من غير وجوهها.

فاقطع قوّاده وخوّاصه واتراكهُ ضباع السلطان وضياع المستترين وضياع

ابن شيرزاد وحق بيت[١] المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مُغلقا وزالت أيدى العمّال عنه [136] وبقى اليسير منه من[٢] المحلول فضمّن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمّتها وجمعت الأعمال كلّها في ديوان واحد.

ذكر ما انتهى إليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب البلاد وفساد العساكر وسوء النظام

إنّ التدبير إذا بُنى على أصول خارجة عن الصواب وإن خفى في الابتداء ظهر على طول الزمان. ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادّة الطريق انحرافاً يسيراً ولا يظهر انحرافهُ في المبدأ حتى إذا طال به المسير بعُد عن السمت وكلّما ازداد إمعاناً في السير زاد بعدهُ عن الجادة وظهر خطاؤهُ وتفاوت أمره.

فمن ذلك أنّه أقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته إلى عمارته. ثم سامح الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرُشى وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فحصلت الإقطاعات لهم بعبر متفاوتة.

فلمّا أتت السنون وعمرت النواحى وزاد الإرتفاع في بعضها بزيادة الغلاّت ونقص في بعضها بانحطاط الأسعار ـ وذلك أنّ الوقت الذى أقطع فيه الجند الإقطاعات كان السعر مُفرط الغلاء للقحط الذى ذكرناه ـ فتمسّك الرابحون بما حصل في أيديهم من إقطاعاتهم ولم يمكن الإستقصاء عليهم في العبرة.

وردّ الخاسرون إقطاعاتهم [137] فعُوّضوا عنها وتُمّمت لهم نقائصها واتّسع

---

١. بيت: مكان الكلمة بياض في الأصل، وقرئت في مد بالسياق وهى موجودة في مط.

٢. في مط: في، بدل «من».

الخرق حتى صار الرسم جاريا بأن يخرب الجند إقطاعاتهم ثمّ يردّوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون إلى حصول الفضل والفوز بالربح.

وقُلّدت الإقطاعات المرتجعة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وتُرك الشروع فى عمارتها ثم صار المقطعون[1] يعودون إلى تلك الإقطاعات وقد اختلط بعضها ببعض فيستقطعونها بالموجود بعد تناهيها في الإضمحلال والإنحطاط.

وكانت الأصول تذوب على ممر السنين ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التنّاء ورقّت أحوالهم فمن بين هارب جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شرّه وبوائقه[2].

فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين وأمحى أثر الكتابة والعمالة ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها ومتى تولّى أحدهم شيئاً منها كان فيه دخيلاً متجلّفا. واقتصر المقطعون على تدبير نواحيهم بغلمانهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجرى على أيديهم ولا يهتدون إلى وجه تثمير ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الإفساد واعتاض أصحابهم [138] مما يذهب من أموالهم بمصادراتهم وبالحيف على معامليهم.

وأنصرف عمّال المصالح عنها لخروج الأعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار فى عملها على أن يقدّر ما يحتاج إليه لها ويقسّط على المقطعين تقسيطات يتقاعدون بها وبأدائها وإن أدّوها وقعت الخيانة فيها فلم تنصرف إلي وجوهها.

---

١. في مط: المقطوعون.

٢. بوائقه: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: بوافقه، وهو خطأ.

وقلّ حفل الناظرين بالحوادث تعويلاً على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة وردّ ما تخرب على أيديهم من الإقطاعات وفوّض تدبير كل ناحية إلى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذه مسكناً وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخونة وصار غرض أحدهم الترجية والتمشية والدفع من سنة إلى سنة.

وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احداهما أكابر القواد والجند والأخرى أصحاب الدراريع والمتصرفون فأمّا القوّاد فإنّهم حرصوا على جمع الأموال وحيازة الأرباح ودعوى المظالم والتماس الحطائط فان استقصي عليهم صاروا أعداءهم.

ولمّا كثرت أموالهم وانفتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وإن سومحوا استشرى طمعهم ولم يقفوا منه عند غاية.

وأمّا أصحاب الدراريع [139] فكانوا أهدى من الجندي إلى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الأموال ونظر بعضهم إلى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبذلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب أن يجمع الناس حكم واحد.

وتوالت السنون عليهم فتفردوا بنواحيهم وخلوا بمعامليهم فمن مستضعف يصادر ويغيّر رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفّف عنه الرسوم ويُرتفق على ذلك منه بالأموال ويتخذه الضامن عضداً في شدائده وعند مناظرة سلطانه[١] ويصطلم المستضعفين.

فبطل أن ترفع إلى الدواوين جماعة أو تعمل لعامل مؤامرة[٢] أو يُسمع لأحد ظُلامة أو يُقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمناء على

---

١. في مط: سلطانية.
٢. في مط: ويعمل العامل مؤامرة.

ذكر أصول العقد وما صح منه وبقى من غير تفتيش عما عوملت به الرعية وأجريت عليه أحوالها من جور أو نصفة من غير إشراف على احتراس من الخراب أو خراب يعاد إلى العمارة وجبايات تُحدث على غير رسم ومصادرات تُرفع على محض الظلم وإضافات إلى الإرتفاع ليست بعبرة وحسبانات فى النفقات لا حقيقة لشيء منها ومتى تكلم كاتب من الكتاب فى شيء من ذلك فكان ذا حال ضُمن ونُكب واجتيح وقُتل وباعه السلطان بالتطفيف. [140] وإن كان ذا فاقة وخَلّة أُرضى باليسير فانقلب وصار عوناً للخصم ولم يكن فى ذلك[١] بملوم لانّ سلطانه لا يحميه إذا خاف ولا ينصره إذا قال.

فهذه جملة الحال فى ضياع الدخل فأمّا الخروج فإنّ النفقات تضاعفت وسوق الدواوين أزيلت والأزمّة بطلت إلى غير ذلك من أمور يتّسع فيها القول ويقتضى بعضها سياقة بعض فاقتصرنا على الإشارة دون التطويل.

معزّ الدولة يركب الهوى فى أمور الغلمان

ثمّ ركب معز الدولة الهوى فى أمور غلمانه فتوسّع فى إقطاعاتهم وزياداتهم وأسرف فى تمويلهم وتخويلهم فتعذّر عليه أن يذخر ذخيرة لنوائبه أو أن يستفضل شيئاً من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد ومواده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حدّ منه بل يتضاعف تضاعفاً متفاقما وأدى ذلك على مرّ السنين إلى الإخلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم المنافسة[٢] للأتراك من أجل حسن أحوالهم.

وقادت الضرورة إلى ارتباط الأتراك وزيادة تقريبهم والإستظهار بهم على

---

١. كذا فى الأصل ومط: فى ذلك. وفى مط: بذلك.
٢. فى مط: المنافة، وهو خطأ.

الديلم وبحسب انصراف العناية إلى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيّات وفسد الفريقان أما الأتراك فبالطمع والضراوة [141] وأمّا الديلم فبالضرّ والمسكنة وأشرأبّوا إلى الفتن وصارت هذه المعاملة لقاحاً لها وسببا لوقوع ما وقع فيها مما سنذكر جملا منه في مواضعها بمشيئة الله.

نوح بن نصر يقبض على إخوة ابن محتاج ويقتل بعضهم

وفي هذه السنة سملت علم القهرمانة وقطع بعد ذلك لسانها.

وفيها ورد الخبر بأنّ نوحاً صاحب خراسان قبض على إخوة[1] أبي علي ابن محتاج وقتل بعضهم.

ذكر السبب في ذلك

لما انهزم ابن محتاج من بين يدى ركن الدولة بعد أن كان ضمن لصاحب خراسان فتح الرى أمدّه صاحبه بابن ملك وجماعة من نظرائه وقوّاده وبالغ في تقويته فسار في عدّة وعُدّة وافرة.

فكاتب ركن الدولة عماد الدولة وسأله المدد فأمره أن يخلى لهم الطريق ويصير إليه وأعلمه أنّ له تدبيراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الرى.

فراسل عماد الدولة صاحب خراسان سرّاً يُعرّفه قلة جدوى الرّى عليه مع ما يلتزمه من النفقات على العساكر العظيمة وأنّ الاستيحاش بينهما زائد مع ذلك ويسأله أن يزيل هذه الوحشة بأن يضمنه أعمال الرىّ عشر سنين بمثل

---

١. في مط: أخيه.

ما تقرّر[١] عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة ألف دينار في كلّ سنة على أن يسلفه مال سنة. [142]

وسأله إنفاذ ثقة من ثقاته ليوقع العهد معه ويحمل المال على يده وأنّه يعاونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به.

فوردت هذه الرسالة على نوح بن نصر ونيّته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه إلى تحصيل المال فشاور ثقاته وكلهم أضداد وأعداء لابن محتاج فأشاروا عليه بقبول ما بذله عماد الدولة فأظهر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على إخوة أبي عليّ ابن محتاج وأهله وأسبابه وقتل بعضهم.

وأنفذ إلى عماد الدولة عليّ بن موسى المعروف بالزرّاد[٢] وكان من قوّاده وأكابر حاشيته فسار على الجمازات واستقبله عماد الدولة وأكرمه وواصل إليه العطايا والتحف وماطله فيما ورد له.

وراسل أبا عليّ ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه أنّه على عهده محافظ على وده وحذره من غدر نوح وخوفه منه فحينئذ أنفذ ابن محتاج رسوله إلى ابراهيم بن أحمد وهو عمّ نوح وكان إذ ذاك بالموصل أحد قوّاد ناصر الدولة فعرّفه أنّه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على أصحابه على أن يكون إليه خراسان ويمضي معه فيحاربان نوحاً[٣] ويؤكد عليه أن يعجل إليه.

فرغب إبراهيم بن أحمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة [143] في المضي فقال له:

---

١. في مط تقرّ، بدل «تقرّر».

٢. كذا في الأصل ومط: الزرّاد. والمثبت في مد: الزرّار.

٣. في مط: فوجاً.

ـ «نحن على المصير إلى بغداد فانتظر حتى تدخلها فإذا دخلناها قلّدك الخليفة وخلع عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعزّ لك وأقوى لأمرك.»

وكان هذا فى آخر أيام المستكفي بالله فعمل إبراهيم بن أحمد على ذلك فلمّا طالت المدة وحدث على المستكفى بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة إلى بغداد تتابعت رسل أبى على ابن محتاج إلى ابراهيم فعبر تكريت فى سبعين غلاماً ومضى إلى دَقوقا ومنها إلى طَريق خراسان.

ثم وردت كتبه من الريّ على ناصر الدولة بأنّه سائر إلى نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فأنفذ إليه ناصر الدولة خلعاً سلطانية ولواء عقده له عن الخليفة المطيع لله وحمل إليه ذلك مع خُجخُج المسمول فتطير الناس له من ذلك وقالوا أنّه لا يتمّ أمره.

ولمّا بلغ أبا على مسير إبراهيم تلقاه الى همذان وعاهده على السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه إلى الريّ ثم نهضا جميعاً إلى خراسان وكتب كتاباً إلى ركن الدولة بأنّه سائر إلى خراسان وأنّه قد أفرج له عن الريّ فكتب عماد الدولة إلى أخيه ركن الدولة بالمسير إليها فبادر إلى ذلك واضطرب خراسان على نوح بن نصر.

ذكر ما تمّ من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال[١]

لمّا فرغ عماد الدولة من التضريب بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمّت المكاشفة بالعداوة بينهما [144] بادر بردّ الزراد[٢] رسول صاحب خراسان على نوح برسالة يقول فيها:

١. من هذا العنوان حتّى العنوان الآتي سقط من مط.

٢. والمثبت في مد: الزرّار، خلافاً للأصل ومط.

أنّه قد ظهر ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسعيه عليه وأنّه لمّا كاشفه بالحرب مع عمه إبراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة إلى عسكره حتى إذا سارت جيوش نوح بن نصر إلى عمّه وإلى ابن محتاج واحتاج إلى أن يسير ركن الدولة من ورائهم مُعاوناً له عليهما فعل ذلك.

وأقبل نوح إلى نيسابور فى عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج فحارباهُ وكسراهُ وأسرا إبراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قوّاده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مفلولاً على حال سيّئة من الضعف والحيرة واتبعه إبراهيم وابن محتاج وحملا معهما إبراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين أسيرين واستمرّت بنوح الهزيمة إلى سمرقند فدخل إبراهيم بن أحمد بُخارى واشتمل على الخزائن والذخائر وذلك فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

وكتب ابن محتاج إلى عماد الدولة يبشّره بما جرى ويسأله تجديد أمر السلطان لإبراهيم ابن أحمد بالخلع والعقد له على خراسان.

ذكر ما انتهى إليه أمر إبراهيم وابن محتاج مع نوح بن نصر وما اتّفق من الاسباب التى أعادت نوحاً إلى سريره ومقرّ عزّه بخراسان [145]

كان سبب ذلك أنّ إبراهيم أصغى إلى قوم حساد لأبى علىّ ابن محتاج فكانوا يوهمونه أنّ أبا علىّ إنّما استعان به ليجتمع له جيوش خراسان فإذا فرغ من نوح عطف عليه فعامله بمثل ما عامل به نوحا وأنّ الصواب له أن يحترز منه.

فوقر ذلك فى نفس إبراهيم وأطلق ابن سمجور وابن قراتكين وخلع عليهما من غير رأى أبى علىّ ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج وانقبض

عن إبراهيم وتمكن ابن سمجور وابن قراتكين من استمالة الجند وكاتبا نوحاً وتردّدت الرسل بينهم سرّاً.

ثم إنّ نوحاً سار إلى ثغور خراسان فجمع منها جيشاً واستخرج أموالاً وعاد إلى بُخارى فملكها وقهر عمّه وحصل أسيراً فى يده فسمله[١] وسمل جماعة من أهل بيته.

ذكر الحيل التى تمّت لنوح على عمه حتى تمكّن منه ومن عسكره

كان إبراهيم وابن محتاج خرجا إلى ظاهر بُخارى وعسكرا بموضع يقال له : ريكستان، فبينما هم نزولٌ إذ صاح صائح فى الميدان الذى بحذاء دار الامارة ببُخارى:

ـ «نوح يا منصور.»

واجتمع إليه طائفة من الحشم.

ثمّ إنّ نوحاً زحف إلى عمّه إبراهيم وكان يدبّر أمره ابن أبى داود البلخى فاحتال على تقوية قلوب أصحابه بأن أعلمهم أنّ مدداً كثيرا قد أقبل إليهم وهم يلحقون في [146] الليل وكانت الحرب قد وقعت فى ذلك اليوم فكانت على نوح.

فلمّا كان فى الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مراكبهم وأمرهم بالإبعاد، فإذا كان فى الثلث الآخر من الليل ضربوا بطبولهم وبوقاتهم ودباديهم ودخلوا العسكر فى صورة المدد، ففعلوا ذلك فلم يزالوا إلى الصبح يدخلون العسكر على هذه الصورة.

---

١. فى مط : فسلمه، بدل «فسلمه» وهو تصحيف.

فلمّا أصبحوا وتصافّوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع إبراهيم وانهزم قوم من أصحابه وانهزم أبو عليّ ابن محتاج وظفر نوح بإبراهيم وعاملهُ بما ذكرتُ.

وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طغج الأخشيد وتقلّد مكانه ابنه أبو القاسم بوجور[1] وغلب كافور الخادم الأسود وكان خادم الأخشيد على الأمر.

وفيها مات على بن عيسى عن تسعين سنة.

ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

ذكر توثّق معزّ الدولة من المطيع لله

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثّق من أمير المؤمنين المطيع لله. فاستحلفه بيمين عظيمة ألّا يتغيّب عن معز الدولة ولا يبغيه سوءاً ولا يُمالئ له عدوّاً. فلمّا حلف أزال عنه التوكيل وعاد إلى دار الخلافة.

واعتزل أبو على الحسن بن هارون النظر في الأمور لتحامل[2] الصيمرى [147] عليه ومصادرة كاتبه فردّ النظر في الأعمال إلى أبي الحسين على بن محمد بن مقلة من قبل أبي جعفر الصيمرى ورعى له معز الدولة مكاتبته له أيام مقامه في الجانب الغربي. فلمّا عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم ردّ في هذا الوقت إليه النظر في الأمور وقُلّد كتبة الخليفة أبو أحمد الفضل ابن عبد الرحمن الشيرازى وسُلّمت إليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتى ألف دينار في السنة.

---

١. كذا في الأصل ومط: بوجور. والمثبت في مد: أوجور.
٢. كذا في الأصل ومط: لتحامل (بالحاء المهملة). والمثبت في مد: لتجامل.

خبر دخول ركن الدولة الريّ ومَلْكه الجبلَ بأسره

وفيها ورد الخبر في المحرّم بدخول الأمير ركن الدولة الريّ وأنّه ملك الجبل بأسره.

التماس ناصر الدولة الصلح من معزّ الدولة

وفيها ورد أبو بكرٍ ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردّد قبل هذه الوقعة مرات فتقرّر أمر الصلح على أن يكون في يد ناصر الدولة من حد تكريت إلى فوق ويضاف إلى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً ممّا كان يحمله من المال ويكون الذى يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الأخشيد محمّد بن طغج عنهما وعلى أن يدرّ ناصر الدولة الميرة إلى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة، وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به.

وأنفذ القضاة مع ابن قرابة إلى معز الدولة لالتماس الصلح [148] بغير موافقة منه للأتراك ولا علم منهم فلمّا علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الأتراك للايقاع به وأحسّ ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر إلى خيمة مَلْهُم [١].

وكان ملهم والقرامطة فى الجانب الغربى والأتراك وناصر الدولة فى الجانب الشرقى واستجارهُ فأجاره وسيّره في الجانب الغربى ومعه ابن شيرزاد وبقي الأتراك فى الجانب الشرقى.

---

١. مَلهُم: الضبط من الأصل.

فلمّا فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادى وقبضوا على أبي بكر ابن قرابة بعد أن نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كتّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطلبونه واستأمن ينال كوسه[١] ولؤلؤ إلى معز الدولة وأسرع ناصر الدولة فى سيره فلم يلحقه الأتراك.

ولما صار إلى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد[٢] وسلّمه وعلى طازاذ وعلى أبى سعيد ووهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم إلى القلعة.

ولم يتلبّث ناصر الدولة ومضى إلى نصيبين ورحل تكين الشيرزادى والأتراك إلى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا فى طلبه فمضى إلى سنجار فتبعوه وكتب إلى معز الدولة يستصرخه فأنفذ إليه معزّ الدولة جماعة من قوّاده ثم أنفذ إصفهدوست بعدهم ثمّ أخرج الصيمرى.

ولمّا سار [149] تكين الشيرزادى إلى سنجار فى طلب ناصر الدولة سار من سنجار إلى الحديثة فتبعه تكين إلى الحديثة فلمّا قرُب منه سار ناصر الدولة إلى السِن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى وإصفهدوست فساروا بأسرهم إلى الحديثة للقاء تكين الشيرزادى.

ووقعت الوقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتقطع أصحابه واستؤسر منهم وجوه القوّاد وجماعة من الأصاغر وقتل منهم خلقٌ بعد أن كان استعلى واستظهر فى الحرب.

---

١. كوسه: كذا فى الأصل ومط فى كلّ المواضع. والمثبت فى مد: كوشه.

٢. الدال فى اللغة الفارسية إذا وقعت بعد المصوّتات كانت تلفظ بها فى القديم ذالاً منقوطة، كما نراه فى أمثال: بغداد / بغداذ، شيرزاد / شيرزاذ، طازاد / طازاذ، فالودج / فالوذج، وغيرها، ولذلك نرى الخلط بين الدال والذال شائعاً عند النسّاخ فى المخطوطات القديمة.

ذكر السبب في هزيمة تكين
والظفر به بعد استعلائه

كانت العرب على كثرة عددهم في عسكر الصيمرى ينقضون صفوف الديلم ولا يصدقون اللقاء فقال لهم الصيمرى:

ـ «اعتزلوا عنّا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فإن انهزم واحد منهم فاتبعوه وإن ثبت فدعونا وإيّاه مادام ثابتاً واعلموا أنّكم إذا قربتم منّا واختلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل أعدائنا».

ففعلوا واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الأتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم وثبوا في وجوه الأتراك فلمّا ولّوا حمل عليهم العرب ووضعوا[١] الرماح بين ظهورهم ونكّسوهم فأكثروا القتل والأسر.

ثم استأسر [150] جنود تكين الشيرزادى فتقرّبوا به إلى ناصر الدولة فسمله[٢] للوقت وأنفذه إلى قلعة من قلاعه وسار ناصر الدولة وأبو جعفر إلى الموصل فنزل الصيمرى في الجانب الشرقي بإزاء الموصل ودخل إليه ناصر الدولة وحصل عنده في خيمته وخرج من عنده وعبر إلى الموصل ولم يعد إليه بعدها.

فحكى عن ناصر الدولة أنّه قال:

ـ «لمّا حصلتُ مع أبي جعفر الصيمرى في خيمته ندمتُ وعلمتُ أنّي قد أخطأت وغُررت فبادرت إلى الإنصراف.»

وحكى عن الصيمرى أنّه قال:

ـ «لمّا خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركي القبض عليه

---

١. في مط: وقصعوا.

٢. في مط: فسلمه.

وعلمت أنّي قد ضيّعت الحزم وأخطأت بعد أن فاتنى الصواب.»

ثم تسلّم أبو جعفر الصيمرى طازاذ ووهباً وجوهراً وألف كرّ حنطة وشعيراً وانحدر بهم إلى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم إلى بغداد موكّلا به وصادره معزّ الدولة على خمسمائة ألف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا إلى معزّ الدولة فأحسن إليه معزّ الدولة وأطلقه وأقطعه إقطاعاً.

حوادث أخر

وفيها خرج لشكرورز[١] بن سهلان فى جيش إلى الأهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الأمير معز الدولة وبين أبى القاسم البريدى.

وقبض معزّ الدولة على ينال كوسه[٢] [151] وكان استحجبه وعلى أرسلان كور وعلى فتح اللشكرى وحملهم إلى قلعة رامهرمز.

وفي يوم الأحد لثمان خلون من شوّال ضرب الصيمرى ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطالبه بمال المصادرة وأنحدر الصيمرى إلى الأهواز.

وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدى وبين أصحاب معزّ الدولة فكانت على البريدى وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم.

ودخلت سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة

المطيع ومعز الدولة ينتزعان البصرة من يد البريدى

وفيها سار المطيع لله والأمير معز الدولة إلى البصرة وانتزعاها من يد أبى القاسم البريدى فسارا من واسط في البرّيّة على الطفوف فلمّا صاروا فى

---

١. ما فى الأصل: لشكروز (الشكروذ؟). وفي مط: اسكررود. والمثبت في مد: لشكرورز.

٢. كذا فى الأصل ومط: كوسه. والمثبت في مد: كوشه.

البريّة ورد على الأمير معزّ الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم إليه بالإنكار عليه في سلوك البريّة من غير أمرهم إذ كانت لهم. فلم يُجب عن الكتاب وقال للرسول:

ـ «قل لهم: ومن أنتم حتى تستأذنوا في سلوك البريّة وكأنّي أنا أقصدُ البصرة إنّما قصدي بلدكم وإليكم بعد فتحي إيّاها وستعرفون خبركم».

وكلام في هذا المعني فانصرف الرسول.

وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذة في الماء فملك مسماران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والأمير معزّ الدولة إلى الدرهمية فاستأمن إليه [152] جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدي إلى هجر وملك معزّ الدولة البصرة فانحلت الأسعار كلّها ببغداد انحلالاً شديداً.

وقبض معزّ الدولة على جميع قوّاد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعه وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات الماء من الشذاآت والطيارات والزبازب واستدعى لؤلؤاً من بغداد فقلّده أعمال البصرة والحرب.

معزّ الدولة يصل إلى الأهواز
ليلقى أخاه عماد الدولة

ووصل معزّ الدولة من البصرة إلى الأهواز ليلقى أخاه عماد الدولة وتأخّر الخليفة والصيمري بالبصرة.

وتأخرّ كوركير[1] عن صحبة معزّ الدولة من غير موافقة وقيل: إنّه في التدبير عليه، وعقد الرياسة لنفسه فوجّه إليه بأبي جعفر الصيمري فامتنع

١. لعلّه في أصله الفارسيّ: گورگير، أي صائد الجور.

عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به إلى معزّ الدولة فأنفذه إلى القلعة برامهرمز.

ولقى معزّ الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الأرض بين يديه واجتهد به عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردّد إليه كل يوم بالغداة والعشيّة فيقف ولا يجلس.

وقيل للأمير معزّ الدولة: إنّ عماد الدولة يريد أن يسأله في الإفراج عن رامهرمز وعسكر مكرم. فحكى أبو الحسن المافرّوخى[١] أنّه كان مع معزّ الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقيا بها قال: فدعانى عماد الدولة وقال:

- «بلغنى أنّه حكى لأخى [153] أنّي وافيت إلى هذا الموضع لارتجع منه بعض أعمال الأهواز.»

وضرب بيده إلى لحيته وقال:

- «سوءة لها، إن أنا تواضعتُ لهذه الحال من لى حتى أحتاج إلى استكثار البلاد وادّخار المال له؟ هذا وأخوه إبناى وإنّما أريد الدنيا لهما. والله ما وافيتُ إلّا لأعقد ما بينهما أمر[٢] الرياسة حتى لا يجرى خلاف إن حدثت بى حادثة فإنّى عليل كما ترى وأسأله أن يقدّم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في بلاده ولو أراد بعض فارس لوهبتهُ له ولقد أصبحتُ وأمسيتُ وما مناى على الله إلّا العافية وسلامتهما وإبقاؤهما فإنّهما أخواى بالنسب وابناى بالتربية وصنيعتاى بالولايات ومن لى غيرهما فيقدّر ما يقدّر.»

قال: «فعدتُ إلى معزّ الدولة وحدّثته بالحديث فبكي وحضر في آخر

١. هو محمد بن أحمد كذا في إرشاد الأريب ٣: ١٨١. وفي مط: المافرّوجي.
٢. في الأصل غموض وقرأناه «أمر». في مط والمثبت في مد: «من».

النهار عند عماد الدولة فأسرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرته حتى ضمه عماد الدولة إلى نفسه.»

وتمّ الصلح مع ناصر الدولة

ثم انصرف إلى بغداد وامتدّ إلى باب الشماسية وقدم الخليفة فنزل بالزبيدية[١]. وأظهر معزّ الدولة أنّه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتاباً إلى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قرابة إلى هناك بجواب الرسالة وتردّد مرّات ثم حمل المال وتمّ الصلح.

[154] ودخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

وفيها ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة وأخذ الروم مرعش[٢] وأوقعوا بأهل طرسوس.

وفيها قبض معزّ الدولة على اصفهدوست وحمله إلى قلعة رامهرمز.

ذكر السبب في ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معزّ الدولة وولد له من أخته الحبشى وكان يكثر الدالّة عليه ويقلّ الهيبة له وكان يُزرى عليه في كثير من أفعاله. وبلغ معزّ الدولة عنه أنّه يراسل المطيع لله في الإيقاع به وأنّه قد استجاب له إلى ذلك فلمّا كثر عليه ذلك قبض عليه.

وفيها ورد الخبر بانّ ركن الدولة هزم العلوى الذى كان بجرجان

---

١. كذا في الأصل ومد: فنزل بالزبيدية. في مط: فقال بالزيديّة!

٢. في مط: مرعشر، بدل «مرعش».

وطبرستان.

وفيها دخل أبو القاسم البريدى في الأمان إلى بغداد ولقى معز الدولة وقبّل الأرض بين يديه وأنزله وأقطعه بمائة وعشرين ألف درهم ضياعاً.

وفيها ورد الخبر بمسير السّلار[1] وهو المرزبان بن محمّد إلى الرىّ طامعاً فيها وفى دفع ركن الدولة عنها فحاربه ركن الدولة وأسره مع ثلاثة عشر قائداً من قوّاده وحمله إلى القلعة بسميرم وحبسهُ فيها وعاد الأمير ركن الدولة إلى الرىّ وقد شرحنا أمرهُ على الإستقصاء فيما بعد.

تزوير خطّ ابن قرابة

وفيها خرج الأمير معزّ الدولة [155] إلى الموصل ودخلها وجرت مراسلات بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقرّ آخرها على أن يحمل عن الموصل وديار ربيعة وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ويقيم الخطبة لعماد الدولة ومعزّ الدولة وبختيار بن معزّ الدولة وأخذ الفضل والحسين ابنى ناصر الدولة رهينة وانصرف إلى بغداد.

ولم يكن الصيمرى أخذ خطّ ناصر الدولة بهذه المفارقة وذلك لأنّ ابن قراتكين غلام صاحب خراسان قصد الرىّ واضطرب معزّ الدولة فبادر إلى بغداد لينفذ منها جيشاً إلى أخيه فعسف أبا جعفر عسفاً شديداً فى فصل القصّه.

فقال الصيمرى تسكيناً له:

ـ «ارحل إذا شئت فقد أخذتُ الخطّ بثمانية آلاف ألف درهم.»

ونما بعض الخبر إلى ناصر الدولة فامتنع على أبى جعفر من بذل الخط

---

١. فى مط: السلاد، وهو خطأ.

وخاف أبو جعفر أن يخبر الأمير معزّ الدولة بالصورة بعد الإعتراف فلا يقيله العثرة وانحدر إلى بغداد.

فقال أبو محمّد المهلبي وكان يخلف الصيمري: قلت لأبي جعفر:

ـ «بأيّ شيء تحتجّ على الأمير إذا طالب بهذا الخط فلم تحضره إيّاه؟»

فقال: «أطالب ابن قرابة حتى يكتب خطّه عنه فإنّه لا يقدر[١] على مخالفتي ثم إن أنكر ناصر الدولة قلت إنّه خليفته وما كتب عنه يلزمهُ.»

قلت: «فإن لم يكتب ابن قرابة خطّه وهذا مما لا يجوز أن تكرهه عليه؟»

قال: «نزوّر [156] على خطّ ابن قرابة.»

(وكان ببغداد من يُزوّر على الخطوط عجباً).

قلت: «فإذا صحّ رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكَتب الخطّ فإنّه إن امتنع عليك بطل التزوير به ولكن نزوّر. فزوّرنا والله على خطّ ابن قرابة ضماناً بثمانية آلاف ألف درهم وخرج الصيمرى لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرّته التى ما عاد بعدها.»

ووافى ابن قرابة وطالبتهُ بالمال فأبى وأريتهُ الخط فجحده وحلف بالطلاق أنّه ما كتبه ثم قال:

ـ «ما أشك أنّه خطّي ولكن ما كتبتهُ. ثمّ هذا يا هذا أنا قد شككت فكيف غيرى[٢] ممّن تشتبه عليه الخطوط؟ وأنت تعلم يا با محمد أنّ ناصر الدولة امتنع من كتب الخطّ على أبي جعفر وانّ أبا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بي البلوى وليس هذا حقّي عليك.»

فقلتُ: «الأستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والأمير ينصر وزيره

---

١. في مط: لا يقدر قرابة، بزيادة «قرابة».

٢. في مط: عزمي، بدل «غيري».

ولا ينصرك ويشهد ونحن معه أنّ[١] هذا خطّك لئلاّ يبطل ماله ويصير محصوله مخاصمة وزيره ولكن الرأى أن تقول للأمير: لما حدث أمر ابن قراتكين وخرج الجيش إلى الرى طمع ناصر الدولة وجحد الضمان والوجه مقاربتُه[٢] حتى يصحّ من جهته بعض المال وإلّا بطل الأصل، ثم إذا زال هذا الشغل بعد سنة صار [157] الكلام لسنة مستأنفة ويعجّل شيئاً يؤخذ منه فإنّ هذه السنة أصلح».

فأعاد ذلك على الأمير معزّ الدولة ودعاني على خلوة وقال لى:

ـ «أى شىء ترى؟.»

فقلت: «الوجه أن نقارب ونأخذ ومتى تمكّنّا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفى تمام الثمانية الآف الألف الدرهم.»

قال: «فافعل.»

وقررنا الأمر على ثلاثة آلاف ألف درهم لسنة واستوفيناها.

وكان الصيمرى لمّا انصرف من عند ناصر الدولة بالصلح صار ناصر الدولة إلى الموصل وعسف الناس وطالبهم بمال التعجيل.

خروج سبكتكين إلى الرّىّ

وفى هذه السنة خرج سبكتكين الحاجب ومعه أكثر الجيش والقرامطة إلى الرى مدداً لركن الدولة ثمّ أتبعه معزّ الدولة بروزبهان وعليكان وجماعة من الديلم ولحقوا به.

---

١. فى مط: ونشهد نحن أنّ.. بدل «ويشهد ونحن معه أنّ..»

٢. الضبط من الأصل.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فيه أن جيش خراسان تحرّك فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان إلّا أنّه كان مستوحشاً من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنّه صائر إليه فى الجيش الذى معه فاستعدّ له ركن الدولة وأعدّ أصناف الكرامات له.

وكاتب أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه معزّ الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فحمل كل واحد منهما إليه شيئاً كثيراً من المال والدوابّ [158] والثياب والألطاف فصرفها كلّها إليه مع ما أضاف إليه من جهته، وذلك بعد أن حضره ووطئ بساطه ورده إلى الدامغان فوصل إليه شىء لا عهد له بمثله. وإنّما ردّه إلى الدامغان لئلا يتضايق الريّ بالعساكر وقيل له:

ـ فرّق من الأموال ما ترى على من ترى.

ثمّ استقرّ الرأى بين الأمراء الثلاثة أعنى عماد الدولة وركن الدولة ومعزّ الدولة على تقليد ركن الدولة خراسان والعقد له عليها ليكون محاربته إيّاهم على الأصل والولاية.

ثمّ وردت الأخبار بحركة المرزبان بن محمّد بن مسافر وهو السّلار وأنّه عازم على قصد الريّ لمحاربة ركن الدولة مغتنماً ورود جيش خراسان وأنّه سيشغله ذلك عنه.

فندب عند ذلك معزّ الدولة سبكتكين الحاجب للمسير إلى ركن الدولة مدداً له بعد أن عظم أمره وفخم شأنه، وضمّ إليه جماهير عسكره وأكابر

قوّاده وفيهم بورَريش[١] وروزبهان ومن يجرى مجراهما وقطعة وافرة من الأتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المعروفين فيهم إبراهيم بن المطوّق المعروف بابن البارد وعمّار المجنون وأحمد بن صالح الكلابى وطبقتهم وأطلق الأموال وأزاح العلل فى الخيل والسلاح وغيرها.

وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملت الخلع إليه معه وخرج بذلك أحد حجّاب [159] السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة.

فلمّا وصل العسكر إلى ظاهر الدينور خلع بورريش الطاعة وأنف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع إلى نفسه الديلم الذين فى العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه فى غداة غدٍ وهو فيها غافل جالس فى خيمة له فغافصوه[٢] ورماه بزوبين أثبته فى كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحاً من تحت ذيل خيمته وركب جنيبة النوبة فبرز إلى الصحراء وتلاحق به غلمانه وسائر الأتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه ونهب رحل حاجب السلطان الذى معه الخلع فذهبت فى النهب.

وتحيز الديلم كلّهم مع بورريش إلّا روزبهان ونفراً قليلاً معه فإنّهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورريش ومرّ بورريش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم إلى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عذرهم ولم يسئ إلى أحد منهم.

وأمر العرب بطلب بورريش فلم يكن بأسرع من أن يوافى به إبراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدى سبكتكين فخاطبه

---

١. كذا فى الأصل: بورَرِيش، فى كل المواضع وفى مط: نوردانش.
٢. غافصه: فاجأه وأخذه على غرّة منه.

بما يجرى مجرى التشفى وأسمعه القبيح ثمّ أمر بتقييده ورحل إلى همذان واستأنف الخلع التى انتهبت حتى [160] أقام العوض عنها ثم تمم المسير إلى حضرة ركن الدولة فوجده نازلاً بباب الرى فسلم بورريش إليه فكان آخر العهد به.

ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرئ عهده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمناجزة المرزبان فإنّه كان أهمّ وأولى بالأبتداء فلمّا واقعه ظفر به وأُخذ أسيراً كما حكينا فى أخباره.

ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

انحدار الصيمرى لمحاربة عمران بن شاهين

وفيها انحدر أبو جعفر الصيمرى لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجامدة وجنى جناية فهرب إلى البطيحة من سلطان الناحية فأقام بين القصب والآجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر إلى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادى السمك[1] فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حمى جانبه من السلطان.

فلمّا أشفق من أن يُقصد استأمن إلى البريدى فقلده أبو القاسم الجامدة[2] للحماية والأهواز التى فى البطائح فما زال يجمع الرجال إلى أن كثر أصحابه وقوى فغلب على تلك النواحى.

---

١. فى مط: الصمك! وهو تصحيف نشأ من سيطرة الصاد على الكلمات فى الأسطر الأخيرة.

٢. فى مط: الجامدة (بالحاء المهملة).

انصراف ابن قراتكين إلى نيسابور

وفيها ورد الخبر بأنّ ابن قراتكين غلام صاحب خراسان [161] انصرف إلى نيسابور وتفرّقت جموعه عنه وبقي وشمكير بطبرستان فسار إليه ركن الدولة

يريده فلمّا قرب منه انصرف بغير حرب وعارضه عليّ بن سرخاب أحد قواد ركن الدولة فأوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمكير إلى ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل.

ايقاع الصيمري بعمران

وفيها أوقع الصيمري بعمران بن شاهين دفعةً بعد دفعة واستأسر أهله وعياله وهرب عمران بن شاهين واستتر.

ورود خبر موت عماد الدولة واضطراب الجيش

ثمّ ورد الخبر بموت عماد الدولة عليّ بن بويه فاضطرب الجيش هناك وكتب معزّ الدولة إلى الصيمري بالمبادرة إلى شيراز لإصلاح الأمور بها فترك الصيمري ما كان فيه من طلب عمران ابن شاهين وبادر إلى شيراز.

ووافى ركن الدولة إلى شيراز واجتمعا على تقرير الأمور وضبط البلد واصلاح أمر الجيش فلمّا استقام الأمر وصلح البلد سلماه إلى الأمير أبي شجاع فنّاخسره بن ركن الدولة وانصرفا عنه.

وكانت علة عماد الدولة التي مات فيها قرحة في كُلاه طالت به ونهكت جسمه ولمّا مات نفذت كتُب الخليفة بأنّه قد نصب أخاهُ الأمير ركن الدولة مكانه وجعله أمير الأمراء.

وتغيرت نيّة الأمير معزّ الدولة على أبى الحسن المافرّوخى وقبض على أبى محمد علىّ بن عبد العزيز ابن عمّه بالبصرة ثمّ على أبى الحسن بعده لمّا عجزا عن [162] ضمان البصرة والأسافل فإنّ أمرها كان مُشتركاً وكتب إلى أبى جعفر الصيمرى وهو بشيراز بأن يُنفذ إليه أبو الفضل العبّاس بن فسانجس[١] فأنفذه وقلّده الدواوين التى كانت إلى أبى الحسن المافرّوخى ويسألها منه قبل أن يستكتب الأمير معزّ الدولة أبا محمد المُهلّبى بأسبوع.

ثمّ حاول أن يُدخل يده في ديوان السواد ليجرى فى ديوانه فمنعهُ أبو محمّد المهلبى واحتجّ عليه بأن هذا الديوان كان يجرى فى ديوان الصيمرى. ثمّ حاول أن يُدخل يده في ديوان النفقات وكان يتولّاهُ أبو الفضل العبّاس ابن الحسين الشيرازى وفي ديوان الجيش وكان إلى سهل بن برديشت وفي حساب الخزانة الذى يتولّاه أبو على الحسن بن ابراهيم الشيرازى فمنعه معزّ الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة [به][٢] وسكونه إليها.

وفيها ورد الخبر بأنّ كوركير وينال كوسه[٣] قتلا الموكّلين بقلعة رامهُرمز وكسرا قيودهما وخرج ينال كوسه وهرب فلقيه الأكراد ومانعهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح اللشكرى ولا أرسلان كور ولا اصفهدوست وكتب معزّ الدولة إلى أبى جعفر الصيمرى وهو بشيراز أن يبادر إلى القلعة وحفظها فبادر وكان اصفهدوست[٤] عليلا من قولنج فمات بها.

ولمّا بعد الصيمرى عن عمران [163] وشغل بهذه الأسباب بعد أن لم يبق

---

١. فسانجس: ما فى الأصل ومط مهمل إلّا فى الحرف الأوّل، والضبط من مد.
٢. ليس في الاصل والزيادة من مد وهى صواب.
٣. فى مط: كوشه.
٤. فى الأصل: اسفهدوست (فى الموضعين الأخيرين).

فی أمره شیءٌ تنفّس وخرج من استتاره وعاد إلی أمره وجمع إلیه من کان تفرّق عنه من رجاله وقوی أمره.

ترشیح فنّاخسره للأمر

وفی هذه السنة أحس علیّ بن بویه عماد الدولة بالموت لمخالفة العلل إیّاه وخاف لبُعد أخیه عنه وکثرة من فی جملته من کبار الدیلم أن یطمع فی مملکته بعده فاستدعی فنّاخسره بن رکن الدولة من أبیه لیرشّحه للأمر بعده ویأنس به القوّاد والجیش ففعل ذلك.

وسار فناخسره بن رکن الدولة إلی شیراز وضم إلیه أبوه حاشیته الثقات ولمّا قرب من شیراز تلقّاهُ عماد الدولة فی جمیع عسکره[1] وأجلسهُ فی داره علی السریر وأمر الناس بالسلام علیه ووقف بحضرته لئلا یمتنع أحدٌ فکان یوماً عظیماً مشهوداً، ثمّ عهد إلیه بعد ذلك ومات.

ذکر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته

کان عماد الدولة یتهم جماعةً من أکابر قوّاده ویعرفهم بطلب الریاسة لأنفسهم. وکانوا یرون أنفسهم أکرم منهُ منصباً وأحق بالولایة فنظّف عسکره منهم وقبض علی جماعة.

فکان ممن قبض علیه شیرنجین بن جلیس فخوطب فیه وتشفّع فیه [164] وجوه حاشیته وثقات أصحابه فقال لهم:

ـ «إنّی أحدّثکم عنه بحدیث فإن رأیتم بعد استماعه أن أطلقهُ فعلت.»

١. وفی مد وقع خلط: جاء «عسکره» بعد «وضمّ» وأثبت «جمع» بدل «جمیع».

ثم ابتدأ يُحدّثهم أنّه كان بخراسان في خدمة نصر بن أحمد. قال:
ـ «ونحن يومئذ في شرذمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام في كل أسبوع مرّتين فجلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر آلاف غلام سوى سائر العسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرّد دشنيا[١] واشتمل عليه بكسائه. فقلت له:
ـ «ما هذا؟»
قال: «أريد أن أصنع اليوم ما أُذكر به آخر الدهر.»
قلت: «وما هو؟»
قال: «أدنو كأنّي متظلم أو طالب حاجةٍ فأقبّل الأرض ولا أزال أدنو حتى إذا وثقت بالوصول إلى هذا الغلام (يعني نصر بن أحمد) فتكتُ به ثمّ لا أبالي أن أُقتل بعده وقد أنفت من القيام بين يدى صبيّ.»
وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته.
فعلمت أنّه إن فعل لم يُقتل وحده حتى تُقتل كلّنا معه معاشر الديلم فأخذت بيده وقلت له:
ـ «بيني وبينك حديثٌ.»
وجمعت عليه الديلم وحدّثتهم بما همّ به وما يجيء علينا كلّنا إن تمّ له ما يُريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشني،
أفتريدون من بعد أن سمعتم رأيه في نصر بن أحمد أن أمكّنه من الوقوف بين يدى هذا الصبي؟ [165] فأمسكوا عنه وقالوا:
ـ «الأمير أعلم بجيشه.»
ولم يزل محبوساً حتى توفّى في محبسه.

---

١. في الأصل ومط: دشنيّهُ. والمثبت في مد: دشنيا. واصلهاالفارسي: دِشْنَة: أي خنجر. والمثبت في حواشي مد: دشته، وهو خطأ.

وفى هذه السنة قُلّد أبو السائب عُتبة بن عبيد الله قضاء القضاة.

ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

خبر دخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان إلى الريّ

وفيها ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان إلى الريّ وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كلّه.

موت الصيمرى

وفيها مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى فى حُمى حادّة بالبزبونى من الجامدة لمّا عاد لمحاربة عمران بن شاهين.

استكتاب معزّ الدولة المهلّبى

وفيها استكتب معزّ الدولة أبا محمّد الحسن بن محمّد المهلّبى ولما ورد الخبر بموت أبى جعفر الصيمرى أرجف لجماعة[1] بأنّ الأمير معزّ الدولة يستكتبه فمنهم أبو علىّ الطبرى ومنهم أبو علىّ الحسن بن هارون ومنهم أبو محمّد المهلّبى واجتمع أبو محمّد المهلّبى وأبو علىّ الحسن بن هارون فتحالفا على أنّ من صحّ له الأمر منهما كان لصاحبه على مودّة ومشاركة.

وسعى أبو على الطبرى وكان رجلاً أمّيا فى أول أمره نخّاساً يبيع الرقيق فخطب كتبة الأمير أبى الحسين مكان أبى جعفر الصيمرى وبذل مالاً فأطمعه معزّ الدولة فيما قدّر وتقدّم إليه بحمل المال فحمل إلى الخزانة مالاً فلمّا صحّ

١. فى مط: الجماعة.

المال عدل عنه [166] إلى أبى محمّد المهلّبى فقلده كتابته وتدبير أعمال الخراج وجباية الأموال وخلع عليه لذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من جمادى الأولى.

وزوّج أبو محمّد المهلّبى ابنته من أبى على الحسن بن محمّد الأنبارى الكاتب واستخلفه بالحضرة وانحدر إلى الأهواز.

ذكر السبب في اختيار معزّ الدولة أبا محمّد المهلّبى وايثاره إيّاه على وجوه الكتّاب من الحضرة وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ

سبب ذلك أنّه وجده جامعاً لادوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره وإن كان فيهم من هو أرجح كتابة. وأيضاً فقد أنِس به على طول الزمان وأنّه خلف الصيمرى على الوزارة فعرف غوامض الأمور وأسرار المملكة وكان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج إليهم ولا يوثق بهم فيها.

وكان مع ذلك حسن الإنباء عن نفسه فصيحاً مهيباً متوصّلا إلى إثارة الأموال عارفاً برسوم الوزارة القديمة سخيّاً شجاعاً أديباً يفصح بالفارسية فتلافى أكثر ما درس[1] من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وأثار وجوه الأموال من مواضعها فحسنت إثارة[2].

وتوفر مع ذلك على أهل الأدب والعلوم فأحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ونوّه بهم ورغّب الناس بذلك فى معاودة ما أهمل منها.

ثمّ خرج إلى الأهواز فجمع أموالاً [167] كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها فى العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمّال

---

١. والمثبت فى مد: دارس، وهو مخالف لما فى الأصل ومط.
٢. إثارة: والضبط من مط: فى الأصل: اثاره. والمثبت فى مد: آثاره.

والضمناء فألزمهم أموالها فاتصلت حموله وظهر فضله على من تقدّمه.

ثمّ انتقل من الأهواز إلى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإثارته للأموال منها أكثر كما سنذكر بعضه.

إيغال سيف الدولة في بلاد الروم وما كان من عاقبته

وفى هذه السنة ورد الخبر بأنّ سيف الدولة غزا وأوغل فى بلاد الروم وفتح حصوناً كثيرة من حصون الروم وسبى عدداً.

فلمّا أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذى أراد الخروج منه فتلف كل من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً وارتجع السبى الذى كان سباه وأخذ سواده وكُراعه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلها وأفلت فى عدد يسير.

خروج سبكتكين إلى همذان

وفيها خرج الحاجب سبكتكين إلى همذان مدداً لركن الدولة فلمّا دخل قرميسين أسر من كان بها من أصحاب ابن قراتكين.

ردّ القرامطة الحجر الأسود

وفيها ردّ القرامطة الحجر الأسود إلى موضعه من البيت الحرام بمكّة وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنّابى من البيت الحرام وكان بجكم بذل فى ردّه خمسين ألف دينار فلم يُردّ، وقيل: إنّا أخذناه بأمر وإذا ورد الأمر بردّهِ رددناه.

فلمّا كان فى ذى القعدة [168] من هذه السنة كتب إخوة أبى طاهر كتابا

يذكر[١] فيه أنّهم ردّوا الحجر بأمر ممن أخذوه بأمره ليتمّ مناسك الناس وحجّهم.

وكان الذى جاء به أبو محمّد ابن سنبر ثم سار به إلى مكّة وردّه إلى موضعه.

ذكر الآثار الجميلة التى أثّرها الوزير أبو محمّد المهلّبى حتى عمرت الخراب[٢] وتوفّر دخلها واتصل الحمل منها بعد انقطاعه

قد كان معزّ الدولة لمّا فتح البصرة ودخلها تظلّم إليه الرعية من سوء معاملات البريديين فعرف أكثرها وذلك أنّ أبا يوسف البريدى خاصّة تفرّد بالنظر فى أعمال البصرة وجباية أموالها.

فرسم لأبى الحسن ابن أسد الكاتب أن يُطالب ملاّك الأرضين التى يؤخذ منها حقّ العشر ـ وتُعرف بصدقات أراضى العرب ـ بالبصرة عن كل جريب من الحنطة والشعير عشرين درهماً وإنّما فعل ذلك بسبب زيادة الأسعار بالبصرة وأنّ الكُر بالمعدّل من الحنطة بلغ بها مائتى دينار ولم يُستعمل ذلك إلّا على تدريج.

فلمّا قتل أبو عبد الله البريدى أخاهُ أبا يوسف أقرّ ابن أسد على العمل وأجرى الناس على ذلك الرسم.

وكانت العمارة تنقص فى كل سنة لأجل جور البريديين وعُمّالهم وهم يُطالبون بالعبرة فنقص مال العبرة [169] عن جربان العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه فى السنة التى قبلها.

---

١. فى الأصل ومد: يذكرون. فى مط: يذكر، وهو أنسب.

٢. فى مط: بعد الخراب، زيادة «بعد».

وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التى لحقتهم فألزموا أن يزرعوا تحت النخل حنطة وشعيراً فلمّا فعلوا ألزموا عن كل جريب أربعين درهماً فقصّروا في العمارة. فجعل ماكان يرتفع عبرة عليهم واستوفى من مُلاّك أرض العشر فتهارب الناس فزاد ذلك على من بقى.

فلمّا تقلّد أبو محمّد المهلبي وزارة معزّ الدولة ودخل البصرة وتظلّم إليه أهل البصرة من العبر التى جُعلت عليهم فى أرَضى الحنطة والشعير فوعدهم بكل ما أنسوا به.

ثمّ قرر أمرهم على أن يردّوا إلى رسمهم القديم فى أخذ العُشر حبّاً بعينه من غير تربيع[١] ولا تسعير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فأشار على أرباب العُشر أن يبتاعوا[٢] فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الإنصاف بثمن يرغب فيه معزّ الدولة عاجلا فيسهُل عليه ما ينحطّ من الإرتفاع مع ما يتعجّل له من المال ثم يضاف إلى ذلك ما يثمّره العدل وموقعُهُ من قلوب الناس مع الرجاء فى المستقبل لزيادة الإرتفاع.

فاستجابوا وتقرر الأمر بينهم على ألفى ألف درهم [170] ومائتى ألف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثمّ حطّ من الجميع عن الضعفى مائتى ألف درهم وكتب إلى معزّ الدولة بأنّ فى ذلك حظاً وصلاحاً ووفوراً فى ارتفاع الناحية فى المستقبل فحسن موقع فعله من معزّ الدولة فأمضاه.

وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجّلوا بالإبتياع ونُسب المبتاع إلى فضل ما بين المعاملتين فى العبر فعمر الناس وتضاعف الإرتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن المراكب ما يعدل

١. تربيع: كذا فى الأصل. فى مط: تربيع، كما هو المثبت فى مد.
٢. فى مط: أن يتنازعوا.

ألفى[1] ألف درهم فكان هذا من الآثار الجميلة لأبى محمّد المهلّبى.

ورود الخبر بشغب فى عسكر سبكتكين وانصراف القرامطة مع الأتراك

وفى هذه السنة ورد الخبر بشغب جرى فى عسكر الحاجب سبكتكين وأنّ القرامطة انصرفوا مع الأتراك بعد أن أوقع[2] بهم ركن الدولة.

ذكر السبب في ذلك

كان الإجتهاد شديداً فى استصلاحهم لأنّهم كانوا بإزاء حرب فلمّا تعذّر قال ركن الدولة:

ـ «هؤلاء أعداء معنا في عسكرنا وهم أشدّ علينا من أعدائنا الذين بإزائنا والوجه أن نحاربهم ونطردهم.»

فحاربهم وهزمهم فأمّا العرب فصاروا إلى معزّ الدولة وأمّا الأتراك فمضوا إلى الموصل ولمّا سار ركن الدولة إلى همذان ارتحل ابن قراتكين من الريّ [171] إلى أصبهان.

وفى هذه السنة واقع أبو محمّد المهلّبى عمران بن شاهين ومع أبى محمّد المهلّبى روزبهان فكانت على المهلبى وروزبهان واستؤسر أكثر قوّادهما وقتل أبو الفتح ابن أبى طاهر بعد أن استظهر المهلّبى واستعلى.

---

١. فى مط: ألفا.

٢. فى مط: وقع، بدل «أوقع».

ذكر السبب فى ذلك وفي هزيمة المهلّبى بعد الإستظهار علي عمران

كان السبب فى ذلك أنّ معزّ الدولة كان عوّل على روزبهان فى محاربة عمران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فطاوله عمران وتحصّن في مكامنه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر عليه عمران وهزمه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها.

وتضاعف طمعه فى السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفّوا بهم فكان بعد ذلك إذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقوّاد والأمراء من الديلم والأتراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرقة فإن تأبّى عليهم أحد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المهين وكان الجند لا يستغنون عن الإجتياز بهم لحاجتهم إلى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة [172] والأهواز ثم انقطع طريق البصرة إلّا على الظهر.

فشغل ذلك قلب معزّ الدولة وكثر بكاء الأمراء والحجّاب والقوّاد بين يديه بما يجرى عليهم من الهوان فى اجتيازاتهم فكتب إلى الوزير المهلّبى بالإصعاد إلى واسط لتلافى الحادثة والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد إليه عسكراً جرّاراً فيه ابن أبى طاهر ووجوه قوّاده وغلمانه وحمل إليه سلاحاً كثيراً وأطلق يده فى إنفاق الأموال فزحف إلى عمران وسدّ عليه مذاهبه وانتهى إلي مضيق فى البطيحة[و][1] شُعَب لا يعرف مسالكها إلّا عمران وأصحابه.

فأحبّ روزبهان أن يلحق المهلّبى مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبدّ

١. الواو زدناها من مط.

بالظفر فأشار عليه بالإقتحام والهجوم وتوثق المهلّبى وأراد سدّ تلك المضايق فأخذ روزبهان فى التضريب عليه وعارضه فى كلّ ما دبّره ومنعه من هذا الإستظهار وسدّ الشُعب وكتب إلى معزّ الدولة يستعجزه ويذكر أنّه إنّما يحجم ويجنح إلى المطاولة ليحتسب بالأموال فى النفقات.

ولم يزل بذلك وشبهه إلى أن وردت كتب معزّ الدولة بالإستبطاء فترك المهلبى الحزم[١] وركب الخطأ وعدل عمّا يدبّره كله ودخل بجميع عسكره [173] هاجماً على عمران وتأخّر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة.

وقد كمّن عمران كمناءه فى تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على العساكر وهم متزاحمون متضايقون فى طريق الماء لا يعرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف روزبهان موفوراً ونجا الوزير المهلّبى سباحة وحصل القوّاد والوجوه فى الأسر.

فاضطرت الحال إلى مصالحة عمران فقوى واستفحل أمره وأجيب إلى كل ما اقترح.

وقد كنا ذكرنا ورود الخبر بمسير السلاّر المرزبان إلى الريّ ووعدنا هناك باستقصاء خبره والآن حين نبدأ بذلك.

ذكر الاسباب التى بعثت السلاّر المرزبان على قصد الريّ وما انعكس عليه من تدابيره حتى أسر وحبس فى القلعة بسميرم

كان المرزبان أنفذ رسولاً إلى معزّ الدولة فى أمور حمله إيّاها فورد مدينة

---

١. فى مط: الحرم.

السلام وقد رحل عنها إلى البصرة فافتتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له إلى أن عاد فأدّى إليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدّم بحلق لحيته ففعل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال.

فحكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض وأخذ [174] في جمع الرجال والاستعداد ورأى أن يبتدئ بالريّ فراسل ناصر الدولة سرّاً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بأن يبتدئ بقصد بغداد فخالفه وأجابه بجميل وأعلمه أنّه يرى الصواب في الابتداء بالريّ فإن تمّ له ما يريد طلب بعد ذلك بغداد وغيرها.

وكان استأمن إليه من قوّاد الريّ عليّ بن جوانقوله[١] فعرفه نية القوّاد الذين وراءه بالرى وأنّهم على المصير إليه فزاده ذلك طمعاً واستدعى أباه محمّد بن مسافر وأخاه أبا منصور وهسوذان.

فلمّا وافاه أبوه تلقّاه وقبّل الأرض بين يديه وأجلسه في صدر الدست ووقف بحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه أبوه دفعات كثيرة فجلس وامتنع وهسوذان من الجلوس فلمّا جنّ الليل خلوا جميعاً وتفاوضوا. فلمّا عرف أبوه صحّة عزمه في قصد الريّ فثأ عزمه وعرّفه أحوالاً توجب الإمتناع من قصدها فأبى عليه وقال:

ـ «قد وردت عليّ كتب وأكثر القوّاد هناك مستعدّون للانحياز اليّ.»

فلمّا كان وقت الوداع بكى أبوه وقال:

ـ «يا مرزبان أين أطلبك بعد يومى هذا.»

فقال مجيباً له:

ـ «إمّا في الإمارة بالريّ وإمّا بين القتلى.»

---

١. في مط: حوابقوله!

وقد كان ركن الدولة [175] حين عرف خبره كتب يستمدّ من أخويه عماد الدولة ومعزّ الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب إليه على سبيل المكر والخديعة يعظّمه ويستخذى له ويسأله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن أبهر وزنجان وقزوين.

ولم تزل الرسائل تتردّد بينهما إلى أن ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب في ألفى رجل من جيش عماد الدولة وورد سبكتكين الحاجب في ألفى رجل من جيش معزّ الدولة وكان قد صار إليه محمّد بن عبد الرزاق مستأمناً من عسكر خراسان ومحمّد بن ماكان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلمّا تناهى استظهاره قبض على جماعة من قوّاده الذين شكّ فيهم واتّهمهم بمكاتبة المرزبان وسار إلى قزوين في جميع هذه الجيوش.

فعلم المرزبان أنّه لا طاقة له به ولكنّه أنف من الرجوع فعمل على محاربته وكان مع المرزبان يومئذ خمسة آلاف من الديلم والجيل والأكراد فحملت ميمنة ركن الدولة وميسرته على ميمنة المرزبان وميسرته فانهزمتا جميعاً وثبت هو في القلب إلى أن قتل بين يديه حموه بلى وونداسفجان بن ميشكى[١] وأسر علىّ بن ميشكى المعروف ببُلّط ومحمّد بن إبراهيم وعدّة من أكابر قوّاده وأحاطت الرجال به فأسر وحمله [176] ركن الدولة إلى الرىّ ومنها إلى أصبهان وحمل من أصبهان إلى قلعة سميرم.

فلمّا انفصل من الرىّ مع جماعة من قوّاد ركن الدولة وخوّاصه وكانوا مضمومين إلى الأستاذ الرئيس حقّاً أعنى أبا الفضل ابن العميد رحمه الله كان[٢] هو المتولى حفظه والاستظهار عليه إلى أن يحصل فى القلعة.

---

١. في مط: مشكى.
٢. فى الأصل ومط: وكان، بزيادة «و».

ذكر تدبير تمّ على المرزبان حتي حصل بإصبهان بعد أن كان واطأ الديلم الذين أخرجوا معه على الفتك بأبي الفضل ابن العميد والهرب به

حدّثني الأستاذ الرئيس أبو الفضل قال:

لمّا كنّا بين الريّ واصبهان تحقّق عندي مراسلة الديلم إيّاه وإجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلّوا قيوده ويفتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع.

فلمّا خفت فوت التدبير سايرته وهو في عمارية وحادثته وهو ينتظر في ذلك اليوم أن يتمّ له ما يريد وجعلت أقاربه وألينُ له. فأظهر التوجّع والتألم مما حصل فيه فلمّا أطمعته في نفسي ـ وكان لا يطمع في ذلك من قبل ـ أمال إليّ رأسه وقال:

ـ «أنت مقبل فإن كنت صادقاً فابدأ بحلّ قيودي وعليّ لك كيت وكيت.»

وضمن الضمانات التي تبذل في مثل ذلك الوقت. فأوهمته أنّي لا أعرف شيئاً من مواطأة الديلم له وقلت:

ـ «أخشى ألّا يساعدني من معي على ذلك.»

فقال: «غفر الله لك، أنت لا تعرف [177] الصورة، جميع من معك قد عملوا على فكّ قيودي والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة إن شئتَ.»

فقلت: «يكفيني أن أثق بذلك ثم أنا أول عبد خدمك وناصحك وتابعك حتّى يتمّ لك ما تريده.»

وحدّثته بأشياء أنكرتها من صاحبي وحقود في قلبي عليه فاستدعى واحداً بعد واحد من القوّاد الذين كانوا معي وأسرّ إليهم أنّي معه وموال له ووصل حديثه معهم بأن أدخلني معهم في التدبير فأظهرت سروراً شديداً

بذلك وتواعدنا النزول فى المنزل القريب وإتمام التدبير.

فلمّا نزلنا وضُربت خيمتنا وخركاهاتنا وحصل فى موضعه راسلنى وأخلانى بنفسه ثم قال لى:

ـ «ابعث إلى فلان وفلان ـ يعنى جماعة ممن يثق بهم ـ حتى يحضروا.»

فقلت: «أيّها السلارّ[1]، إنّ هاهنا تدبيراً يجب أن تسمعه فإن وقع بوفاقك وإلّا فما تأمر به ممتثل.»

فقال: «وما هو.»

فقلت: «إنّ حرم ركن الدولة وأولاده وخزائنه كلّها بإصبهان وأنا وزيره وثقته والمتولى للجميع فلو امتددنا على صورتنا هذه حتى لا نُتّهم لتمكنت من القبض على الجميع وحصلنا فى مدينة عامرة نتمكن فيها من التدبير ومع ذلك فإنّ حرم جميع القوّاد بإصبهان وكذلك أولادهم فإذا قبضنا عليهم لم يبق فى واحد [178] منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع لك وانهدّ جانب ركن الدولة انهداداً لا انجبار له وتمكنّا أيضاً من قلاعه وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وإن نحن عاجلنا الأمر وخرجنا من هذا المكان طلبنا الخيول وأحدقتْ بنا ولم نأمن مع ذلك تقرّب بعض من هو الآن معنا إلى تلك الجنبة ونحن فى عدة يسيرة وحوالينا أصحابه ورجاله ولا نثق بالسلامة إلى المأمن».

فرأيته قد تهلل وجهه ولم يملك نفسه لما استخفّه من السرور وقال:

ـ «ليس الرأى إلّا ما رأيت.»

قلت: «فإنّى منصرف عنك فراسل أنت كلّ من واطأك على رأيك الأول بما حدث لك من الرأى.»

---

١. سلّار: أصله الفارسى: سالار (=كثير السنّ): الشيخ بمعانيه، الرّئيس، أمير الجيش.

قال: «نعم.»

وقمت عنه وليس عنده شكّ في حصول الملك له بمواطأتي وأنّه قد أقبل جَدّه[١] وتمّت سعادته بتمام تدبيري وشاع في أصحابه ومن كان واطأه أنّا في تدبير فسكنوا بعد أن كانوا هموا بما هموا به.

وسرت آمناً حتى حصلت بإصبهان فلمّا تمكّنت من الرجال والتدبير بدأت بالقبض على أولئك القوّاد واستظهرت على المرزبان بثقاتي حتى حصّلته في القلعة بقيوده.

ذكر ما جرى في أمر عسكر المرزبان في آذربيجان بعد حصوله في الأسر

اجتمع من أفلت من عسكره وقوّاده وفيهم جستان بن ثيرمزن[٢] وعليّ ابن الفضل وشهفيروز[٣] بن [179] كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألفي رجل من الفلّ إلى الشيخ محمد بن مسافر، فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا إلى أردبيل فملك آذربيجان وهرب ابنه وهسوذان منه وتحصّن في قلعته بالطرم لما كان يعرفه من حقده وسوء رعايته.

فلم تأت الأيّام على محمد بن مسافر حتى تجبّر وعاد إلى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على الوثوب به فشغبوا وهمّوا بقتله فالتجأ بالضرورة إلى ابنه وهسوذان وعنده أنّه يعصمه فقبض عليه وحبسهُ في قلعة شيشخان[٤] التي كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يدٌ ولا نفذ له أمر حتى

---

١. الجَدّ: الحظّ، الحظوة.

٢. في مط: شرمون، وهو تصحيف.

٣. في مط: سهنفرور، وهو تصحيف.

٤. ما في مط مهمل تماماً. والمثبت في مد: شيسجان، وما في الأصل: شيشحان.

توفي وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم.

وقلد ركن الدولة محمّد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه إليه فتحيّر وهسوذان في أمره وأضطرّ إلى إخراج دَيْسَم بن إبراهيم من القلعة لطاعة الأكراد إيّاه ولرياسته القديمة على آذربيجان فأطلقهُ وخلع عليه وقوّاهُ ومكّنه وواقفه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم ويقصد محمّد بن عبد الرزاق.

وكان الديلم بعد محمّد بن مسافر اجتمعوا إلى عليّ بن الفضل ورأسوهُ فتوسّط وهسوذان بينهما حتّى أطاعهُ عليّ بن الفضل وتمّ [180] أمره وسار دَيْسَم إلى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود وورد ابن عبد الرزاق فانحاز عنه إلى ورثان من نواحي برذعة ليستخرج الأموال وترد عليه عساكر الأكراد.

ذكر خطأ دَيْسَم في إيحاش وزيره حتى فارقه وثلمه فهزمه عدوّه

كان بنواحي خُوَيّ[١] وسلماس كاتب نصراني يعرف بابن الصقر من جهة المرزبان قبل أسره فلمّا بلغه خبر ديسم صار إليه وحمل إليه ما كان جباهُ فحسن موقعهُ من ديسم فأكرمه وبالغ في إكرامه حتى صار يخلو به ويشاوره فاستوحش وزيره ابن محمود واتّقاه.

فلمّا استعدّ ديسم للقاء ابن عبد الرزاق سلم إلى ابن محمود خزائنه ونقله وأمره بالمصير إلى جبال موقان للتحصّن بها استظهاراً إلى أن ينكشف الأمر. فتسلّم ابن محمود ذلك كلّه وعدل إلى أردبيل وأرسل ابن عبد الرزاق بأنّه

١. خُوَيّ: تشديد الياء من الأصل، والضبط الكامل من مراصد الإطلاع. أصله الفارسي: خُوئ. مدينة في آذربيجان الغربية.

صائر إليه وسأله أن يستقبله بطائفة من عسكره ففعل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع.

وفتّ فى عضد ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضعفت نفسه واضطرب رأيه وتبيّن ذلك منه أصحابهُ فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزمه. [181]

ودخلت سنة أربعين وثلاثمائة

وفيها لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعه بروذبار من خان النجان سبعة أيام متوالية فانهزم ابن قراتكين وذلك فى المحرم من هذه السنة.

ابتداء ذكر مشاهدات مسكويه صاحب هذا الكتاب وما يجرى مجرى مشاهداته

قال الأستاذ أبو عليّ أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب:

أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصّل يجري عندي خبرهُ مجرى ما عاينته، وذلك أنّ مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمّد بن الحسين بن العميد ـ رضى الله عنه ـ خبّرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما دبّره وما اتّفق له فيها، فلم يكن أخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون إلى صدقه، ومثل أبى محمّد المهلّبى ـ رحمه الله ـ خبّرنى بأكثر ما جرى فى أيامه وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة.

وحدّثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته وجرّبته بنفسي فسأحكيه أيضاً بمشيئه الله.

الثياب والآلات واقتطع من أعمال [183] فارس أرجان ـ وهي كورة من كوَر فارس ـ إلى أعماله وخلّف وزيره هناك وانقلب إلى الريّ.

وحدّت أطماعُ من ذكرت وامتدّت إلى الريّ والجبل وإصبهان وتسرّبت العساكر إليها فمن ذلك مسير صاحب جيش خراسان إلى الريّ ومعه محمد بن ماكان من جهة الحسن بن الفيروزان وسار شيرج بن ليلى من قبل وشمكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن عليّ بن كامه قد انحاز إلى إصبهان وتفرّق قوّاد عسكر ابن قراتكين في ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمذان ينالقام[1] وفي كل بلد من بلدان الجبل مثله.

وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معزّ الدولة وهو بعد بفارس يستدعي من يدفع معرّات هؤلاء فأمدّه بسبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القدماء التوزونيّة وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فدبّر سبكتكين تدبيراً جيّداً.

ذكر تدبير صواب تمكّن به سبكتكين من أوّل عدوّ لقيه بقرميسين

رأى سبكتكين أن يخلّف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يثق به ويسري إلى قرميسين وكان فيها قائد من قوّاد الأتراك الخراسانية يقال له: بجكم الخمارتكيني، وكان [184] ينالقام[2] أنفذهُ إلى همذان والياً عليها فكبسه سبكتكين وهو في الحمّام وأخذه أسيراً وأوقع برجاله وأصحابه وأنفذه إلى معزّ الدولة فاعتقله مدّة طويلةً ثم أطلقه.

ولمّا بلغ وُلاة أعمال الجبل ما جرى على بجكم هذا فارقوا مراكزهم

---

١. كذا في الأصل ومط: ينالقام، وهو المثبت في مد.

٢. في الأصل هنا: ينالفام. (بالفاء).

فحدّثني الأستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد ـ رضي الله عنه ـ عن هذه الوقعة وأنا أحكي أولاً السبب في ورود ابن قراتكين: [182]

ذكر السبب في ورود ابن قراتكين الريّ

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحي جرجان وذلك أنّه قصد وشمكير وهزمه وتبعه إلى جالوس[١] فلمّا بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع وعلم أنّ فارس ستضطرب على ابنه فسارع إلى المسير إليها لتوطئة الأمور وانصرف إلى الريّ فاستخلف بها عليّ بن كامه واتسع خناق أعدائه ببعده عن ممالكه وكلّ حدّث نفسه بأمرٍ.

وكتب ركن الدولة إلى معزّ الدولة بما عزم عليه ومما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة إلى وزيره أبي جعفر الصيمري وهو يومئذ مُنازلٌ لعِمران بن شاهين بالبطائح بان يُخلّي ما هو بسبيله[٢] ويصير إلى فارس لخدمة ركن الدولة ففعل وسبق وصوله وصول ركن الدولة فحسُن موقعُ ذلك من ركن الدولة.

فلمّا وصل إلى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه بباب اصطخر فمشى حافياً حاسراً ومشى أهل عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيّام إلى أن خاطبه الرؤساء وسألوه أن يرجع إلى المدينة ففعل وأقام ستة أشهر.

وأنفذ نصيباً من تركة عماد الدولة إلى أخيه معزّ الدولة وكان في جملتها مائة وسبعون غلاماً ومائة وقر من السلاح ثمّ ما يجري مجرى ذلك من

---

١. جالوس: نقطة الجيم غير واضحة في الأصل. أصله چالوس المعرّب إلى شالوس وجالوس. في مط: حابنوس، والمثبت في مد: حالوس. وكلاهما خطأ.

٢. في مط: سبيله.

واجتمعوا إلى ينال‌قام بهمذان.

فلمّا سار سبكتكين نحوهم ساروا من همذان بأجمعهم فلم يحاربوا وورد سبكتكين همذان وأقام بها منتظراً ركن الدولة وذاك أنّ كُتُب ركن الدولة كانت تردُ عليه أنّه يسير من فارس على طريق الجبل ثمّ تأخّر انتظاراً لانحسار الثلوج ثمّ ورد همذان وتقدّم إلى سبكتكين بالمسير على مقدّمته.

فشغب الصنف من الأتراك التوزونية وأظهروا التضجُّر بالمقام الطويل فتوسّط الأستاذ الرئيس أبو الفضل ـ رحمه الله ـ بينهم وداراهم وسكّنهم فسكنوا في الوقت ثم عاودوا من الغد وطال ذلك منهم حتى اتّهموا.

فسمعت أبا الفضل ابن العميد ـ رحمه الله ـ يقول:

إنّي قلتُ للأمير ركن الدولة: هؤلاء أعداؤنا وقد كاشفونا فكيف نسير بهم إلى أعدائنا؟ فاتّفق الرأي بيننا أن نُسكّنهم فإن سكنوا وإلّا حاربناهم وفرغنا من العدو الأقرب فلمّا عملنا على ذلك عملوا على الحرب فأوقعنا بهم ومضوا مفلولين. [185]

وسبق خبرهم إلى معزّ الدولة فكتب إلى ابن أبي الشوك الكردي وسائر وجوه الأكراد المقيمين في أعمال حلوان بطلبهم والإيقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا. فأمّا الأسارى فأنفذهم إلى بغداد وأمّا الفلّ فصاروا إلى الموصل بحال سيّئة.

وأقام ركن الدولة بهمذان لِتعرُّف خبر ابن قراتكين إلى أن صحّ عنده مسير ابن قراتكين من الريّ نحو همذان فبثّ جواسيسَهُ وطلائعه لتعرُّف خبره. فأتاهُ الخبر بأنّه عدل عن سمت همذان وأخذ على طريق يؤدّي إلى إصبهان.

فسار ركن الدولة في أثره يقفوه حتى انتهى إلى جرباذقان ووصل ابن قراتكين إلى إصبهان فعاث بها عيثاً كثيراً مدة ما أقام ثم عرف قُربَ ركن الدولة منه فسار إلى طرف مفازة بقرب من إصبهان.

فنزل منها على زرّين روذ ليكون وصول ركن الدولة إليه مع عسكره، وقد قطعوا المفازة ومسّهم التعب والعطش ولا يصلون إلى الماء. فرأى ركن الدولة أن يعدل إلى خان النجان[١] ليلزم سمت قُرى زرين روذ ولا يعدم الماء واتصل ذلك بابن قراتكين فانقلب عن موضعه معترضاً له لئلا يملك عليه ظهرَه. فالتقيا في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرّين روذ ولكنّه يُخيض ولا يمنع الراجل ولا الفارس [186] العبور وذاك أن الفصل كان ضيّقاً. فدامت الحرب بينهما سبعة أيّام واشتدت في اليوم السادس خاصة ثم انهزم ابن قراتكين في اليوم السابع.

وعاد الحديث إلى حكاية أبي الفضل ابن العميد ـ رضى الله عنه ـ عن هذه الوقعة. حكى أنّه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضاقة وعوز الميرة والعلوفات وتعذّر جميع الأقوات ما لم يلحقها مثله وذاك أن الأكراد أحدقوا بنا فلم يتمكّن أحد من اطّلاع رأسه عن المعسكر.

وانقطعت عنّا المواد وكنا نصل إلى أقواتنا مما تحمله الأكرادِ إلينا ويبيعوناه بأوفر الأثمان وكذلك العلوفات فكان يجيئنا الكردى بجراب أو مخلاة أو وعاء فيه دقيق فيبيعناهُ بحكمه فإذا أخذناه ونفضناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه في رأس الوعاء وأسفله كلّه تراب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا ينتفع بشيء منه وكذلك يفعل بالشعير والحنطة وكانت لهم حِيل تجرى هذا المجرى كثيرة.

قال: فكنّا ننحر الجمل أو الدابّة فنتوزّع لحمه بين عدد كبير ونتبلّغ به على عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدّة في الحرب وكان أعداؤنا الأتراك في مثل حالنا إلّا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا [187] يقنعون بما

١. كذا في الأصل: النجان. في مط: النجار.

نقنع، فإذا ذبحنا نحن جزوراً ذبحوا أضعافاً كثيرة. ثمّ إنّ أصحابنا يعودون إلى نشاطهم في الحرب ويتسخط أولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يناصحونه في الحرب إلى أن ملّوا.

وأصبحنا يوماً وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بإزائنا وأتانا الخبر برحيلهم فما صدّقنا به حتى عبر جماعة وتلاهم العسكر أوّلا أوّلا واشفقنا أن يكون لهم كمين أو مكيدة فلم يكن إلّا هزيمة وذهبوا على وجوههم.

ذكر خبر عجيب واتّفاق غريب

حكى الأستاذ أبو الفضل ابن العميد ـ نضر الله وجهه ـ أنّ ركن الدولة دعاه في اليوم السابع وقد نفد صبره وصبر أصحابه وشكا إليّ شدّة الأمور وصعوبته عليه وكأنّه يفكّر في حيلة للإنهزام وإن كانت متعذّرة عليه فقلت:

ـ «أيّها الأمير، إنّك كنت منذ أسبوع مالُك أكثر، تملك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الإسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الأرض تحت أمرك وولايتك فهو أيضاً تحت حكمك حشمة لك يقبل أمرك تجمّلاً ويطيعك تهيباً وقد أصبحت اليوم وأنت لا تملك من الأرض إلّا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الأعداء [188] ليغصبوك[1] عليه ويمنعوك منه ولا مفزع لك إلّا إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فأخلص نيّتك له واعقد عزيمتك على ما بينك وبينه تعالى يطلع على صدقها ويعرف صحّتها وانوِ للمسلمين خيراً ولكافة الناس مثله وعاهده على ما تعمله وتفيء[2] به من الأعمال الصالحة والإحسان فيما تلي إلى من تلي عليه فإنّ الحيل البشرية كلّها انقطعت بنا ولم يبق لنا إلّا هذا الذى نصحتك به.»

١. كذا في الأصل ومط: ليغصبوك. والمثبت في مد: ليغصبوا.

٢. كذا في الأصل: تفيء. في مط: بقي. والمثبت في مد: تفي.

قال: فتبسّم وقال:

ـ «يا أبا الفضل قد سبقتك إلى ما أشرتَ به.»

وجرى في هذا الباب ما يجرى مثله من النذور[١] وصدق النيّة. وبتنا تلك الليلة على حالنا. فلمّا كان في الثلث الأخير من الليل جاءتني رسله متقاطرة فصرت إليه وهو مسرور قويّ النفس بخلاف ما عهدته وقال:

ـ «يا أبا الفضل أنت تعرف مناماتي وصدقها وقد رأيت ما أرجو أن يكون تأويله قريباً غير بعيد.»

قلت: «وما ذاك.»

قال: «رأيت كأنّي على دابّتي المعروف بفيروز وقد انهزم عدوّنا وأنت تسير إلى جانبي وتذكر لي نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا من حيث لا نحتسب. فبينا نحن في هذا الحديث وشبهه حتى مددت عيني بين غبرة الموكب إلى الأرض فرأيت خاتماً يتلألأ قد سقط إلى الأرض عن صاحبه بين التراب فقلت [189] للركابي الذي بين يدي: يا غلام هات ذاك الخاتم. فتطأطأ ورفعه إليّ فإذا خاتم فيروزج فأخذته وجعلته في إصبعي السبّابة وتبرّكت به وانتبهت وقد تفألت به وأيقنت بالظفر.»

وذاك أن الفيروزج معناه الظفر إذا عُرّب وكذلك لقب دابّته الذي رآه فيروز.

قال أبو الفضل ابن العميد رحمه الله:

فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر والبشرى بأنّ العدوّ قد رحل فما صدّقنا به ولا التفتنا إليه حتى تواترت الأخبار وعبر سرعانُ الخيل وعادوا إلينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا متعجّبين لا نعرف سبب هزيمته حتى

---

١. كذا في الأصل: النذور. وفي مط: الدور. والمثبت في مد: الندور.

عبرنا على حذر من كمين أو مكيدة.

فبينا نحن نسير وأنا إلى جانب ركن الدولة وقد تعمّد ركوب دابّته فيروز ليصدّق رؤياه إذ صاح الأمير بغلام بين يديه:

ـ «يا غلام ناولنى ذلك الخاتم.»

فتطأطأ وناوله من الأرض خاتم فيروزج: فأخذه ولبسه فى سِبّابته والتفت إلىّ وقال:

ـ «هذا بلا تأويل هو الخاتم الذى حدّثتك بحديثه منذ ساعة.»

فهذا من طرائف الأخبار ولولا صدق محدّثه وجلالة قدر من حكاه لى وبعده عن التزيد لما سطّرته فى كتابى هذا.[١]

من حوادث هذه السنة

وفيها تمّ الصلح بين معزّ الدولة وبين عمران بن شاهين وقلّده معزّ الدولة [190] البطائح وأطلق أخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من استأسر من القوّاد وغيرهم.

فأمّا ابن قراتكين فإنّه عاود حرب الأمير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الرىّ ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته أنّه كان شرب أيّاماً متوالية بلياليها فأصبح يوماً ميتاً وذلك فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة.

وفيها انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدى أبى محمّد المهلّبى وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدّة من مراكبه ودخل أبو محمّد المهلّبى بغداد ومعه المراكب والأسارى.

---

١. انظر مقدمة مسكويه، حيث يشير إلى منهجه فى كتابة التاريخ.

ودخلت سنة احدى وأربعين وثلاثمائة

وفيها ملك الروم مدينة سَروج[1] وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها.

ضرب معزّ الدولة المهلّبى بالمقارع

وفيها ضرب الأمير معزّ الدولة أبا محمّد المهلّبى بحضرته بالمقارع وحمله إلى داره وأقرّه على كتابته.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ أبا محمّد المهلّبى لمّا خرج إلى عمان وأنفق فى ذلك الوجه ما أنفق ثم انهزم تنكّر له معزّ الدولة وهمّ بالقبض عليه. فلمّا حدث بالرىّ ما حدث من ورود جيش خراسان إليها شغله ذلك عمّا فى نفسه منه.

وكان ورد أبو العبّاس الحنّاط إلى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمال يحمل إليه فدفعت الضرورة [191] إلى مكاتبة الوزير المهلّبى وهو بواسط قد وافاها منهزماً وأمر بالعدول إلى الأهواز وتسليم ألف ألف درهم إلى أبى العبّاس الحنّاط من القلعة وردّ العوض ممّا يستخرجه وأن يواصل الحمل إلى الحضرة ويسرّب الجيوش إلى الأهواز على طريق إصبهان إلى الرىّ فنفذ لذلك كلّه وفى نفس الأمير معزّ الدولة عليه ما فيها.

فلمّا أصعد المهلّبى إلى الحضرة أثّر فى أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان أثراً كبيراً وذاك أنّه كان قصد البصرة فسبقه أبو محمّد المهلّبى إليها

---

١. سَروج: بلدة قريبة من حرّان من ديار مُضر (مراصد الإطلاع).

وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ مراكبه كما ذكرنا.

ذكر السبب فى طمع ابن وجيه فى البصرة ثم انهزامه منها

كنّا ذكرنا ما كان من استيحاش القرامطة من معزّ الدولة ومن جوابه إيّاهم عن رسالتهم واستخفافه بهم. فلمّا عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم فى البصرة وسألهم أن يمدّوه من ناحية البرّ فأمدوه بأخيهم أبي يعقوب فى سريّة قويّة فورد باب البصرة وأنهض ابن وجيه رجاله فى مراكبه من ناحية البحر ونهض هو بنفسه.

ووافق ذلك فراغ المهلّبى من الأهواز فبادر إلى البصرة وأخرج معه من القوّاد والرجال والزبازب والطيارات وآلات الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عللهم فى الجيش والسلاح وأنفذ إليه معزّ الدولة [192] مدداً من بغداد.

وكان المهلّبى رتّب على سور المدينة بالبصرة الرجال يحمونه وجمع إلى نفسه وجوه القوّاد مثل لشكر ورز بن سهلان وموسى فياذة وموسي بن ماكان وأشباههم من وجوه الناس وطبقات الغلمان وحارب ابن وجيه أيّاماً ثم هزمه وظفر المهلّبى بمراكبه ورجاله وأسر جماعة من وجوه أصحابه فخفّ بذلك بعض ما كان فى قلب معزّ الدولة وانجلى همّ كثير كان فى نفسه.

فلمّا قدم بغداد تلقّاه معزّ الدولة وجاملهُ مُديدة ثمّ وقف على طازاذ[1] مال من ضمانه له قدر وكان شُبّب عليه للأتراك والمهمّات فردّ التسبيبات وطالب أصحاب المال باستحقاقاتهم وأضجر ذلك معزّ الدولة فطالب أبا محمّد

---

١. فى مط: زاد، بدل «طازاذ».

المهلبى وهزّ المهلبى طازاذ فاستسلم وأظلمت القصة.

فدخل المهلبى إلى معزّ الدولة فصدقهُ عن الصورة فاغتاظ من حيرته[١] فى الأمر وأثار ما كان فى نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره ألّا يعود إليه إلّا بعد أن يستدعيه فانصرف كئيباً. وحرّك طازاذ[٢] فصحح له مالاً ونهض إلى الأمير مُعجّباً له من طازاذ بغير استدعاء من الأمير له.

المهلّبى يتحمّل مائة وخمسين مقرعة

فلمّا حصل بين يديه وأخبره بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مقرعةً يراوح منها[٣] بأن يرفع عنه الضرب حتى [193] يوبخه ويبكّته بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد عليه الضرب إلى أن تفسّخ وثقل وقيل له إنّه كالتالف وأراد أن يرمى به إلى دجلة ثمّ تماسك وردّه إلى منزله ووكّل به.

ضرب طازاذ والعمل على صرف المهلّبى دون جدوى

وفى اليوم الثانى استدعى طازاذ أيضاً وضربه وعمل على صرف المهلّبى فلم يرتض خدمة أحد ممّن كان بحضرته فى الوقت فترجّع رأيه وصعّد وصوب فلم يقم أحد مقام أبى محمد.

وكان أبو محمد المهلبى شهماً قويّ النفس لا يتحرّك لشىء من نوائب الدهر فعمل عملاً يشتمل على ثلاثة عشر ألف ألف درهم باقية فى الممالك

---

١. كذا فى الأصل ومط: حيرته. والمثبت فى مد: جريته.

٢. كذا فى الأصل ومط: طازاذ. والمثبت في مد: بطازاذ، وهو خطأ.

٣. كذا فى الأصل ومط: يراوح بينها. والمثبت فى مد: «ترازح منها (بأن أمر)». قراءة خاطئة وإصلاح ليس بصواب.

والأعمال وأنفذه إليه وذكر أنّه يقيم باستخراجه وأنّه إن تمادت الأيّام في التوكيل به تمزّقت وطمع فيها فشاور معزّ الدولة من حضرهُ وكان فيهم أبو مَخلد عبد الله بن يحيى وقال:

ـ «هل يجوز أن أستنيم إلى هذا الرجل وقد لحقه منّى هذا المكروه العظيم؟»

فقال أبو مخلد:

ـ «قد ضرب مرداويج وزيره أبا سهل أعظم من هذا الضرب ولحقه ما لحقك من السوء عنه ثم خلع عليه وردّه إلى أمره وكان لا يطيق المشى لما حلّ به من الضرب فركب عَمّاريّة ونُثر عليه فى الطريق مال ولا يمكنه أن يستقلّ بالجلوس وبقى كذلك مدّة ثم عاود مرداويج الإنكار عليه فنكبه وأتى على نفسه.» [194]

فعند ذلك راسله معزّ الدولة بالركوب إليه إذا استقلّ وأزال عنه التوكيل فتجلد المهلّبى وركب بعد أيام يسيرة فخلع عليه وعاد إلى أمره.

حدّة معزّ الدولة واحتمال المهلّبى

وكان معزّ الدولة حديداً سريع الغضب بذىّ اللسان يكثر سبّ وزرائه والمحتشمين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى ـ رحمه الله ـ من فحشه وشتمه عرضه ما لا صبر لأحدٍ عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكترث له وينصرف إلى منزله.

وكنت أنادمه فى الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثراً ويجلس لأنسه نشيطاً مسروراً، حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعد بن ثابت وكان يخلفه ويأنس به يعاتبهُ ويقول فى عرض كلامه:

ـ «إنّ الأمير إذا اتّصل به أنسك وقلةُ اكترائك لغضبه وما يلحقك من

شتيمته[١] نسبك إلى الإستهانة به فيزيد ذلك في ضرره عليك، فإن أظهرت الإنخزال والإستكانة حتى يبلغهُ تحرُّسُك وانقباضُك كان أحرى أن يقصّر ويندم ولا يُشتِّم على عادته معك وغضبه منك.»

فقال له أبو محمد المهلبي:

ـ «ما يذهب عليّ ما تقول ولكن هذا أمير خرقٌ عجول لا يملك لسانه. فإن ذهبتُ أظهرُ الاستيحاش من هذياناتِهِ وقع له أنّي قد تنكّرت له وأنّي لا أناصحه وأنّه يتّهمني بما لا يدور في فكري فيكون سبباً لجائحة ونكبة وليس له غير التغافل والتبسم [195] في وجهه إذا أمكن فإن لم يمكن ذلك خوفاً من غضبه فليس إلّا قلّة الفكر فيه فكان الأمر على ذلك.»

وحدّثني أبو بكر ابن أبي سعيد رحمه الله: انّ معزّ الدولة وقت مقامه بالبصرة وهزيمته للبريدي افترى على المهلّبي وذكر حرمه[٢] وأفحش عليه وكان المافرّوخي حاضراً فلمّا انصرفنا من عنده قال لي المافرّوخي:

ـ «قد ساءني أن أجرى هذا الفحش القبيح بحضرتي على الوزير فكيف الطريق إلى تسليته؟»

وإنّما أراد ألّا يتهمه[٣] بالشماتة ولا يراه بعين من علم استهانة الأمير به.

فقلتُ: «الإمساك في مثل هذا أولى من الكلام.»

فأمسك أيّاماً لا يركب إليه إلّا مع الناس وقت الاذن ثم اتّفق أن دخل المافرّوخي وأنا معهُ لمهمّ فوجدناه واجماً مطرقاً فقال المافرّوخي:

ـ «أرى الوزير واجماً فهل تجدّد أمرٌ؟»

فقال: «ويحك أنّي أرى الأمير منذ أيام قد أمسك عمّا كان يتعاهدنا به

---

١. في مط: شبهته.

٢. حرمه: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: جرمه. وهو خطأ.

٣. في مط: ألّا تتهمه... ولا تراه.

من برّه بلسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرّقه وأنا مفكرٌ فى ذلك.»

قال أبو بكر ابن أبي سعيد: فلمّا خرجنا من عنده قال لى المافرّوخى:

ـ «هل رأيت أدهى من هذا الرجل وأذكر منه؟»

فقلت: «لا.»

صلح بين صاحب خراسان وبين أمراء بنى بويه

وفيها خرج أبو مخلد وأبو بكر عبد الواحد بن أبى عمرو الشرابى حاجب الخليفة المطيع لله إلى صاحب خراسان فى الصلح بينه وبين أمراء بنى بويه وكتب معهما كتاب عن الخليفة. [196]

ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة

وفيها مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة وقُلّد الديوان بعده أبو الفرج محمد إبنه وأجرى على رسم أبيه.

وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن معزّ الدولة بطالع السُنبلة.

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن إبراهيم الكردى منهزماً من آذربيجان هزمه السلاّر المرزبان وهو الذى حكينا أن ركن الدولة أسرهُ وحبسه فى قلعة سُميرم فاحتال حتى فكّ قيده وقتل صاحب القلعة وخرج منها ـ وسنحكى حيلته هذه فيما بعد ـ وعاد إلى آذربيجان واجتمع إليه من كان مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار إلى الحضرة مستجيراً بمعزّ الدولة ومستنصراً. فأكرمه معزّ الدولة جدّاً ووقع منه وأنس به وعاشره وحمل إليه مالاً وثياباً وكان يسمّيه فى كتبه «الأخ أبو سالم».

ذكر السبب في خروج دَيْسَم عن آذربيجان بعد تمكُّنه منها وانهزامه من بين يدى المرزبان

كنا ذكرنا خبر ابن عبد الرزاق وتمكُّنه من آذربيجان من قبل ركن الدولة واتّفق أن أوحش كاتباً له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن محمود لخدمته إيّاه بالأموال قديماً ولخبرته بالبلدان. فاستوحش الكاتب وتركه إلى أن أشخصه لجباية الأموال فى نواحي ديسم وضم إليه جيشاً. فلمّا وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب إليه بذلك الجيش كلّه.

فنفرت نفس ابن عبد الرزاق [197] من آذربيجان وعاد إلى الريّ وأخذ معه ابن محمود وسار ديسم إلى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراساني فى العود إلى بلده فأذن له وأحسن بالخلع والجوائز.

ودبّر أمرهُ أبو عبد الله النعيمى وابن الصقر النصرانى وتوافر إليه الديلم والأكراد فملك آذربيجان وبلادها وجبى الأموال وأعطى البلاد له باليد.

فتمكن من نَشَوى ودَبيل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمدانى وابراهيم بن الضابى[١] على سبيل التغلب فصلحت حاله وانتظمت.

واتفق أن مات ابن الصقر النصرانى فوصل من تركته إليه مائة ألف درهم سوى ما أغضى عنه وهو شيء كثير فتفرّد النعيمى بوزارته.

ولم يزل أمره منتظماً إلى أن شره إلى مال النعيمى وطمع فيه فقبض عليه ونصب فى موضعه كاتباً له يقال له: علىّ بن عيسى. فاحتال النعيمى [بأن سارع][٢] إلى بذل خطّه بكلّ ما اقترحه عليه ولم يُخالفه وسلك سبيل المداراة ثم قال له:

---

١. فى مط هنا: الصابى وفى الموضع الآتى: الضابى.

٢. هنا بياض بالأصل، والمثبت بين المعقوفتين هو من مط.

ـ «ان ردَدتني إلى العمل وسلمت إليّ خليفتي عليّ بن عيسى صحّحتُ لك من جهته وجهتي سوى مال المواقفة[١] ألف ألف درهم.»

فشرهت نفسه إلى ذلك ورده إلى موضعه وقبض على عليّ بن عيسى وسلّمه إليه.

وكان المرزبان بن محمد في تلك الأيام قد ملك القلعة التي حبس فيها بسميرم وقتل الموكّل به وهو شير اسفار وكان أيضاً قد أفلت عليّ بن ميشكي المعروف بِبُلكا[٢] المأسور معه [198] من حبس ركن الدولة وصار إلى الجبل وجمع جمعاً كثيراً وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتي قرب من وهسوذان أخي المرزبان فكانا جميعاً يدبّران على ديسم.

ثم وصلت كتب المرزبان إليهما بخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بآذربيجان وليس عند ديسم من الخير كلّه إلّا خبر عليّ بن ميشكي وظنّ أنّه وحده يقاتِله.

فلحق بأردبيل ابن أخت له يقال له: غانم، مضموماً إلى وزيره النعيمي ومستوفياً عليه المال الذي ضمنه عن نفسه وعن عليّ بن عيسى خليفته.

وسار على اغترار بمن معه من الديلم فوجد النعيمي الفرصة لما كان في نفسه وأفسد غانماً على خاله ديسم وقتل عليّ بن عيسى بالمكروه العظيم واستأمن إلى عليّ بن ميشكي واحتمل معه كل ما قدر عليه من المال.

وبلغ الخبر ديسماً فعاد إلى أردبيل بعد أن كان بلغ إلى زنجان وشغب الديلم عليه فأخرج كل ذخيرة له من الصياغات وغيرها وتوجه إلى برذعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن أن خصمهُ عليّ بن ميشكي وليس عنده

١. المواقفة. كذا في الأصل. في مط: الموافقة.

٢. مهمل ما في مط.

خبر المرزبان.

وكان أنفذ إلى أرمينية من يوطّئ له نيّات ملوكها من ابن الديراني وابن خاجيق[١] وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم ليلجأ إليهم إن حزبهُ أمر وورد عليه خبر عليّ بن ميشكي بتوجهه إلى أردبيل مع عدّة يسيرة ثقة بأنّ الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون إليه، فانكفأ ديسم إلى أردبيل ووقعت الحرب فقلب [199] الديلم تراسهم في وجهه وانحازوا إلى ابن ميشكي سوى جستان بن شرمزن[٢] فإنّه أخلص مودة ديسم فقبض الديلم عليه وانهزم ديسم في نفر من الأكراد إلى بلد الأرمن فحمل إليه ملوكها ما تماسك به.

وورد عليه خبر المرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم التي كان محبوساً فيها وحصوله بأردبيل وتسلّمِه القلاع والأموال وإنفاذهُ على ابن ميشكي في جيش لطلب ديسم فلم يمكنه المقام فهرب إلى الموصل ثم صار إلى بغداد وذلك في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة فتلقّاهُ معزّ الدولة وأكرمه ورتّبه في أعلى مرتبة وقضى حقّه وواصل إليه المبارّ والألطاف وبذل له خمسين ألف دينار إقطاعاً في كلّ سنة على أن يقيم بحضرته فأقام مديدة في أطيب عيش وأرخى بال فكان يقول ذلك لكتّابه وأسبابه ويقول:

ـ «أرغد عيش لي وأهناهُ أيّام مقامي ببغداد.»

ثمّ كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغترّ به فنزع إلى الإمرة والإستبداد فرحل من بغداد وزوّده معزّ الدولة مالاً كثيراً وثياباً ودوابّ ومراكب. فسار إلى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده إلى أرمينية وقصد ابن الديراني وابن خاجيق لثقته كانت به وإنّه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان إليه يلزمه القبض [عليه]. [200]

---

١. كذا في الأصل ومط: خاجيق. والمثبت في مد: جاجيق وهو تصحيف.

٢. في مط: جستان شرمون.

فدافعه ثمّ اضطر إلى أن أطاعه فى القبض عليه وسأله ألّا يلزمه تسليمه إليه فأجابه المرزبان إلى ذلك فأوقع ابن الديرانى الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده. فلمّا فعل ذلك كتب إليه المرزبان يلزمه حمله إلى حضرته ناقضاً الشرط فدافعه مدة ثمّ اضطرّ إلى تسليمه فحبسه عنده ثمّ سمل عينه فلمّا توفّى المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من غائلته.

ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تمّ عليه حتى أفلت من موضعه وعاد إلى مملكته بآذربيجان

لما حصل المرزبان فى القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصّة اللحوم وما أشبهها واقتصر على القوت اليسير من الحنطة التى يستظهر منه أيضاً. فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل إليه طبّاخُه الذى يثق به ليتولّى له ما كان يتولاه من المأكل والمشرب فحصل الطباخ فى القلعة معه وأخذ المرزبان فى تدبير الخلاص على يده.

وكان الطباخ خفيفاً أحمق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمي به من قُلة القلعة فهلك وضيّق على المرزبان.

وكانت والدة المرزبان خراشويه بنت جستان بن وهسوذان الملك تبذل الأموال فى تعرّف أخباره وتحتال فى خلاصه وكان إبراهيم المعروف بابن الصابى[1] ـ وقد تقدم ذكره ـ فى حبس ديسم فتخلّص منه ولم يجد مفزعاً إلّا خراسويه فقصدها ولاذ بها [201] وضمن لها أن يتوصّل إلى المرزبان فأطلقت له مالاً وأنفذته.

---

١. كذا فى الأصل ومط والمثبت فى مد: الضابى (بالضاد المعجمة).

وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان يصارع ويقامر ويدخل فى كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها فخاف وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السعى لها فى أمر ابنها فطمعت فى جلادته وأطلقت له مالاً وعرّفته خبر ابن الضابى وأنّه نفذ قبله.

فاجتمعا ولبسا لباس التجار وأظهرا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة وراسلا شيراسفار وعرّفاه أنّهما تاجران وأنّهما كانا فيما مضى يعاملان المرزبان وأنّه أخذ بضائعهما وامتعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين المرزبان ليتنجّزا كتبه وعلاماته بإزاحة علّتهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار عليه وواصلا الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لعنه وشتمه وكانا يقولان:

ـ «الحمد لله الذى كفى الناس شرّ هذا الظالم الذى لا يعرف الله ولا يؤمن بنبيّه صلى الله عليه.»

وما أشبه هذا حتى رقّ شيراسفار لهما وأوصل واحداً واحداً منهما إليه من غير اجتماع فقال المرزبان:

ـ «لا أعرفهما.»

فأغلظا له وواجهاه بالقبيح وخوّفاه بالله وسوء العاقبة وقال:

ـ «إنّى لا أعرف حسابهما ولكنّى أكتب بأن يحاسبا.»

وكثر [202] ترددهما إليه فضمت والدته إليهما وصيفاً الديلمى المتطبّب[1] ـ وكان فى عسكر السلطان قديماً ـ ورجلاً آخر يعرف بأبى الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار وحملوا الألطاف إلى شيراسفار وأسبابه وإلى بواب القلعة وكانوا يشترون منهم الحوائج ويعدونهم. إلى أن

---

١. فى مط: المشطب. والمثبت فى مد: للتنقّب، وهو خطأ.

يصلوا إلى أموالهم وبضائعهم، أنّهم يبذلون لهم أموالاً جليلة وفى خلال ذلك يبكون ويشكّون ظلم المرزبان وعدوانه وكانوا يصلون إلى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتنجّزون الأجوبة ويدسّون إليه فى خلال ذلك الدنانير الكثيرة ليبذلها وينفقها فيما يحتاج إليه.

وكان لشيراسفار الموكّل بالقلعة غلام أمرد وضيء الوجه يحمل ترسه على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقاً له ومحبّة مفرطة فكان يعطيه سرّا الشيء بعد الشيء ويعده ـ إن هو تخلّص ـ بأمور عظيمة وولايات كبار حتى طمع الغلام وواطأه على كل ما أحبّ وأوصل إليه درعاً فى زنبيل فيه تراب وعدة سكاكين وأوصل إليه شموعاً فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الحيل.

وأظهر أولئك القوم الذين كانوا فى زيّ التجار النسك والتألّه والخشوع، فصاروا يصلون إلى باب القلعة ويوصلهم البوّاب واحداً واحداً إلى أن تمّت الحيلة بموافقة هذا الغلام الإسبَرْبَرْ[١] [203].

وكان اتفق معه على يوم بعينه: إذا دخل إليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذى لصاحبه إذا استدعاه منه ووافق بعض أولئك التجار أن يكونوا مع البوّاب ليفتكوا به إذا صاح بهم.

فلمّا كان في ذلك اليوم وصل إليه تُوبان وكان أجلدهم وجلس آخر مع البوّاب ليفتك به إذا سمع الصوت وجلس الباقون قريباً من الباب ليدخلوا عند التمكن.

فلمّا صار إليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد مسمار قيده على مرّ الأيّام ولبس فى ذلك اليوم درعهُ والتفّ بكسائه وكان يخاطب

---

١. فى الأصل ومط: الاسبربر، وأثبته في مد: للأسير سرّاً، وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه وضبطناه. وأصله الفارسي: إسْپَرْبَرْ، أى حامل التّرس. لأنّه مركّب من «إسْپَرْ» (=سِپَرْ) اى: التّرس، و«بَرْ» وهو مرخّم «بَرَنْده» أى حامل.

شيراسفار قديماً ويسأله أن يطلقه ويعده المواعيد العظام فيمتنع عليه شيراسفار ويقول:

ـ «لا أخون ركن الدولة أبداً ولكن أساعدك على كل ما يخفّف عنك غير هذا الباب.»

فلمّا كان في ذلك اليوم عاد المرزبان في مسألته وكان تُوبان[١] حاضراً فقال لهم تُوبان:

ـ «بالله إلّا خلّصتموني من الديون عليكم ثم عودوا لشأنكم.»

فقال المرزبان لشيراسفار:

ـ «قد أطلت عنائي.»

ونهض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر إلى الباب فتسلم الترس والزوبين من الغلام ونهض شيراسفار ليتعلق به فوثب توبان[٢] إليه وعاركه وصرعه ثم وجأهُ بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان:

ـ «أُشْتُلُمْ.»[٣]

على عادة الديلم فوثب الرجل [204] الذي كان في الدهليز على البواب فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأحدقوا بالمرزبان وكان منغمساً في دم شيراسفار.

وكان الموكّلون في القلعة على تفرّق ولعب بالنرّد فتداخلهم الرعب واجتمعوا وطلبوا الأمان فجمعهم المرزبان في بيت وأخرج حرم المقتول شيراسفار وحرم الجماعة ثم طلب سلاح القوم الذين في البيت فملكه، ثم أخرجهم من القلعة وتوافى إليه الرجال حتى خرج ولحق بمأمنه.

---

١. وفي مط: توتان.

٢. وفي مط: توتان (أيضاً).

٣. أُشْتُلُمْ كلمة فارسيّة أو تركيّة معناها العنف.

ذكر الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج

وفى هذه السنة تمّ الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب كثيرة على باب الريّ ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج إلى خراسان.

ذكر السبب فى ذلك

كان استمدّ وشمكير على عادته صاحب خراسان فأمدّه بأبى علىّ ابن محتاج فى جموع كثيرة وتوجّهوا إلى الريّ وظنّوا أنّه الإستيصال وأنّه لا ثبات لركن الدولة ولا بقيّة له.

وجاء وشمكير على ثقة بذلك فعلم ركن الدولة أنّه لا يقوم لهؤلاء الجمع الكثير إلّا بالمطاولة والتحصّن بحيث يكون القتال من وجه واحد فجعل بلد الريّ خلفه وحارب فى الموضع المعروف بطَبَرك، فدامت الحرب وصبر الفريقان إلى أن قرب الشتاء وملّ الخراسانية فلم يصبروا وخافوا أيضاً سقوط الثلج عليهم فأخذوا [205] فى العتاب والتراسل ورقّ أمر الحرب.

وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح وله تقدّم فى علوم الرياضة ومرّ بينهما كلام كثير انتهى إلى الموادعة والصلح.

فأشير على ركن الدولة بأن يجهز على الجرح ولا ينفس عن خناق عدوّه فإنّه إنّما جنح للسلم عن ضرورة وقد نفد صبره وماله وشغّب عليه جنده: «ووراءك بلدة مثل الريّ وأنت وادع جامّ بها» ولم ير له أحد من نصحائه أن يجيبهم إلى الصلح وذاك أن النكول كان قد ظهر فيهم.

فلم يقبل ركن الدولة هذا الرأى من أحد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة يصدمهم بها لأتى عليهم، والله أعلم بعواقب الأمور. فقبل

الصلح وشقّ ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغاً عظيماً وذلك أنّه كان لا ينتظر ولا يرجو أن يجمع أكثر مما جمع ولا يحتشد أكثر من هذا الإحتشاد.

فلمّا انصرف ابن محتاج طلب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى أخرجه من طبرستانِ وجرجان وحصل بإسفرايين.

وكتب إلى نوح بن نصر يعرفه ما جرى ويغريه بابن محتاج فاغتاظ نوح وتحرّك منه ما كان في نفسه على ابن محتاج [206] فعزله من الجيش ببكر بن مالك وأنفذه في جيوش عظيمة.

فصار ذلك سبباً قويّاً ضرورياً لمكاتبة أبي عليّ ابن محتاج ركن الدولة وعدوله إلى طاعته بعد أن أصابه في نفسه وأسبابه وأحواله مكاره عظيمة أزالت ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجى معها الصلاح.

وكتب الخليفة في هذا الصلح كتاباً نفذ على يد ابن أبي عمرو الشرابي حاجب الخليفة وأبي مخلد عبد الله بن يحيى صاحب معزّ الدولة واتّفق موت نوح قبل أن يؤدّي الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح.

ولما قدم أبو مخلد من خراسان عائداً ومعه أبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشرابي اعترضهما ابن أبي الشوك الكردي من الشاذنجان[١] وكان متقلّداً أعمال المعاون بحلوان وإليه الحماية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرقاً بهما.

ثمّ غدر فنهبهما ونهب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت أبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشرابي فطالب ابن أبي الشوك معزّ الدولة بإطلاق رهائنه ووعد أنّه أن أطلقوا أطلق أبا مخلد فضمن له ذلك وأطلقوا وأطلق أبا مخلد.

---

١. ما في الأصل يمكن أن يقرأ «شاذنجان» أيضاً. ما في مط مهمل إلّا في النون الأخيرة.

ثمّ خرج الحاجب سبكتكين إلى حلوان للإيقاع بالأكراد فدخل حلوان وقرّر أمر الأكراد وابن أبي الشوك [207] وعاد.

ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

وفيها خرج أبو سالم ديسم من بغداد وذلك لما يئس من نصرة معزّ الدولة.

ذكر السبب في يأس ديسم من نصرة معزّ الدولة إيّاه

سبب ذلك أنّ ركن الدولة صالح المرزبان بن محمّد السلّار وصاهره وتمكّن سلّار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معزّ الدولة وودّعه وظنّ أنّه يجد عند ناصر الدولة عوناً فقصده وأقام عنده بالموصل مدّة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه إلى سيف الدولة أخيه وأقام عنده[1] أيضاً مدّة.

ركن الدولة يكتب عهداً لابن محتاج على خراسان من جهة الخليفة

وفي هذه السنة قصد أبو عليّ ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التي ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداذ هُرمز[2] فاستقبله ركن الدولة وبالغ في إكرامه وأضافه وجميع من معه وأقام لهم الأنزال الواسعة والتمس ابن محتاج عهداً يُكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكوتب معزّ الدولة في ذلك

---

١. ما في الأصل: عليه. والمثبت في مد: علّته. ونحن رجّحنا ما في مط: عنده.

٢. في مط: زيدار هرمز. والمثبت في مد: ونداز هرمز.

فتكفّل به حتى فعل.

وفيها وصل رسول ابن محتاج إلى بغداد ولقى معزّ الدولة فاحتشد له احتشاداً كثيراً وأوصله إلى الخليفة حتى عقد لأبى علىّ على خراسان وقلّده إيّاها مكان نوح بن نصر وسلّم إليه العقد والخلع وضم [208] إليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبى عمرو الشرابى وأنفذ معهم معزّ الدولة أبا منصور لشكرورز نجدةً لأبى علىّ ابن محتاج ومُعاونة له على نوح.

فلمّا كان بعد مدّة ورد كتاب أبي علىّ ابن محتاج بأنّه قد خطب لأمير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن خُطب له إلى هذه الغاية في شيء من بلدان خراسان وذكر في كتابه صحّة موت نوح.

وورد الخبر بأنّ نوحاً لمّا حضرته الوفاة كان بحضرته ابن مالك وهو أحد قوّاده الكبار فغلب على الأمور وعقد الأمر لعبد الملك بن نوح في ولاية خراسان وتقلّد هو رئاسة الجيش مكان أبي علىّ ابن محتاج.

وسار يطلب ابن محتاج وانفلّ عن ابن محتاج رجالهُ وعادوا إلى صاحب خراسان وبقى أبو علىّ في مائتى رجل من أصحابه سوى من ضمّ إليه من الديلم فاضطرّ إلى الهرب من بين يدي ابن مالك.

وورد خبرهُ من الدامغان بأنّه صائر إلى ركن الدولة مستجيراً به، فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام عنده بالريّ. ونزل ابن مالك بنيسابور وتتبع أسباب ابن محتاج.

وفيها صُرف الابزاعجى[1] عن الشرطة ببغداد واعتقل وصودر على ثلاثمائة ألف درهم وقلّد الشرطة مكانه تكينك نقيب الأتراك وقد كان طولب قبل صرفه بأربعين ألف درهم على أن يقرّر [209] في عمله من الشرطة

---

١. في مط: الاتراعجمى!

ووعد بإقطاع فلم يفعل.

ذكر الرأى الخطأ من الابزاعجى
حتى استمرت عليه النكبة وعظمت بعد أن كانت خفيفة

كان الابزاعجى منقطعاً إلى أبى علىّ الخازن فاستشاره وكان أبو علىّ يعتنى به فأشار عليه ألّا يلتزم شيئاً ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال له:

ـ «هذا يُطمع فيك ويسير رسماً عليك فإن امتنعت انحسم الطمع فيك وفيما بعده.

فقبل رأيه فأدّاه ذلك إلى النكبة وما أراد به أبو علىّ إلّا الخير ولكنّه أخطأ الرأى كما يخطئ الإنسان ولمّا أدّى هذا المال وانصرف إلى منزله قُبض أيضاً عليه ونُكب نكبة ثانية وسُلّم إلى تكينك فجرى عليه مكروه عظيم وصودر على مائتين وخمسين ألفاً فأدّاها.

دخول ركن الدولة إلى جرجان

وفيها دخل ركن الدولة إلى جرجان ومعه أبو علىّ ابن محتاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان.

وفيها خُطب (بمكة والحجاز) لركن الدولة ومعزّ الدولة وبختيار وبعدهم لابن طغج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب معزّ الدولة وبين المصريين.

وكان أبو علىّ ابن محمّد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكّة، فأبلى[1] وقاتل وقتل ابن له بين يديه.

---

١. الكلمة سقطت من مد.

ودخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة [210]

تقليد معزّ الدولة إمرة الأمراء لابنه بختيار

وفيها عقد معزّ الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرياسة وقلّدهُ إمرة الأمراء وذلك في المحرم من هذه السنة.

وكان سبب ذلك أنّه عرض لمعزّ الدولة علّة يقال له: فرمافسمس[١] وهي علّة الإنعاظ الدائم ويكون معه وجع شديد مع توتّر القضيب. وكان معزّ الدولة خوّاراً في أمراضه فأوصى وقلّد ابنه كما حكينا إمرة الأمراء.

عمران وأمتعة التجّار

وبلغ عمران بن شاهين أنّ معزّ الدولة قد مات واجتاز به مال يحمل إلى معزّ الدولة من الأهواز ومعه كارٌ[٢] كبير فيه للتجار أمتعة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لمعزّ الدولة مائة ألف دينار وما للتجار أضعاف ذلك.

فمدّ عمران يدهُ إلى المال والكار على رسمه في مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض على المرعبل[٣] ملاّح معزّ الدولة الذى كان مع المال فصادره وضربه ضرباً عظيماً ودهقه إلى أن أزمنه. ثم أنفذ إليه معزّ الدولة أبا الحسين الكوكبي نقيب الطالبيين برسالة إلى أن ردّ المال وذهبت أمتعة التجار وانتقض الصلح وتأدّى الأمر إلى الوحشة.

وكان الحاجب سبكتكين أُخرج إلى شهرزور في جيش كثير ومعه عرّادات ومنجنيقات فأقام مدّة عليها ولم يمكنه فتحها [211] واتّفق أنّ جيشاً

١. ما في مط أيضاً: فرمافسمس. والمثبت في مط: «فريافسمس» ثمّ «تواتر القضيب».
٢. الضبط من الأصل. والكار نوع من السفن.
٣. ما في الأصل ومط: المرعبل (بالراء المهملة). والمثبت في مد: المزعبل.

ورد من صاحب خراسان إلى الريّ فاحتيج إلى إنفاذ سبكتكين إلى ركن الدولة مدداً له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئاً.

استيلاء ابن ماكان على إصبهان
ومبادرة ابن العميد

وفيها ورد ابن ماكان اصبهان وكان مسيره إليها على طريق المفازة من خراسان فهجم هجوماً وأضطرّ أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم إلى خان ألنجان[١] ومنها إلى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ماكان على اصبهان.

وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد ـ رفع الله درجته ـ بأرجان فبادر مع قطعة من العرب ونفر يسير من الديلم كانوا معه، فوجد ابن ماكان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحُرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلّص الأمير بويه والحُرم وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والأسر فلحقه الأستاذ الرئيس فعارض ابن ماكان ودافعه بخان ألنجان فأوقع به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قوّاده وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً.

وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابنَ ماكان وقوّاده إلى القلعة بالخان ثم صار إلى إصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ماكان وورد الأمير [212] أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم إلى إصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف.

وكان يحدّثني ـ رحمه الله ـ بخبر هذه الوقعة مرّات فيقول:

لما التقينا بالخان انهزم عنى أصحابى واشتغل أصحاب ابن ماكان بالنهب

---

١. فى مط: خان التجّار. ويقال له: «لَنجان» أيضاً.

والغارة وثبتُّ أنفةً[١] فقط من غير رجاء منّى فى ظفر، بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والأسر. وذلك أنّى فكرت فى تلك الحالة وقلت: إن انصرفت بنفسى سالماً ومثلت بين يدى صاحبى أىّ وجه يكون لى عنده وأىّ لسان يدور بعذر لى بحضرته بعد أن أسلمت أعزّته وأولاده وحُرمه وبالجملة ملكه! ونظرت فإذا القتل علىّ فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التي تصوّرتها فصرت لان أقتل كريماً.

فسكنتُ واقفاً وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أطنابها تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظنّ أنّي أثبت في ذلك الموضع مع تلك الصورة. فبينما أنا كذلك وأصحاب ابن ماكان مشغولون عنّي بالنهب إذ ثاب إلىّ غلامى روين وفلان وفلان وراءهم العرب فثاب منهم جماعة يسيرة فحملتُ بهم وصاح الناس:

ـ «الكرّة.»

فقتلنا وأسرنا ولم يفلت أحد.

ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ماكان عين تطرف [213]إلّا من أخذ أسيراً، وحُمل إلىّ ابن ماكان وبه ضربة في يده وقد تعلّق منها إصبعان بجلدة رقيقة، فمدّها حتى قطعهما.

فهو على ذلك بين يدىّ حتى شقّ الزحمة إليه مُكارٍ أو ركابىٌّ فصفعهُ صفعة طنّ بها الموضعُ وغاص[٢]، فلحقنى غيظ عظيم وأمرتُ بطلبه وهممت بالمثلة به وقطع يده فما وُقف له على أثر ولا عُرف له خبر إلى اليوم.

وكان ابن ماكان مع عظم قدره فى نفوس الديلم وشدّة بأسه محرباً عظيم القوّة ورأيتُ أنا جوشنه وهو رزين جداً يعرض على فتيان الديلم وأشدائهم

---

١. والمثبت فى مد: وثبت آنفة. وهو خطأ.
٢. فى مط: عاص.

أن يلبسه فيستعفى منه لثقله على اليد.

حوادث عدّة

وفى هذه السنة أنجد سيف الدولة ديسماً وعاضده بعض الأكراد فقصد سلماس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلاّر غائباً بناحية باب الأبواب مشغولاً بقوم خرجوا عليه هناك. فلمّا عاد من باب الأبواب وأصلح أمره هناك وظفر بعدوّه فقصد ديسماً فاستأمن رجالهُ إلى سلاّر وهرب ديسم ومضى الى ابن الديرانى صاحب أرمينية مستجيراً به فقبله ثم غدر به وقبض عليه وقيّده وحمله إلى السلاّر فيقال: إنّ السلاّر سمله ثم قتله.

وفيها مات أبو علىّ ابن محتاج وابنه بالرىّ فى وباء حدث هناك.

وفيها تمّ الصلح [214] بين ركن الدولة وصاحب خراسان.

وفيها ورد أبو الفضل القاشانى صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن يُنفَذ إليه خلع ولواء على خراسان، فعقد له الخليفة اللواء وسلّمه مع الخلع إلى ابن أخته الوارد برسالته وردّه مع أبى الفضل القاشانى وقاد أيضاً إليه فرساً وأضاف إلى خلع الولاية خلع منادمة.

ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

ذكر وزارة المهلّبى

وخروج روزبهان على معزّ الدولة

وفيها خوطب أبو محمّد المهلّبى بالوزارة وأمر بذلك معزّ الدولة وخلع عليه وزاد فى إقطاعه.

وفيها خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمى على معزّ الدولة وخرج أخوه المسمى ببلكا[١] بشيراز وكاشفا بالعصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر أسفار بالأهواز وجاء روزبهان إلى الأهواز وكان بها الوزير المهلبى ليحاربه فاستأمن رجاله إلى روزبهان وانحاز الوزير عنه.

وورد الخبر بذلك على معزّ الدولة فلم يكن يصدّق بذلك لشدّة ثقته به فإنّه هو الذى اصطنعه ونوّه باسمه فكان خاملاً وعظّم قدره وكان صغيراً قبل ذلك من رجال موسى فياذة وصغار أصحابه.

فأنفذ معزّ الدولة شيرزيل[٢] على مقدّمته للحرب واضطرب الديلم بأجمعهم على معزّ الدولة [215] اضطراباً شديداً وأظهروا أشياء كانت فى نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكلّ ما كره وأخذوا يستأمنون.

فقلد معزّ الدولة الابزاعجى الشرطة بواسط وأنفذه إليها. وفى يوم الخميس لخمس خلون من شعبان خرج معزّ الدولة من داره ببغداد متوجهاً إلى قتال روزبهان وزاد الأمر فى استئمان الديلم إلى روزبهان.

وخرج الخليفة المطيع لله منحدراً إلى معزّ الدولة وذلك أنّ ناصر الدولة لمّا بلغه خبر روزبهان وما عمله هو وأخوته حدّث نفسه ببغداد فوجّه بابنه أبى المُرجّى وآخر من أولاده إلى بغداد، وبلغ ذلك معزّ الدولة فردّ الحاجب سبكتكين من واسط لضبطها وكتب إلى مسافر بن سهلان ـ وكان بنهاوند متقلّداً لها ـ يأمره بالتعجّل إلى بغداد لمضامّة الحاجب سبكتكين ببغداد.

فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث إليهم مسافر وسبكتكين ولشكرورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل فى أعلى

---

١. فى مط: بدكا، وهو تصحيف.

٢. فى مط: بسرويل، وهو تصحيف.

القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب الشمّاسية وهم على قنوط من [معزّ][١] الدولة.

ومنع معزّ الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأى من استئمانهم إلى روزبهان ووكّل بالقنطرة من يمنعهم من عبورها قلّة ثقة بهم [216] وخوفاً من أن يغدروا به ويشوّشوا باقى عسكره لأنّه كان ينفق فيهم فإذا قبضوا النفقات صاروا إلى روزبهان من فورهم فما عبر معه من الديلم إلّا ليلى بن موسى فياذة وشيرزيل ابن وهرى والحسن بن فنّاخسره فقط.

وكان اعتماد معزّ الدولة على غلمانه الأتراك فحارب روزبهان يوم الإثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كلّه إلى أن سقط القوم[٢] ثم حمل بنفسه فى غلمان داره وحضّهم بأن قال:

ـ «يا أولادى قد ربّيتكم تربية الأولاد فأرونى غناءكم الساعة.»

فحملوا معه حملة الصبيان الأغمار فلم يردّهم شيء وانهزم روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح اللشكرى وأرسلان كور.

شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها

استوحش الديلم من منع معزّ الدولة إيّاهم من العبور، فاجتمعوا عليه وقالوا له:

ـ «إن كنّا رجالك فأخرجنا نقاتل بين يديك فإنّا لا نصبر أن نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك ونرى الأتراك يقاتلون عنك فمتى ظفرت بعدوّك

---

١. ما بين المعقوفتين غير موجود لا فى الأصل ولا فى مط.

٢. وفى مط: القرص. أى: قرص الشمس.

خرجنا من المحمدَة ومتى ظفر عدوّك فلحقنا العار والسبّة.»

وكأنّهم سلكوا فى هذا الكلام مسلك الحيلة لِيُطلق لهم العبور فيتمكّنون من [217] كسر عسكره والاستئمان إلى عدوّه.

فسألهم التوقُّف وقال:

ـ «إنّما أريد أن أشامّ القوم ولا أناجزهم كما[1] فعلت بالأمس فإذا كان فى غد باكرناهم بأجمعنا على تعبية واستعنّا بالله وناجزناهم.»

وكان يدرّ عليهم النفقات ويواصل العطايا ويكثر المداراة فأمسكوا عنه وعبر معزّ الدولة وعبّى غلمانه كراديس تتناوب فى الحملات إلى وقت غروب الشمس فهناك فَشِل الأتراك وانقطعت حِيلهم وفنى نُشّابهم وشكوا إلى معزّ الدولة وقالوا:

ـ «ليس فينا فضل وقد أمسينا فنستريح الليلة وتُفرّق فينا النشّاب ونباكرهم الحرب.»

فعلم معزّ الدولة أنّه إن رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والديلم وثار مَن خلّف وراءه من أصحابه الديلم الذين كان يتّهمهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكى بين أيدى غلمانه وكان سريع الدمعة ثم سألهم أن تجمع الكراديس كلّها ويحملوا وهو فى أوّلهم فإمّا أن يظفروا وإمّا أن يُقتل أولَ من يقتل. فطالبوه بالنشّاب فقال:

ـ «قد بقى مع الغلمان الأصاغر نشّاب فخذوه وتوزّعوه.»

وكانت عدّة من الغلمان الاصاغر تحتهم الخيل الجياد العتاق وعليهم الجُنَنُ[2] والتجافيف وكانوا سألوا معزّ الدولة أن يأذن لهم فى الحملة نوبة فى الكراديس فلم يأذن لهم [218] وقال لهم:

---

١. كذا فى الأصل ومط: كما. والمثبت فى مد: فيما. وهو خطأ.

٢. كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: الجُيب.

ـ «إذا كان الوقت الذي يصلح لكم ما سألتم أذنتُ فيه.»

فوجّه إليهم بنقيب وأومأ بيده أن اقبلوا ما يقول النقيب ليأخذ النشاب منهم فلم يشكوا أنّه إنّما أومأ إذناً لهم فيما كانوا يسألونه ووعدهم به. فحملوا وهم مستريحون وكذلك خيلهم فصدموا صفوف الديلم فكسروا بعضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معزّ الدولة فوضع فيهم اللتوت[١] فكانت إيّاها وكتب بالظفر إلى بغداد.

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدّقوا به وقدّروا أنّه أرجف بذلك إرجافاً فكانوا يستهزئون استهزاءً ظاهراً ويقولون:

ـ «نعم كانوا دجاجاً وضع عليهم مكبّة فما أفلت أحد».

وكانت نفوسهم اشرأبّت إلى روزبهان. فلمّا صحّ عندهم الخبر ضعفت نفوسهم وانخذلوا.

وأسرع معزّ الدولة الإنصراف ليلحق بغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة إليها. فدخل بغداد يوم الجمعة لاثنى عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في يومه ذلك في الماء إلى معسكر الحاجب بباب الشمّاسية في زبزب ومعه روزبهان في زبزب آخر مكشوفاً ليراه الناس وكوركير في زبزب آخر، واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان.

وقد كانت العامّة محبّين لأيّام [219] معزّ الدولة وذلك لما كان منه في سدّ بثق نهر الرُّفيل وسدّ بثق بادوريا فإنّه خرج بنفسه حتى سدّ هذا البثق وحمل التراب بنفسه في برّكة[٢] قبائه حتى فعل جميع العسكر مثل فعله وسدّ ذلك البثق. ثم خرج إلى النهروانات فسدّ بثقابها وكانت النهروانات قد بطلت وكذلك بادوريا فلمّا سدّ بثوقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقي عشرين

---

١. اللتّ: الفأس العظيمة. فارسيّة.

٢. في مط: تركة.

رطلاً بدرهم فمالت العامّة إلى أيّام معزّ الدولة وأحبّوه.

ومضى الأمير معزّ الدولة ممتدّاً إلى عسكره بقُطربّل وكان أبو المُرجّى وأخوه قد وصلا إلى عُكبرا ووصلت خيولهما إلى البركان[١]. فلمّا بلغهما قدوم معزّ الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا إلى الموصل وتبعهما الحاجب سبكتكين فلم يلحقهما لإغذاذهما[٢] السير.

وحُبس روزبهان بالصراة في حصن كان هناك فكان الديلم يحدّثون أنفسهم بكبس موضعه وإخراجه. وأشار أبو العباس مسافر على معزّ الدولة بقتله فأبى وكره ذلك إلى أن قال جماعة من ثقاته:

ـ «إنّك إن لم تبادر إلى قتله أخذه الديلم غصباً وزالت الدولة وذهبت أرواحنا.»

فاخرج حينئذ بالليل وغُرّق في سُميريّة أسفل دار الخليفة.

وورد الخبر بعد ذلك بظفر الأستاذ [220] ابن العميد ببُلّكا أخي روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن ركن الدولة.

فانطوى ذكر روزبهان وأخويه بعد أن اشتعل اشتعال النار وانحاز إليه وإلى أخيه بُلّكا الديلم وظنّوا أنّهم قد نقلوا مُلك بني بويه ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ثمّ إنّ معزّ الدولة أسقط الديلم الروزبهانيّة وقبض على جماعة من قوّاده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الأتراك واصطنعهم وكتب بالفتح إلى الأمصار.

١. في مط: البردان.

٢. في مط: لإعدادهما، بالإهمال الكامل.

ودخلت سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة

موت السلّار المرزبان

وفيها ورد الخبر بموت السلار المرزبان بآذربيجان في شهر رمضان وكانت وفاته بفساد المزاج. فلمّا يئس من نفسه أوصى إلى أخيه وهسوذان على أن يكون الرياسة له ثمّ من بعده لابنه جستان، وكان قد تقدّم إلى أصحاب قلاعه الموكّلين بحفظها إن حدث الموت ألّا يسلّموها إلّا إلى جستان ابنه فإن حدث به حدث الموت فإلى ابنه إبراهيم فإن مات فإلى إبنه ناصر.

وكان له ولد رابع يقال له كيخسره فلم يذكره لصغره وقال: فإن لم يبق من هؤلاء أحد فسلّموها إلى أخي وهسوذان.

ولما وصّى إلى أخيه وصيّته هذه عرّفه علاماته التي بينه وبين أصحاب قلاعه فأنفذ وهسوذان [221] بعلاماته وخاتمه إلى المرتّبين في القلاع في تسليمها إليه فأبوا عليه وأظهروا وصيّته المستورة.

وكان إبراهيم بن المرزبان متزوّجاً بابنة ولكين بن خرشيد وهو من أكابر الديلم وكان ولكين هذا محبوساً من جهة المرزبان بأردبيل، فلمّا مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحملته على أن يمضي بنفسه ويُخرجه من محبسه. فركب وأخرجه من غير استئذان عمّه وهسوذان فاستوحش وهسوذان وفكّر في مُخاتلة أخيه له في الوصية وفي إقدام ابن أخيه إبراهيم عليه وإخراجه ولكين من محبسه بغير إذنه فساء ظنّه وخرج من أردبيل كالهارب إلى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه إبراهيم وناصر وقلّد وزارته أبا عبد الله النعيمي وتوافى إليه قوّاد أبيه إلّا جستان بن شرمزن فإنّه تأخّر عنه وفكّر في التغلّب على ناحية أرمينية وكان والياً بها.

وأخذ وهسوذان في التضريب بين أولاد أخيه وتفريق كلمتهم وإطماع أعدائهم فيهم والتشفّي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطالبوهم بما لا يتسعون له حتى تمكّن منهم وقتل بعضهم وحرّض على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد. [222]

ذكر أخبار الأمراض والمناخ والزلازل

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الحلق والماشرا وكثر الموت بهذين الضربين [١] وموت الفجاءة وكل من افتصد انصبت إلى ذراعه مادّة حادّة عظيمة يتبعها حمّى حادّة فيحتاج إلى بطّ [٢] وما سلم أحد ممن افتصد.

وكانت شتوة هذه السنة دفيّة عادمة الأمطار وحكى أهل البحر أنّ البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعاً وأنّه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قطّ وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيراً نحو عشرة أذرع وكان بالريّ ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده.

ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

حوادث عدّة

وفيها كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها بالجبل خاصّة فخربت الأبنية وقتلت الخلق.

وفيها شغب الأتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا إلى داره وأرادوا الفتك به فحاربهم بغلمانه وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في الوقعة

---

١. وفي مط أيضاً: الضربين ولعله «المرضين».
٢. بطّ الجرح: شقّه.

وقبض على جماعة وهرب الباقون إلى بغداد.

وفيها ورد الأمير أبو منصور بويه بن ركن الدولة إلى بغداد يخطب ابنة معزّ الدولة ومعه أبو عليّ ابن أبى الفضل القاشانى وزيراً ومعه أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد يكتب له على سبيل [223] الترسل.

فلمّا كان ليلة السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى زُفّت بنت معزّ الدولة إلى أبى منصور بويه ثم حملها إلى إصبهان.

طمع ناصر الدولة فى ممالك معزّ الدولة بعد الصلح والموادعة

وفيها خرج معزّ الدولة نحو الموصل يوم الخميس لأربع عشرة خلت من جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية إلى قُطربّل وضرب مضاربه هناك وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم فى قصد ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وتردّدت الرسل فأمر معزّ الدولة أن تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر أن تُقرأ وتُستوفى أجوبتها.

ذكر هذه التوبيخات

قال فيها[1]:

«أنت ذاكر ما جرى عليك من تكين الشيرزادى فإنّه أخرجك من نعمتك وكاد يأتى على مهجتك، فلجأت إلىّ بعد عداوة سبقت

---

١. فى مط: منها.

منك لى ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن فى يدك منها شىء فاطرحتُ الأحقاد واغتفرتُ الذنوب وآثرتك على تكين وهو إذ ذاك يبذل لى الخدمة والطاعة وحمل المال وإقامة الخطبة ولا يلتمس منى الأتراك الدخول بينك وبينه والإنصراف عن النصرة لك عليه فآثرتك.

«وأنفذتُ كاتبى وعسكرى بأموال أنفقتُها ومؤن تكلّفتها [224] حتى أخذت بناصيته وسلّمتهُ إليك فشفيتَ صدرك منه وعدتَ إلى وطنك.

«ثم حصلتَ فى يد وزيرى الصيمرى حصول المستجير الذليل فوفى لك ولو شاء لأسرَك واشتمل على بلادك وقلاعك.

«وظننتُ أنّك تعرف لى حقّ هذه النعمة وتُطالب نفسك عليها بالمجازاة فابيتَ إلّا غدراً بى وتقبيحاً فى معاملتى.

«وليتَك ـ لما لم تعمل عمل الأصدقاء الأوفياء ـ عملت عمل الأعداء الحزماء، فكاتبتنى تعرض نفسك علىّ فى النائبة العظيمة التى نابتنى فى أوثق الناس عندى وتبذل لى معاونتك فكنتَ تنفذ عسكرك إلى تكريت على أنّه مددٌ لى فإن لاح لك استظهار منّى تحمّدت علىّ وتودّدت إلىّ وإن لاح لك استظهار علىّ أظهرت ما فى نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة.»

ثم أتبع هذا القول بالتوعّد والتهدُّد بالمسير إلى أعماله واستيصاله.

الجواب عن هذه الرسالة

«إنّك قد صدقت فى جميع ما عددت وإنّى معترف به، ووالله

ما كان عن رأيى[١] ولا أمرت به ولكنّى شيخ لى أولاد أحداث يخالفوننى فى تدبيرهم فيركبون الهوى فى أمورهم ولا رأى لمن لا يطاع.»

وتمّت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفى ألف درهم فعجلها له [225] والتزم مثلها فى كل سنة فأظهر معزّ الدولة الرضا ضرورة لأنّه كان غير واثق برجاله ولأنّ أعماله اختلّت بتلك الفتنة فعاد إلى داره.

ثم أخّر ناصر الدولة المال الثانى لأنّ الأوّل كان فى سنة ستّ فخرج معزّ الدولة إليه وسار ناصر الدولة إلى نصيبين ودخل معزّ الدولة الموصل وسار إلى نصيبين وخلف سبكتكين بالموصل.

وأنفذ سريّة إلى سنجار لأنّه بلغه أن أبا المرجّى وهبة الله ابنى ناصر الدولة بها وبلغهما خبر السريّة فانصرفا وقد كان أعجلهما الأمر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شىء. فأسرع الديلم الذين كانوا فى السريّة إلى الغارة والنهب.

ذكر عجلة وإضاعة حزم

إنّ الديلم نزلوا فى خيم أبى المرجّى وأخيه فعادا وكبسا العسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممّن قتل ابن ملك الديلم المعروف بسياچشم[٢] قتله هبة الله ووقع فى الأسر شيرزاد وشيرمردى وعدد كثير.

١. فى الأصل: عن رأى. وهو المثبت فى مد. وفى مط: عن رأيى. وهو الصواب.
٢. سياچشم (=سياهٔ چشم) فارسىّ معناه: أسود العين.

ذكر السبب في هذه النكبة وضعف معزّ الدولة بعد الاستعلاء

كان من عادة ناصر الدولة إذا تنحى من بين يدى معزّ الدولة ألّا يترك في البلد لا كاتباً [226] ولا دليلاً[١] ولا أحداً ممّن يعرف نفع السلطان وضرّه ويحشرهم إلى قلاعه مع حسباناته ودواوينه. ثم يأمر الصعاليك والعرب أن يتطرّفوا البلد ويمنعوا العلاّفة ومن يخرج لطلب العلف والطعام إلّا أن يكون معهم عسكر قوىّ فإذا رأوا عسكراً قوياً لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه في ذلك أن يضيق المِير والعلوفات فينصرف عنه معزّ الدولة. ففعل ذلك في هذا الوقت.

وبلغ معزّ الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها وخلّف حاجبه سبكتكين بالموصل. فلمّا صار ببرقعيد بلغه أن أبا المرجّى وهبة الله ابنى ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما وندب لذلك جماعة من القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار ـ وكان غلاماً أمرد وضيء الوجه منهمكاً في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدّمت له حُنكة ـ فأشار الوزير المهلبى ألّا يخرجه في مثل هذا الوجه وأن يعدل إلى أحد مشايخ القواد فلم يقبل منه وأنفذه في خمسمائة رجل فأشرفوا على أبى المُرجّى وهبة الله فأرهقوهما عن تقويض الخيم واستصحاب شيء من رجالهما وأفلتا على ظهور دوابّهما وتركوا جميع مالهم [227] فانتهبه العسكر.

ثمّ تعجّل أصحاب معزّ الدولة إلى الخيم وتركوا الحزم فنزلوها واستقرّوا فعطف عليهم أولئك وصارت الكبسة لهم فقتلوا وأسروا وغنموا ما شاؤوا.

---

١. في مط: وكيلا. بدل «دليلاً».

وبقى معزّ الدولة فى عدد يسير ببرقعيد فى طريقه إلى نصيبين فكتب إلى بغداد يستدعى العساكر فتعجّلوا وتلاحقوا إليه فلمّا قويت عدّته سار من برقعيد إلى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين إلى ميّافارقين وفضّ جيشه عنه بأسره وصرفهم. فصار جميعهم إلى معزّ الدولة فى الأمان واستأمن أبو زهير أخو ناصر الدولة إلى معزّ الدولة ورحل ناصر الدولة من ميّافارقين إلى حلب مستجيراً بأخيه سيف الدولة فتلقّاه أخوه بأجمل تلق وقبله أحسن قبول وخدمه بنفسه حتى تولّى نزع خُفّه بيده.

وكان حامد بن النمِس توجّه من قبل معزّ الدولة إلى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة.

وكان طريف الخادم وهَزارْمَرْد[1] وهما غلاما ناصر الدولة يتطرّفان الموصل في الجانب الشرقى منها كل يوم ويلتقطان عمّال معزّ الدولة ويأخذان العلاّفة من عسكر الحاجب ويمنعان من ورود [228] شىء إلى الموصل حتى صارت محاصرة وأخذا من الثرثار من عمّال معزّ الدولة رجلاً يعرف بعلىّ بن الصقر وحملاه إلى القلعة ثم كبسا الحديثة وكان فيها محرز حاجب الوزير أبى محمد المهلّبى وأبو العلاء ابن شاذان يتقلّد عمالتها فقبضا عليهما ثم أطلقا مُحرزاً وحملا أبا العلاء إلى القلعة.

وكان معزّ الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بحمل مال إلى الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلاً وطاوله وبثّ جواسيسه لتعرّف الأخبار. فلمّا عرف انصراف معزّ الدولة عن ذلك الوجه إلى بغداد ردّ الرسول خائباً[2].

وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة إلى نصيبين وسفر فى الصلح

١. هزارمرد: فارسىّ معناه: مَنْ يعادل ألف رجل.
٢. فى مط: خائناً.

وطال الخطب بينه وبين معزّ الدولة فلم يتمّ الصلح. فلمّا رأى عمرو الصورة استأمن إلى معزّ الدولة وأقام بحضرته ولم يعد إلى ناصر الدولة.

ثم ترددت رسائل بين معزّ الدولة وبين سيف الدولة وتوسّط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معزّ الدولة من نصيبين قاصداً الموصل.

ذكر اتّفاق صعب غير محتسب

لمّا صار معزّ الدولة بين المونسية وآذرمه[١] في اليوم الخامس عشر من شباط هبّت ريح باردة [229] مغربية ووقع دَمَق[٢] فتلف في ساعات يسيرة من النهار عدد عظيم من عسكره ولحق معزّ الدولة غشية وكاد يتلف من كثرة ما عليه من الوبر والخزّ.

فقلع أهل العسكر سقوف آذرمه وأبوابها وأوقدوها فأطلق معزّ الدولة لأهلها ثلاثة آلاف درهم ليبتاعوا بها مكان ما أخذ من أنقاضها.

ذكر تدبير سيّئ ورأى ظاهر الفساد رآه معزّ الدولة بعد فراغه من روزبهان أدّى إلى تخريب المملكة وسوء عاقبة الأولاد والرعية

دبّر معزّ الدولة عند فراغه من حرب روزبهان أن يطرد الديلم الروزبهانيّة ويمسك من لم يفارقه منهم وإن كانوا متهمين عنده وكان وعدهم للعشرة ثلاثة في أصول أموالهم وظنّ أنّه إن وفى للكلّ لم يتّسع له مع أنّ الفتح للأتراك وكان مائلاً إليهم بالهوى قبل الإستحقاق فكيف بعد هذا الأثر العظيم!

فابتدأ يجازى الأتراك بالإحسان فقوّد منهم جماعة واستحجب جماعة

---

١. في مط : اسمان لموضعين. وفي مط : آذرميّة. بدل «آذرمه».

٢. الدَّمَق: الريح الشديدة يصحبها ثلج. فارسيّة معرّبة أصلها: دَمَهْ.

ونقّب جماعة ورفع كل طبقة إلى ما هو أعلى منها ونفى الديلم الروزبهانيّة ليتوفّر عليهم مالهم ويصير ذلك بإزاء ما يلزمه لإصحابه الديلم من الزيادات.

فأخرجهم إلى الأهواز وكتب إلى وزيره المهلّبي بجمعهم [230] من جميع النواحي والأعمال والتوكيل بهم والمسير معهم إلى آخر الحدود ليتفرّقوا حيث شاءوا.

فدفع الوزير من ذلك إلى خُطّة صعبة وحال مخاطرة عظيمة. لأنّ القوم كانوا ذوى عدد وعدّة ألا أنّه تلطّف وأحسن التدبير حتى أخرجهم زمرة بعد زمرة.

ثم حمل معزّ الدولة الأتراك على التسحّب على الديلم وتعييرهم بشقّ العصا وخلع الطاعة وتقريعهم بهذا ونحوه وأنّ عدد الأتراك مع قلته وفوا بهم[1] حتى قهروهم وأذلّوهم.

ثم رسم للأتراك رسوماً صار سبباً لضراوتهم وطلبِ الأموال والتغلّب على الأعمال والتسحّب على العمّال وذاك أنّه أمر بتسبيب ما يستحقّونه على واسط والبصرة والأهواز وأخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقائهم المقيمين وأن يقام لهم نُزل يأخذونه راتباً فى كل يوم إلى أن يستوفى ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام فى كل يوم وعشرون درهماً لمن كان نقيباً وأراد أن ينفعهم عاجلاً لا مؤبداً.

وانفتح عليه من ذلك باب من الفساد كان أضرّ عليه من زيادة أوزارها فى أصول استحقاقاتهم وذلك أنّهم آثروا[2] أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيّام مقامهم [231] وصيروا أصول أموالهم بضائع يتّجرون فيها وإذا راج لهم من مال تسبيباتهم لم ينسبوا شيئاً منه إلى الأصل وقد بقى لهم درهم واحد

١. فى مط: وتوليهم. بدل «وفوا بهم»، وهو تصحيف.
٢. فى الأصل ومط: أثروا. وهو المثبت فى مد.

ويستروح العمّال إلى إطلاق الشيء بعد الشيء لئلا يرهقوا بالمال جملة فربّما أقاموا سنتين وثلاثة.

وحلت التجارات فى صدورهم وإجازة ما يحصل لهم فى الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة ثم تجاوزه إلى الدخول فى التلاجئ فملكوا البلاد واستطالوا على العمّال وحاموا على التجّار ومن اعتصم بهم فضعفت أيدى العمّال واستعبدوا الناس واستمرّ ذلك وازداد إلى اليوم.

ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

وفيها وافى أبو محمد الفياضي كاتب سيف الدولة إلى الموصل فى المحرم وتقرّر الأمر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة بألفى ألف درهم وتسعمائة ألف فى السنة وذلك لأنّ معزّ الدولة لم يستجب إلى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدّم من ذلك ألف ألف درهم ويطلق الأسارى الذين أسروا بسنجار.

فلمّا تقرر هذا انحدر معزّ الدولة وتأخر الوزير المهلبى والحاجب سبكتكين بالموصل والجيش بأسره معهما [232] إلى أن يحمل مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبى محمّد الفياضي كاتب سيف الدولة.

ذكر انحدار معزّ الدولة والسبب فيه بعد تمكّنه من ديار ربيعة ومضر

كان السبب فى إصعاده الإضاقة[1] الشديدة التى لحقته بعد الأمور التى ذكرناها وتأخر أموال الحمول عنه فعلم ناصر الدولة بذلك فانهزم من بين

١. فى مط: الإضافة، وهو خطأ.

يديه وقال لأصحابه:

ـ «إذهبوا حيث شئتم فإنّي لا أقف للحرب.»

فاستأمن أصحابه إلى معزّ الدولة كما كتبنا فيما تقدّم فازدادت إضاقة معزّ الدولة ولم يمكنه ضبط النواحي ولا الحماية، وتقاعد الناس بأداء الخراج احتجاجاً بأنّهم لا يصلون إلى غلاّتهم وطلبوا الحماية واضطرّ معزّ الدولة إلى الإنحدار ولكنّه أنف وأقام على كره ومشقّة. فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح إليها وأجابه بالشكر الجميل وشكا إليه أخاه وقلّة وفائه والغدر به مرّة بعد مرّة وقال له:

ـ «ان ضمنته أنت أجبتُ.»

فضمنه وانحدر معزّ الدولة.

وفي هذه السنة انقطعت الحمول من واسط إلى البصرة والأهواز

ذكر السبب في ذلك

السبب في ذلك ما كنّا ذكرناه من استيلاء الأتراك واستضامتهم العمّال ومضايقتهم إيّاهم حتى اضطرّوهم إلى بذل المرافق [233] الكثيرة لهم فاقتنوا الأملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجي فتغلّبوا على حقوق بيت المال وصار العمّال يعولون على الغلمان الأتراك في أخذ حقوقهم على الثّناء فيتنجزّونها كما يتنجّزون تسبيباتهم. وتشبه بهم الديلم واصطلح الفريقان على هذا السبيل فكسروا على السلطان حقوقه.

واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود وسألوا إزالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذي لا يرجى حسمه لأنّ الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والأتراك متطاولين مدلّين. فلو قمعوا لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة.

فجرى الرسم بأن ينقل ما رفعه العمّال من فاضل ما عليهم إلى السنة التى بعدها وحصل الوزير وكلّ من دبّر فيه تدبيراً متعرضاً لسفك دمه وذهاب نفسه إلاّ أنّ هذا الفساد كان في أيّام معزّ الدولة كالطفل الناشئ لهيبته وبقيّة[١] حشمته ثم ظهر الإفراط بعد على أولاده ولما أتى عليه الزمان بعد وفاته.

حوادث عدّة

وفيها خلع السلطان على الأمير أبى منصور بختيار بن معزّ الدولة وعقد له لواء وقلّده إمرة الأمراء ولقّبه عزّ الدولة.

وفيها أنفذ لواء وعهد إلى أبى علىّ [234] بن الياس[٢] وكان السفير فى ذلك كله القاضى أبو بكر أحمد بن سيّار الصيمرى.

وفيها مات أبو الحسن محمّد ابن أحمد المافرّوخى وكان يكتب لمعزّ الدولة وكتب له بعده أبو محمّد علىّ بن عبد العزيز المافرّوخى مدّة شهر. ثم استعفى وانصرف وتقلّد مكانه أبو بكر ابن أبى سعيد.

وفيها كانت وقعة بين علىّ بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين بيستون ابن وشمكير فكانت على بيستون.

وفيها غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا فى بضعة عشر زورقاً كباراً فيها من الرجال والنساء نحو ألف نسمة.

وفيها غزا الروم المسلمين فأسروا وقتلوا وسبوا وانصرفوا وذلك فى طرسوس والرها.

---

١. وفي مط : نفقة، بدل «بقيّة».

٢. كذا في الأصل ومط : ابن إلياس. والمثبت في مد: [محمد] بن إلياس.

ودخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

وفيها ورد الخبر بأنّ صاحب خراسان قتل رجلاً من قواده يسمى بختكين[١] من وجوه قواد الأتراك فاضطربت خراسان لأجله.

وفيها ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفى بالله ظهر بناحية أرمينية وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى المرتضى من آل محمّد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ ولبس الصوف وأمر بالمعروف.

وكان هذا الرجل مضى إلى بلد الجيل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفيّة [235] والمسوّدة والمنتسبين إلى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا إلى آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلاّر الديلمي.

ثم ورد الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلاّر بأنّه أوقع بهذا الرجل المتلقب بالمستجير بالله، فأسره وقتله.

ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة الجيش وتوفّر على النساء واللعب ثم أدخلهنّ في التدبير.

وكان جستان بن شرمزن تحصّن بسور أُرْمِيَة[٢] وكان وهسوذان بالطرم ويضرّب بين أولاد المرزبان كما حكينا فيما تقدّم.

وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتّفق بين النعيمي

١. في مط: أرنية. وهو تصحيف.

٢. في مط: أرمينية. وهو تصحيف. وأُرْمِيَة مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان بينها وبين البحيرة ثلاثة أو أربعة، وهي في ما يزعمون مدينة زرادشت نبيّ المجوس. (مراصد الإطلاع).

وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه مصاهرة.

فلمّا قبض جستان بن المرزبان على النعيمى استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخى جستان وكان يومئذ بأرمية[١] وأطمعه في أموال عظيمة ووعده أن يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقيم مقام أخيه.

فعمل إبراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بألّا يفعل [236] فخالفهم وركب هواه وسار إلى أُرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ما سكنا إليه فصاروا إلى المراغة واستولوا عليها.

وقد كان جستان بن المرزبان صار إلى بردعة. فلمّا عرف خبر أخيه إبراهيم وانحيازه إلى جستان بن شرمزن عاد إلى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومنّاهما ووعدهما بإطلاق النعيمى وبذل لهما كل ما اقترحاه، فعادا إلى موالاته وتركا إبراهيم وانصرفا عنه إلى أُرمية وأخلفاه فى كلّ ما كانا بذلاه.

فلمّا رأى إبراهيم ذلك عاد إلى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمعان كل واحد من الأخوين أعنى إبراهيم وجستان ابنى المرزبان أنّهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلعة فى داخلها منيعة واستكثرا من جمع الأقوات والآلات.

وظهر للأخوين معاً نيّة ابن شرمزن فى النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصداه.

١. فى مط: بأرمينية، وهو تصحيف.

واتفق أن هرب أبو عبد الله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار إلى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفى بالله المتلقب بالمستجير بالله، وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فإذا قوي بالمال والرجال [237] قصد العراق.

فسار المستجير بالله في نحو ثلاثمائة رجل من المسوّدة ولم يكن بعد تمكّن ولا اجتمع له من الرجال ما أراد.

فلمّا أطمعه النعيمي صار إليه واجتمع معه وصار أيضاً إليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوي به وقلّده أمر عسكره وبايعه الناس.

وسار إليه جستان وإبراهيم ابنا المرزبان في جموعهما. فلمّا عبّى جستان عسكره تقدّم إليهم بأن يلزموا مصافّهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم.

وكان معهم الفضل بن أحمد الكردي القحطاني وهم صنف من الأكراد ومع جستان الصنف الآخر من الأكراد الذين يعرفون بالهدايانية[1] وتلقاهم الهدايانية وابتدأوا بالحرب فانتقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته إيّاه ويردّه إلى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فما شكّ أصحابه في انهزامه فاقتفوا أثره وصحت الهزيمة.

وركب الهدايانية وأصحاب جستان وإبراهيم أكتافهم وأضطر جستان بن شرمزن إلى الإنصراف إلى أُرمية وظفر بإسحاق بن عيسى بن المكتفي بالله ولم يدر ما فعل به إلاّ أنّي سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنفه في الحبس.

---

١. كذا في مط: بالهدايانية. و الياء الأولى مهملة في الأصل في كلّ المواضع.

وتمّ لوهسوذان تفريق كلمة بنى أخيه وذلك [238] أنّه استزار إبراهيم. فلمّا صار إليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دوابّ وكاتب ناصراً واستغواه حتى صار إلى موقان مفارقاً لأخيه ووجد الجند سبيلاً إلى إقامة سوقهم والمطالبة بالأموال ففارق أكثرهم جستان وصاروا إلى ناصر فقوى وسار إلى أردبيل فملكها والجأ أخاه جستان إلى القلعة المعروفة بالنير.

ثمّ اجتمع الديلم والأكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفى به وقعد به عمّه وهسوذان فعلم حينئذ أنّ وهسوذان عمّه كان يغويه وعرفا جميعاً مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الأمر إلى أخيه جستان فنزل من قلعته وصارا جميعاً إلى أردبيل على إضاقة شديدة لنفاد الأموال وكثرة المتغلّبين على الأطراف. فاضطرّا إلى الخروج الى عمّهما وهسوذان مع والدة جستان بعد أن توثّقوا منه بالأيمان الغليظة والعهود.

فلمّا حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكث واستولى على العسكر وعقد الإمارة لابنه اسماعيل بن وهسوذان وسلّم إليه أكبر قلاعه شميران وأخرج الأموال وأرضى الجند وجعل أبا القاسم شرمزن بن ميشكي صاحب جيشه وأخرجه إلى أردبيل.

وكان إبراهيم قد صار إلى أرمينية فتأهّب [239] لمنازعة إسماعيل ومحاربته ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمّهما وهسوذان وكان وهسوذان قد ضيّق عليهما وأساء كل الأساءة إليهما.

فلمّا عرف وهسوذان اجتماع إبراهيم على حرب إسماعيل واجتماع خلق من الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمّهما وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن

الورّاد[١] بقصد إبراهيم وأنفذ إليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا إليه وزحف إسماعيل فهرب إبراهيم إلى أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريباً منه فاستولى على عسكره وملك المراغة وأضافها إلى أرمية.

غزو سيف الدولة الروم

وفيها غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثّر في بلدان الروم آثاراً عظيمة وأحرق وفتح حصوناً وحصل في يده سبي كثير وأساري وانتهى في غزوه إلى خرشنة فلمّا أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فما تهيّأ له أن يتخلّص إلّا بجهد عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلك باقي أصحابه أسرا وقتلاً وارتجع منه السبي كلّه والأسارى والغنيمة وأُخذ جميع خزائنه وسلاحه وكُراعه وقتل من الوجوه الذين معه[٢] حامد بن النمس وموسى بن سياكان والقاضي أبو حصين [240] وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفاً وخرج أهل طرسوس من طريق آخر فسلموا.

ذكر السبب في سلامتهم ومصاب سيف الدولة

كان هذا الرجل أعني سيف الدولة معجباً يحبّ أن يستبدّ برأيه وألّا تتحدث نفسان أنّه عمل برأي غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج معهم لأنّهم علموا أنّ الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولجّ فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب هو بماله وسواده وغلمانه.

---

١. الورّاد: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: الرواد.

٢. وزاد في مد بين المعقوفتين: كانوا، وهو مقدّر مفهوم من سياق الكلام.

حوادث أُخَر

وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابي القُربان أخو عمران بن شاهين وصار إلى واسط بحرمه و[1]عياله وولده لأنّه خاف أخاه ودخل بغداد في ذي القعدة ولقي معزّ الدولة.

وفيها أملك أبو الفضل العبّاس بن الحسين الشيرازي بابنة الوزير أبي محمّد المهلّبي.

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي.

وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه.

وفيها انصرف حاجّ مصر بعد أن قضوا حجّهم فنزلوا في واد بمكة. فلمّا كان بالليل حملهم الوادي وهم لا يشعرون فغرق أهل مصر وكانوا عدداً كثيراً جدّاً وكبسهم الماء مع أمتعتهم إلى البحر. [241]

ودخلت سنة خمسين وثلاثمائة

اشتداد علّة معزّ الدولة

فيها اشتدت علّة معزّ الدولة وامتنع عليه البول فاشتدّ جزعه وقلقه واستدعى الوزير أبا محمّد المهلّبي في الليل والحاجب سبكتكين فأصلح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم.

فلمّا كان آخر الليل بال دماً بشدّة ثمّ تبعه رمل وخفّ ألمه. فلمّا كان من الغد وهو يوم الخميس لخمس خلون من المحرّم سلّم داره وكراعه وغلمانه إلى ابنه عزّ الدولة وفوّض إليه الأمور وجمع المهلّبي الوزير والحاجب

---

١. الواو ساقطة في مط.

سبكتكين على الوصاة به وخرج فى عدّة يسيرة من غلمانه وخاصّته ليمضى إلى الأهواز.

ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور الصلاح والبرء من المرض

كان سبب ذلك استشعاره أنّ بغداد هى التى أحدثت له الأسقام وهى التى أفسدت عليه صحّته وتذكّر أيّام مقامه بالأهواز وهى أيّام شبابه ووفور قوّته وظنّ أنّ الأهواز هى التى كانت تجنب له الصحّة وأنّها توافقه.

فوصّى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى بابنه عزّ الدولة وبالجيش وغيره ممّا كان فى نفسه وانحدر إلى كلواذى.

فلمّا صار بها أشار المهلّبى بأن يقيم ويتأمّل أمره ويفكّر فيه ولا يعجل. فأقام بكلواذى وأخذ [242] فى تقدير بناء قصر ثمّ انتقل إلى الشفيعى وقدّر هناك البناء ثم انتقل منه إلى قطربّل لأنّها أعلى بغداد والهواء والماء هناك أصفى وأعذب وعمل على أن يبنى من حدّ قطربّل إلى باب حرب قصراً.

ثمّ صلح[1] من علّته وأبو محمّد المهلبى فى كل ذلك يعلّله ويصرف رأيه لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التى تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم من أوطانهم ومألفهم ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتى صرف رأيه. ولمّا علم أنّه لم يكن من البناء بدّ و[2]أن يكون متصلاً ببغداد من أعاليها ليكون هواؤه وماؤه أصحّ وأنظف، أنزله فى البستان المعروف بالصيمرى وهو فى أعلى بغداد من الجانب الشرقى بقصر فرج وأخذ فى هدم ما يليه من العقارات وابتياعها من أهلها إلى حدود ربيعة الدور

١. والمثبت فى مد: صاح. وهى قراءة خاطئة للأصل.
٢. كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد وبين المعقوفتين: فيجب. ولا لزوم لهذا التغيير.

وكلّف أبا القاسم ابن مكرم وأبا القاسم ابن جَستان العدلين ابتياع العقارات المجاورة له.

وأصلح ميداناً على طول دجلة وبنى الاصطبلات على نهر مهدى وقلع الأبواب الحديد التى على المدينة: مدينة أبى جعفر المنصور، والتى بالرصافة وعلى شارع نهر المعلّى ونقلها إلى داره ونقض قصور الخلافة بسرّ من رأى وسور الحبس المعروف بالحديد وبنى به داره وبالآجرّ الذى استعمله وطبخه فى الأتاتين[١] ووثق البناء واختيرت له الآلات [243] والجص والنورة وبالغ فى الإحكام وجلب له البناءون الحذّاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الأهواز والموصل وإصبهان وبلدان الجبل وغيرها.

ونزل[٢] لبعض الأساسات ستّاً وثلاثين ذراعاً ورفعها إلى وجه الأرض بالنورة والآجر إلى أن ارتفع فوق الأرض بأذرع.

ولزمه على هذا البناء إلى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم صادر فيها أسبابه سوى ما لم يشتره من الآلات التى ذكرناها والتى لم نذكرها.

وكان مقيماً طول المدة فى بستان الصيمرى ثمّ انتقل إلى الدار التى بناها فى يوم الإثنين لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمسين وثلاثمائة قبل أن يستتمّ بناؤها.

موت أبى بكر أحمد بن كامل صاحب الطبرى

وفيها مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضى ـ رحمه الله ـ ومنه سمعت كتاب التاريخ لأبى جعفر الطبرى وكان صاحب أبى جعفر قد سمع منه شيئاً كثيراً ولكنّى ما سمعت منه عن أبى جعفر غير هذا الكتاب بعضهُ قراءة عليه

١. فى مط: الاتامين. والأتاتين جمع مفردة أتّون: موقد النار للحمّام وغيره.
٢. أى نزل بحفر الأرض.

وبعضهُ إجازة لي وكان ينزل فى شارع عبد الصمد ولى معه اجتماع كثير.

موت قاضى القضاة وما كان من أمر غلامه

وفيها مات قاضى القضاة أبو السائب عُتبة بن عبيد الله وقُبضت أملاكه وصودر محمّد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمّد المهلبي بحضرتى ضرب التلف لما كان بلغه [عنه] من التحرّم[١] والتهتّك فى أيّام [244] أبى السائب ولم يكن به إلّا التشفّى منه فنثر كعابهُ ضرباً.

وكان هذا الرجل عاهراً يتعرّض لحرم الناس وكان مرسوماً بحجبة قاضى القضاة. فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضى القضاة وكان جميلاً مقبول الصورة ويتصنّع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه.

□

وفيها مات أبو نصر إبراهيم بن علىّ بن عيسى كاتب الخليفة فجأة وتقلّد كتبة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا.

قبض معزّ الدولة على الخازن وصاحبي ديوان

وفيها قبض معزّ الدولة على أبى علي الخازن وأبى مخلد وأبى الفرج محمّد بن العبّاس صاحب الديوان وعلى أبى الفضل العبّاس بن الحسين الشيرازى وأبى سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم إلى دار الوزير المهلّبى وسلّمهم إليه.

---

١. فى الأصل ومط: كان يبلغه من التحرّم. والمثبت فى مد: كان بلغه [عنه]

ذكر السبب في ذلك

احتيج إلى النفقة على البناء وكان الوزير المهلبى ـ رحمه الله ـ يقصد أبا عليّ الخازن لشيء كان بلغه عنه قديماً وكذلك أبا مخلد وأبا الفرج فذُكر لمعزّ الدولة أنّه يلتزم[1] مالاً ويلزم كلّ واحد من هؤلاء مما ادّخره واحتجنه ولا يحتاج إليه مالاً يتمّ به أمر البناء.

وكان معزّ الدولة شديد الثقة بأبى عليّ الخازن وكان أبو عليّ كثير التمويه متفاقراً يظهر من الفقر والإقتصاد أكثر مما يحتمل مثله.

فقال معزّ الدولة للوزير أبي محمّد:

ـ «ما تريد من البائس [245] الذى قد قنع منّا بالقوت اليسير؟»

فقال له الوزير:

ـ «أنا أستخرج منه وحده ما يحتاج إليه للبناء.»

وتكلّم على غيره بقريب من ذلك. فسُلّم الجميع إليه. فحضرتُ مناظرة الوزير أبى محمّد للجماعة.

أمّا أبو مخلد فإنّه لما خوطب والتمس منه مال قال:

ـ «إنّى خدمت الأمير معزّ الدولة ولا أملك إلّا طنفسة وكساء ودواة، وأنا اليوم نظير أكبر ملك من ملوك الأطراف مالاً وضياعاً وأثاثاً وغلماناً زُوقة وفرشاً. فإلى أن أعود إلى رأس مالى فأنا على الربح.

فألزمه الوزير خمسمائة ألف وجزّاه الخير وصرفه إلى منزله بعد أن أخذ خطّهُ بها.

فلمّا خرج التفت الوزير إلينا وقال:

---

١. كذا فى الأصل. فى مط ومد: يلزم.

ـ «هذا رجل مقبل كنت أظنّه يتماتن ويخاطبنى بحسب دالّته وموضعه من الأمير فقد اتّقاني بما قال وحمي نفسه وعِرضَهُ وماله وهكذا يصنع الإقبال بصاحبه.»

وخاطب أبا علي الخازن، فسلك سبيله المعروف وزعم أنّه لا يستبيت، ولم يستجب إلى شيء بتّة فنُحي من بين يدى الوزير ووُكّل به في ناحية من الدار.

وأمّا أبو سهل ديزويه فتمارض وشدّ رأسه بخرقة فأحضر كرّازاً[١] ووضعهُ عند رأسه وقال:

ـ «أنا غريب.»

فأضحك الناس من نفسه وأعرض الوزير عنه ذلك اليوم.

وأمّا أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة [246] فأخذ خطّه بثلاثمائة ألف درهم وصرفه إلى منزله. وكذلك فعل بأبى الفرج صاحب الديوان أجراه مجرى أبى الفضل وأخذ خطّه بثلاثمائة ألف.

فلمّا كان بعد أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويُجريه مجرى أبى الفضل ففعل ذلك به.

وبقى أبو عليّ الخازن على لجاجه لا يلتزم شيئاً ثم أنعم بعد التهديد بشيء وراسل أخت معزّ الدولة يستقرض منها ما يشترى به نفسه من مكروه الوزير وظنّ أنّ ذلك يبلغ الأمير فيكون سبب إطلاقه فخاطب معزّ الدولة الوزير فيه وقال:

ـ «ألم أقل لك إنّه لا يملك شيئاً.»

فقال: «أيّها الأمير لا تلتفت إلى مخاريقه وخدائعه ودعنى أستخرج منه

---

١. في مط: كراراً.

مالاً عظيماً.»

فسكت عنه وراسل أبو عليّ الخازن كلّ من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر وإنّ الوزير يقصده.

فلمّا كان في بعض الليالى لسعهُ في ظهره شيء أدماه وتألّم منه وكان موضعه الذى وكّل فيه من دار الوزير موضع غنم فيما تقدّم فظنّه الناس لسع طبّوع وقالوا: ليس شيء من الهوامّ يُخرج بلسعته الدم إلّا هذا الحيوان أو الأفعي.

فاتّفق أن مات أبو عليّ الخازن بعد أيّام قلائل في اعتقاله وقامت على الوزير أبى محمّد المهلبى القيامة وخاف أن يتّهم به، ومع [247] ذلك فلم يكن ارتفع من جهته إلّا شيء نزر قليل. ثم عرف أنّه قد وصل إليه من القروض أضعاف ما أدّاه[1] في مصادرته فتعجّب من جلادته وتوقّع عتب الأمير معزّ الدولة في بابه ووطّن نفسه على مكروه.

ثم رأى أن يبتدئ معزّ الدولة ويستأذنه في البحث والتنقير عن أسبابه وأظهر أنّه على ثقة من تلك الأموال التى وعده بها من جهته حتى سكّن من معزّ الدولة وأخذ إذنه في ذلك ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنّه يرّد عن نفسه في الحال.

ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالاً كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك أن قبض على غلمانه وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فأرهبه وأرغبه وسأله هل يتّهم موضعاً من داره بدفين أو يتّهم مُعامِلاً له بوديعة فقال له:

ـ «إنّ هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئاً ممّا تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد ولست أتّهم أحداً إلّا أنّه طرد غلاماً له مزيّناً من حجرة مرسومة

---

١. في مط: ادّعاه.

به وجلس فى حجرته للخلوة أيّاما.»

فعبر الوزير بنفسه إلى دار أبي على الخازن والتمس حجرة المزيّن وكان غلاماً حبشياً أو نوبياً فجلس فيها فحفر مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه.

وكان فى جملة المدفون آلة شبيهة [248] بميزان، أعني بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه مواضع[1] كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترابيعه شبيهاً بحوض وعليه طبقة مهندماً عليه وهو خال لا شيء فيه. فعجب منه ثم قلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة فحمل تلك الآلة إلى منزله وحمل المال إلى خزانة معزّ الدولة.

فعهدى به يقلّب تلك الآلة ويتأمّل تلك الكتابة وكانت بخطّه خط ردىء، فإذا هى أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الأسماء مفردة لا يقترن بها شيء يستدلّ به على صاحبه.

فما شكّ الوزير أنّ تلك الأسماء أسماء قوم مودَعين وأنّ تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل دهاءه فيه وقال:

ـ «أجد هذا الاسم وهو «علىّ» مكررا فإن استخرجناه أخرج لنا باقى الأسماء.»

فقيل له:

ـ «كم من رجل اسمه علىّ كان يواصل هذا الرجل.»

فقال: «لا تفعلوا فإنّ المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان منهم يصلح للوديعة أقلّ منهم.»

ثم تجاوز ذلك إلى اسم أظنّه «أحمد» فقال:

١. كذا فى الأصل: مواضع السنج. فى مط: مواضع الصنج. والمثبت فى مد: موضع السنج.

ـ «هذا اسم صيرفى فى دار أبى علي وهو فى درب عون فأحضرونيه.»

فأحضر وقال له الوزير:

ـ «قد وجدنا ثبتاً باسمك وبخطّ أبى علىّ بمبلغ ما عندك. فأنفذ الساعة صاحبك ليحضره.»

فاضطرب الرجل وأنكر أن يكون [249] له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثمّ أمر به فحبسه وقيّده بقيد ثقيل فيه ثلاثون منّاً فتفسّخ فيه الرجل ودخل إليه المستخرج وهدّده فاعترف.

وكان باسمه سبعة أنوكي[1] ولم يكن فينا أحد يعرف معنى «انوكى».

فقال الوزير:

ـ «فطالبوه بسبع بدر دنانير استظهاراً.»

ففُعل ذلك فوافق تخمينه صحّة الأمر وأدّى خمسين ألف دينار.

ثم لم يزل يتتبع تلك الأسماء وقد صحت له الرموز فاستخرج نحو مائتى ألف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه.

وقامت حرمة الوزير أبى محمّد عند معزّ الدولة وانبسط لسانه وجاهه وصار مقبول القول عنده بعد أن ظنّ أنّ الذى فاته من خازنه شيء لا عوض له منه أمانة وثقة وديناً.

وتقلّد مكان أبى علىّ الخازن أبو محمّد علىّ بن العباس بن فسانجس للنصف من شعبان وأُقطع إقطاع أبى علىّ.

وفيها تقلد القاضي أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب القضاء فى جانبى بغداد ومدينة أبى جعفر المنصور وقضاء القضاة وخُلع عليه من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من أن يصل إليه.

---

١. فى مط: ابوكى.

وركب بالخلع من دار معزّ الدولة[١] وبين يديه الدبادب والكرك[٢] والبوقات وفى موكبه الغلمان الاتراك والجيش.[250] وكان توصّل إلى تقلد ذلك بأن خدم أرسلان الجامدار فتى معزّ الدولة ووافقه على أن يحمل إلى خزانة الأمير فى كل سنة مائتى ألف درهم وكتب عليه بها كتاب وجعلت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة أن يصل إليه هذا القاضى فى يوم موكب ولا غيره.

وكان فعل القاضى ما فعله من سماجته وقبح ذكره سببا لأن ضُمّنت الحِسبة ببغداد وضمّنت الشرطة بعشرين ألف درهم فى كل شهر من شهور الأهلّة وهذا القاضى مع قبح فعله قبيح الصورة مشوّهها.

وفيها وافى ابو القاسم أخو عمران مستأمنا.

وفيها ورد الخبر بأنّ عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطّر به فرسه فمات وافتتنت خراسان ونُصب مكانه أخ له يسمّى منصوراً.

وفيها حُمل إلى إبراهيم السلاّر من دار السلطان خلع، وعقد له على آذربيجان.

ودخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

وفيها نقل الوزير أبو محمّد الحسن بن محمّد المهلبى سنة خمسين الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

وفيها دخل الأمير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها وشمكير إلى جرجان واستأمن من أصحابه إلى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل.

---

١. وفى الأصل : الخليفة. والصواب فى تاريخ الاسلام. (من حواشى مد)

٢. كذا فى الأصل: الكرك. والمثبت فى مد: الدرك (قراءة خاطئة للأصل). فى مط: الكوك.

ورود الروم عين زَربة

وفيها ورد الروم عين زربة[١] فى سفح جبل [251] والجبل مطل عليها. فلمّا جاءه الدمستق فى هذا الجمع العظيم أنفذ قطعة من جيشه إلى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل. فلمّا رأى أهل عين زربة أنّ الجبل قد مُلك عليهم وأنّ جيشا آخر قد ورد إلى باب المدينة وأنّ مع الدمستق دبّابات كثيرة وأنّه قد أخذ فى نقب السور، طلبوا منه الأمان، فآمنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها.

فوجد خيله الذين فى الجبل قد نزلوا إلى المدينة فندم على إعطائهم الأمان فنادى فى البلد من أول الليل بأن يخرج جميع أهله إلى المسجد الجامع وأنّ من تأخّر فى منزله قُتل. فخرج من أمكنه الخروج.

فلمّا أصبح أنفذ رجّالته فى المدينة وكانوا ستين ألف رجل وكل من وجدوه في منزله قتلوه. فقتلوا عالماً من الرجال والنساء والصبيان والأطفال وأمر بجمع ما فى البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان فى جملته أربعون ألف رمح وقُطع ما فى البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة.

ونادى فيمن حصل فى المسجد الجامع من الناس بأن يخرجوا عن البلد إلى حيث شاؤوا وأنّ من أمسى ولم يخرج قتل.

فخرج الناس مبادرين وتزاحموا في الأبواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ومرّوا على وجوههم [252] حفاة عراة لا يدرون إلى أين يتوجّهون، فماتوا فى الطرقات ومن وُجد فى المدينة آخر النهار قُتل، وأخذ كل ما خلّفه الناس من أمتعتهم وأموالهم وهدم السوران اللذان

---

١. وزاد فى مد بين المعقوفتين: فى مائة وستّين ألفاً وهى..

على المدينة وهدمت المنازل.

وبقي الدمستق مقيماً في بلدان الاسلام أحداً وعشر[١] يوماً وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصناً منها بالسيف ومنها بالأمان.

فكان في بعض الحصون التي فتحت بالأمان حصن أمر أهله بالخروج منه فخرجوا فتعرّض بعض الأرمن للنساء اللواتي خرجن منه، فلحق رجالهن غيرة عليهن فجرّدوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق منهم وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل، وقتل النساء والصبيان ولم يترك إلّا جارية حدثة أو من يصلح أن يُسترقّ.

فلمّا أدركه الصوم انصرف على أن يعود بعد الفطر وزعم أنّه يخلّف جيشه بقيسارية.

وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فأوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة وأنفذ إليه رسلاً فلمّا وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحه واعتمّ وخرج إلى روشن داره وكانت داره، على شاطئ نهر، فرمى بنفسه من داره إلى [253] النهر فغرّقها.

حوادث عدّة

وفيها دخل ركن الدولة جرجان وذلك في المحرم.

□

وفيها ورد الخبر بأنّ صاحب خراسان أنفذ جيشاً كثيفاً إلى غلام له شذّ عنه يقال له: الفتكين، وأنّ الفتكين أوقع بالجيش وهزمه واستأسر وجوه

---

١. في الأصل: أحد وعشرون. وهو سهو، وهو المثبت في مد.

القوّاد وفيهم خال صاحب خراسان.

وفيها لقّب الخليفة الأمير أبا شجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب.

وفيها أسر الروم أبا فراس ابن أبى العلاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها.

ورود الدُّمُسْتُق حلب

وفيها ورد الخبر بأنّ الدمستق ورد إلى حلب وملكها وكان الدمستق وافاها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لأنّها كانت كبسةً.

فلمّا علم سيف الدولة به أعجله الأمر فخرج نحوه وحاربه قليلاً فقتل أكثر من معه وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابنٌ للحسين بن حمدان. فانهزم سيف الدولة فى نفر يسير وظفر الدمستق بداره وهى خارج مدينة حلب.

فوجد لسيف الدولة من الورق[1] ثلاثمائة وتسعون بدرة فأخذها ووجد له ألف وأربعمائة بغل فتسلّمها ووجد له من خزائن السلاح ما لا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الربض.

وقاتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلمة [254] من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطمع الروم فى تلك الثلمة فأكبّوا عليها ودفعهم أهل البلد عنها.

فلمّا جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا

---

١. فى مط: المورق.

وعلوا عليها وكبّروا وبعد الروم قليلاً إلى جبل هناك يعرف بجبل جوشن.

وذهب رجالة الشرطة بحلب إلى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس:

ـ «الحقوا بمنازلكم فإنّها قد نهبت»

فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا إلى منازلهم مبادرين ليدافعوا عنها.

فلمّا رأى الروم السور خالياً وطالت المدة وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب فنزلوا وفتحوا الأبواب ودخلوا فوضعوا السيف في الناس فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا السيف إلى أن كلّوا وضجروا.

وكان في البلد من أسارى الروم ألف ومائتا رجل. فتخلصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف الدولة قد أعدّ من الروم سبعمائة رجل ليفادي بهم فأخذهم الدمستُق وسبى من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر ألف صبي وصبية، وأخذ من خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحد ولا يوصف كثرة.

فلمّا لم يبق معه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد [255] إلى الحِباب[١] التي يحرز فيها الزيت، فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض وأخرب المساجد وأقام فيها تسعة أيام.

وكان بذل لأهل البلد قبل أن يفتحه الأمان على أن يسلّموا إليه ثلاثة آلاف صبيّ وصبية ويحملوا إليه مالاً وأمتعة حدّها[٢] وينصرف عنهم. فلم يستجيبوا له إلى ذلك.

وذُكر أنّ عدّة رجاله كانت مائتي ألف رجل وأنّ عدة أصحاب الجواشن

---

١. مفردة الحُبّ: الجرّة الكبيرة أو الخابية.

٢. في مط: يأخذها.

فيهم ثلاثون ألف رجل وفيهم ثلاثون ألف صانع للهدم ولتطريق الثلج أربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره بالليل وخركاهات عليها لبود مغربية فمن صعد قلعة حلب تخلّص بحشاشته.

ما فعله ابن أخت الملك

فلمّا كان بعد تسعة أيام أراد الدمستق أن ينصرف بما فاز به وحصل فى يده فقال له ابن أُخت الملك:

ـ «هذا بلد قد حصل فى أيدينا وليس بازائنا من يدفعنا عنه ومن كان فيه من العلوية وبنى هاشم والوزراء والكتّاب ومن لهم أموال مقيمون فى القلعة فبأى سبب تنصرف عنه قبل فتح القلعة؟»

فقال له الدمستق:

ـ «قد وصلنا إلى ما لم نكن نقدّره ولا يقدّرها الملك وقتلنا وسبينا وأسرنا وأحرقنا وهدمنا وخلّصنا أسراءنا وأخذنا من أردنا أن نفادى به بلا فدية وغنمنا غنيمة ما سُمع بمثلها [256] ومن حصل فى القلعة فهم عُراة وإذا نزلوا هلكوا لأنّهم لا يجدون قوتاً والرأى أن تنصرف عنهم فإنّ طلب النهايات والغايات ردىء.»

فأقام ابن أخت الملك على أمره ولجّ[1] وقال:

ـ «لا أنصرف أو أفتح القلعة.»

فلمّا لجّ قال له الدمستق:

ـ «فانزل عليها وحاصرها، فإنّ الصورة والضرورة تقود من فيها إلى فتحها.»

---

١. كذا فى مط. ما فى الأصل: لحّ. (بالإهمال فى كلا الموضعين.

فقال: «لا أفتحها إلّا بالسيف.»

فقال له:

ـ «شأنك وما تريدُ، فإنّى أنا مقيم فى عسكرى على باب المدينة.»

فلمّا كان من غد ترجّل وأخذ سيفاً ودَرقة وصعد راجلاً والمسلك إلى باب القلعة ضيّق لا يحمل أن يسلكه أكثر من واحد فصعد وتبعه أصحابه واحداً واحداً.

وقد كان حصل في القلعة الجماعة من الديلم فتركوه حتى إذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجراً فوقع عليه وأنقلب ثمّ وثب وهو مدوّخ، فرماهُ واحد من الديلم بخِشْتٍ[1] فأنفذ صدره وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا إلى الدمستق.

فلمّا رآه مقتولا أحضر من كان أسر من المسلمين فضرب أعناقهم بأجمعهم.

وسار إلى بلد الروم بما معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التى حولها وقال لأهلها:

ـ «هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا فى العمارة فإنّا بعد قليل نعود إليكم. [257]

ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة

وفيها ورد الخبر بأنّ قوماً من رجّالة الأرمن صاروا إلى الرّها فاستاقوا خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا نفراً من المسلمين وانصرفوا موفورين.

---

١. كذا في الأصل: بخِشْتٍ. ما فى مط، مهمل فى الأخير. والمثبت فى مد: بخَشَبٍ.

وفيها قُلّد القاضى أبو بشر عمر بن أكثم القضاء بمدينة السلام على أن يتولّى ذلك بلا رزق وأعفي مما كان يحمله أبو العباس ابن أبى الشوارب وخلع عليه وأمر بألّا يمضى شيئاً من أحكام وسجلّات ابن أبي الشوارب ثم قلّد قضاء القضاة.

خروج أبي محمد المهلّبى لفتح عُمان
وميتته العجيبة

وفيها[1] خرج الوزير أبو محمّد المهلبى ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة فانحدر وبلغ إلى هلتى[2] من فم البحر واعتلّ.

فكنت أسمع من طبيبه فيروز بأنّه مسموم لا محالة وكنت أسأله عمّن سمّه فلا يصرح باسمه إلى أن كان بعد ذلك بمدة وانقضت تلك الأيام فذاكرته بذلك فقال:

ـ «كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ داره والمستولى على خاصّ أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعّم، إلى حرّ شديد[3] وشقاء كثير وتوجّه إلى عمان فواطأ الخدم على سمّه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنّوا أنّهم يسلمون ويعودون [258] إلى نعمهم.»

وكان فيروز الطبيب لما أحسّ بذلك استأذن فى العود إلى بغداد وزعم أنّه لا يركب البحر فأرغب فى مال كثير فامتنع ثم أرهب بالحبس فصبر وقال:

---

١. في الأصل ومط: وفيها. والمثبت في مد: ومنها.
٢. وفى معجم البلدان لياقوت الحموي ٤. ٩٧٩: هلتا. وما فى مط: مهمل.
٣. فى مط: إلى خرشيد، بدل «إلى حرّ شديد».

لا أخرج البتة. فأذن له وانصرف.

فلمّا كان في النصف من شعبان ثقل ورُدّ إلى الأبلّه زائل العقل مسبوتاً فيئس منه وعملت له آلة شبه المحفّة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام فيها ورُدّ على طريق البرّ. فلمّا كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزاوطا.

وكان معزّ الدولة لما سمع بخبر علّته أنفذ أبا علي حمولى إليه لتعرّف خبره وتقدم إليه إن وصل إليه وقد توفّى أن يحتاط على تركته وأسبابه. ففعل ذلك وقبض على كتّابه وأسبابه وحمل جميعه إلى الحضرة.

وورد تابوته مدينة السلام يوم الأربعاء لخمس خلون من شهر رمضان وقبض على عياله وولده ومن دخل يوماً إليه مثلا وصودروا حتي المكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله إلّا على عدوّ مكاشف واستفظع الناس ذلك واستقبحوه لمعزّ الدولة.

وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن الكتاب الكرم والفضل رحمه الله. [259]

ولما مات الوزير أبو محمّد المهلبي رحمه الله نظر أبو الفضل وأبو الفرج في الأمور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة.

دخول الطرسوسيين وغلام سيف الدولة بلد الروم

وفيها ورد الخبر بأنّ الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم إلى بلد الروم ودخل نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فغنم أهل طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لأنّه كان عليلاً من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين فلمّا خرج نجا والطرسوسيون عاد سيف الدولة إلى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها أنّه قد تلف.

وجاء أبو الحسين ابن دِنحا إلى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلّم عليه ويهنّئه بعيد الفطر. وكان هبة الله راكباً فاستجرّ أبا الحسين ابن دنحا الحديثُ إلى إزاء صخر ثم رماه بخِشتٍ[1] كان في يده فوقع في لبّته ومضى يركض يريد الهرب فلحقه هبة الله وإنّما فعل ذلك لغيرة لحقته من تعرض ابن دنحا لغلام من غلمانه.

وبلغ هبة الله أنّ عمه لم يمت وأنّه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما فعله بابن دنحا فجدّ في السير إلى حرّان.

وابن دنحا هذا هو الذى كان استأمن إلى معزّ الدولة ثم أنصرف عنه إلى سيف الدولة لأنّه لم يصل [260] ببغداد إلى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود إلى ناصر الدولة فساقه الحَين إلى ما ذكرت.

فتبع نجا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به إلى سيف الدولة يستنجده لينجده بالرجال ويقيم بحرّان ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حرّان بأن يحلفوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسلماً لمن سالمه وظنّ أهل حرّان أنّ الذى خبرهم به صحيح، فحلفوا له على ما أراد واستثنوا في يمينهم: إلّا أن يكون الذى يحاربه عمّه سيف الدولة، فإنّهم لا يحاربونه، ورضي بذلك منهم.

فلمّا كان بعد أيام وافى نما أخو نجا غلام سيف الدولة فأغلق هبة الله وأهل حران أبواب حرّان في وجوههم وعلم نما أنّه لا يمكنه فيهم حيلة فأظهر أنّه لم يرد حرّان وإنّما أراد قصد ارزن وميّافارقين. فانصرف عن حرّان إليها وكتب إلى أخيه نجا [يعرفه ما جرى ويغريه بأهل حران فسار نجا إلى حران فلمّا قرب منها هرب هبة الله إلى أبيه وأسلم أهل حران فنزل

---

١. كذا في الأصل ومط: بخِشتٍ. والمثبت في مد: بخشب. وليس صواباً.

نجا][١] خارج حران.

وخرج إليه وجوه أهلها وأشرافها وهم سبعون شيخاً ليسلّموا عليه فوكّل بهم وتهددهم بالقتل وطالبهم عن البلد بألف ألف درهم أرش ما عملوه من غلق الأبواب في وجه أخيه ولم يسمع لهم عذراً وجرت [261] لهم معه خطوب إلى أن قنع منهم بثلاثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم ووجّه معهم بالفرسان والرجالة وألزمهم الأجعال[٢] الثقيلة ورسم أن يستخرج له المال في يوم واحد وبعد الجهد إلى أن يكون المدة خمسة أيّام وقسط المال على أهل البلد وأدخل فيه الملّيّ والذّميّ والسوقة والنساء الأرامل وغيرهم ووضع عليهم العصيّ والضرب في دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم.

فأخرجوا أمتعتهم وباعوا ما يساوى ديناراً بدرهم ولم يجدوا من يشترى لأنّ أهل البلد كلّهم كانوا يبيعون. فاشترى أصحاب نجا الأمتعة والحليّ بحكمهم وبما أرادوا.

ولزم أهل البلد من الأجعال أمر عظيم وخرب بذلك البلد وافتقر أهله وأنصرف عنهم نجا إلى ميّافارقين بعد أن استوفى جميع المال وترك البلد شاغراً بلا سلطان فتسلط عليهم العيّارون.

وأظهر نجا الخلاف على مولاه سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع فى هذه السنة أحد بديار مُضَر كبير شيء للجور الذي كانوا فيه.

ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

ذكر الغازى الخراساني

وفيها ورد الخبر من حرّان بأنّه اجتاز بهم الغازى الوارد من خراسان في

١. ما بين المعقوفتين زيادة إيضاحية من مد.

٢. كذا في الأصل ومط: الأجمال.

نحو خمسة [262] آلاف رجل ماضين إلى حلب إلى سيف الدولة.

وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق آذربيجان ثم إلى أرمينية ثم إلى ميافارقين ثم إلى حرّان ثم إلى حلب ثم ورد بأنّ هذا الغازى اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة.

وكان ببلاد أرمينية وملازجرد رجل يعرف بأبى الورد قد استولى عليها، فطمع نجا فيه ولم يلتفت إلى حديث الغزو ولا إلى الخراسانى وقصد أبا الورد فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل فى يده من أمواله ما يكثر قدره فأقام فى القلعة وحصل فى يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش.

ومضى الغازى الخراسانى إلى سيف الدولة فلمّا اجتمع معه نفرَ إلى المصيصة وورد الخبر بنزول الروم على المصيصة فى جيش ضخم وفيه الدمستق وأنّه أقام عليها سبعة أيام ونقب فى سورها نيفاً وستين نقباً ولم يصل إليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لما ضاقت به المير وغلا السعر وبعد أن أقام فى بلاد الإسلام خمسة عشر يوماً.

وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عدداً قليلاً وكذلك أهل طرسوس.

ولما مضى سيف الدولة [263] والخراسانية إلى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراسانى لشدة الغلاء فى الثغور وبحلب ورجع أكثرهم إلى بغداد وعادوا منها الى خراسان.

وقبل انصراف الدمستق عن الضّبعة[1] وجّه إلى أهلها بأنّى منصرف عنكم لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوفة وأنا عائد إليكم بعد

---

١. الضبعة: كذا فى الأصل. وما فى مط مهمل. وغيّره فى مد إلى «المصيصة» والضّبعة يمكن أن تكون بمعنى الضّبع: الناحية.

هذا الوقت فمن أراد منكم الإنتقال، الى بلد آخر قبل رجوعى فلينتقل ومن وجدته بعد عودى قتلته.

الأكراد وقافلة الحاجّ

وفيها اجتمع الأكراد على قافلة الحاجّ الصادرة إلى خراسان فملكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج إلى حلوان.

اشتداد الغلاء بأنطاكية

وورد الخبر بأنّ الغلاء اشتدّ بأنطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر أحد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور إلى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هرباً من الغلاء فإنّ الدمستق قد جمع الجموع للخروج إلى بلدان الاسلام وإنّ السلطان بحرّان مقيم بعد الذى جرى على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الأمتعة عليهم والجسور فى معاملتهم وإنّ الغلاء بها وبالرقة شديد جدّاً.

الهجريّون يستهدون الحديد من سيف الدولة

وفيها استهدى الهجريون من سيف الدولة [264] حديداً فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهى من حديد وسدّ مكانها وأخذ حديداً بديار مضر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا إليه: إنّا قد استغنينا عن الحديد.

فأخذ القاضى أبو حصين الأبواب فكسرها وعمل منها أبواباً لداره. ثم كتب الهجريون يلتمسون الحديد فأخذ الأبواب التى عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله فى الفرات إلى هيت ثم منها إليهم فى البرّية.

ورود رسالة ناصر الدولة

وفيها ورد أبو الحسين الباهلي برسالة ناصر الدولة ليقرّر ما بينه وبين معزّ الدولة فتقرّر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ألف ألف درهم يقدّم منها ثلاثمائة ألف درهم وعن سنتى ثلاث وأربع ألفى ألف درهم يقدّم منها مائتى ألف درهم والباقى فى نجوم.

ولما تقرر الأمر بذل ناصر الدولة زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبى تغلب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معزّ الدولة إلى ذلك.

فلمّا كان مستهلّ جمادى الآخرة وردت الخمسمائة الألف الدرهم التى وقع الإتفاق عليها مع الباهلى وقبضت وصحّت فى الخزانة.

وأظهر معزّ الدولة الإصعاد إلى الموصل وأخذ يستعدّ له فسأله الباهلى التوقف [265] عن المسير إلى أن يمضى برسالة إلى ناصر الدولة ويعود. فقيل له: تمضى وتلتمس ردّ ما لزم من النفقة على التأهب للسفر.

فمضى وأخرج معزّ الدولة مضاربه إلى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القوّاد على المقدمة إلى الموصل وتبعه معزّ الدولة.

ومدّ الجسر الذى ببغداد إلى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش إلى الجانب الغربى وسار على الظهر إلى الموصل.

وكان الباهلى قد عاد بجواب الرسالة وبذل أن يحمل ثلاثمائة ألف درهم عوضاً عمّا لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلى من تكريت وتمم معزّ الدولة المسير.

ولما بلغ ناصر الدولة أن معزّ الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على لقائه رحل من الموصل إلى نصيبين ورحل معزّ الدولة من الموصل إلى بلد فى آخر النهار وخلّف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل

الغلات ويستخرج الأموال وخلّف بكتوزون وسبكتكين العجمي ووهرى وجماعة من الأتراك والديلم لضبط البلد.

ولمّا بلغ ناصر الدولة مسير معزّ الدولة نحوه سار من نصيبين إلى ميافارقين ورحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب إلى نصيبين وعرف معزّ الدولة أن العدو قد رحل لمّا قرب منه [266] وأنّه لا يدرى أين قصد فرحل معزّ الدولة للوقت من نصيبين يريد الموصل خوفاً من مخالفة ناصر الدولة إليها وخلف الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين.

وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة واخوته إلى الموصل ووقع بينهم وبين من خلّفهم معزّ الدولة بها حرب شديدة وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا إلى الموصل وأحرقوا زيازب معزّ الدولة التى كانت ببلد[١] وزواريق العسكر التى كانت بالموصل وبلغ ذلك معزّ الدولة فسكنت نفسه إلى ظهور أصحابه بالموصل على بنى حمدان.

فلمّا كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا ببكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معزّ الدولة الذى كان خلفه بالموصل واستأمن الديلم إلى ناصر الدولة فأخذ تراسهم وأحرقها ووهب لكل واحد منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسر بكتوزون وسبكتكين وسائر الأتراك ووهرى وصاعداً وأحمد الطويل غلام موسى فياذه وكان قد أصعد من الأهواز ليتظلم إلى معزّ الدولة من وضيعة لحقته في ضمان كان فى يده.

وأخذ بنو حمدان ما كان لمعزّ الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتى ألف درهم كانت [حملت إليه من بغداد ومائتى ألف درهم كانت][٢] للحاجب وحمل جميع ذلك مع الأسارى [267] إلى القلعة.

---

١. كذا في الأصل: ببلّد. في مط: قبله.

٢. تكملة من مد دون إسناد.

وبلغ ناصر الدولة وأولاده مسير معزّ الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا إلى سنجار وصار معزّ الدولة إلى برقعيد ولم يكن عنده ما جرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقعيد أنّ ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعدل من برقعيد إلى الجزيرة.

فبلغه إقبال حمدان بن ناصر الدولة إليه فوقف له فإذا هو مستأمن إليه مع علوان القشيرى وسار معزّ الدولة إلى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار إلى الموصل وبلغه في طريقه ما جرى على أصحابه بالموصل فكتب إلى الحاجب وهو بنصيبين أن يصير إلى بلد وعبر هو إلى بلد وأنفذ سواده إلى تكريت.

ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبى العلاء ابن حمدان مستأمناً وسار يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوى النصيبيني برسالة ناصر الدولة يلتمس الصلح فلم يجبه.

وكان أبو تغلب قد صار إلى الموصل ونزل فى الدير الأعلى ولم يهج فى أيام مقامه أسباب معزّ الدولة ولا عرض لهم وأظهر جميلاً.

ومضى حمدان إلى الرحبة وكان بها الفتكين فحاربه هناك وأقبل معزّ الدولة إلى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الأعلى وجاء معزّ الدولة فنزل مكانه واستأمن [268] إليه هزارمرد الصغير من غلمان أبي تغلب وجاء المسيّب والمهيّأ بكشمرد أسيراً فخُلع على المسيب والمهيّأ وطُوّقا وسُوّرا.

وراسل أبو تغلب معزّ الدولة بصاحبه أبي الحسن عليّ بن عمرو بن ميمون وجرت له خطوب استقرّت على أن ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة من الموصل وديار ربيعة والرحبة على أن يحمل عن بقايا سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، ستمائة ألف درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة سبع وخمسين لكل سنة ستة آلاف ألف ومائتى ألف درهم وأن يعجّل حمل

الستمائة الالف مع الأسارى الذين في يده إلى الحديثة إذا حصل الأمير معزّ الدولة بها وضمن أن يرد من جملة ما حصل في أيديهم من المال والأمتعة التي أخذت في وقت الإيقاع ببكتوزون ما حصل في يده بقسطه ووعد بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك وأشهد معزّ الدولة على نفسه القوّاد والعدول وقاضي البلد بإمضاء ذلك وكتب إلى الفتكين بالإنصراف من الرحبة وكتب عليّ بن عمرو خطه بضمان ما تقرّر عليه الأمر ورهن نفسه على إمضاء أبي تغلب ذلك.

وسار معزّ الدولة إلى الحديثة وورد صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون [269] وسبكتكين العجمي وسار إلى بغداد.

خروج الداعي الحسني من بغداد سرّاً إلى بلد الديلم

وفيها ورد الخبر بالموصل بانّ أبا عبد الله محمّد بن الحسين المعروف بابن الداعي الحسني خرج من بغداد سرّاً إلى بلد الديلم وخلّف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين.

سيف الدولة يصير إلى ميّافارقين

وصار سيف الدولة إلى ميّافارقين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت حصلت له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى [الروم] وأخ لنجا.

وأقام الدمستق على المصيصة وهادى سيف الدولة ببغال ودوابّ وثياب وديباج روميّة وصياغات ذهب وقابله سيف الدولة بهدايا. فصار سبباً لمقام الدمستق في بلدان الإسلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحد ولا يمكنه فتح المصيصة وانصرف عنها لأنّ البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الوباء فاضطر

إلى الانصراف بعد أن حُمل إليه مال من المصيصة.

ظهور علويّ مبرقع بالكوفة

وفيها ظهر بالكوفة رجل ذكر أنّه علويٌّ وكان مبرقعا فوقعت بينه وبين أبي الحسن محمّد بن عمر العلوي وقائع. فلمّا دخل معزّ الدولة هرب المبرقع.

وورد الخبر بأنّ نجا صار إلى مولاه سيف الدولة فأعاده إلى مرتبته.

[270]

ودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

الفتك على نجا بالسيوف

وفيها فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فأمرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان أن يُجرّ برجل نجا[1] ففعل ذلك إلى أن أخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصبّ إليه المياه والأقذار وبقي فيه إلى الغد وقت العصر ثم أخرج وكُفّن ودُفن.

وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو إلى الخليفة أوصلهُ معزّ الدولة فقلّده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء.

وورد الخبر بأنّ الأتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم

---

١. ورد الإسم هنا «نجاء» ممدوداً.

فامتنعوا من نُصرتهم وقالوا:

ـ «أنتم يهود فإن أحببتم أن نعاونكم فأسلموا».

فأسلموا إلّا ملكهم.

وصول ابن الداعى بلد الديلم وما كان بعده

وورد الخبر بأنّ أبا عبد الله ابن الداعى لمّا وصل إلى بلد الديلم اجتمع إليه منهم عشرة آلاف رجل وأنّ ابن الناصر العلوى هرب من بين يديه. ثمّ أوقع بقائد كبير من قوّاد وشمكير وأنّه تلقّب بالمهدى لدين الله.

بين الروم وأهل طرسوس

وورد الخبر بأنّ نقفور ملك الروم بنى بقيساريّة مدينة [271] وهى تقرب من [بلاد] الاسلام فأقام بها ونقل إليها عياله ليقرب عليه ما يريد من بلدان الاسلام وأنّ أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا إليه رسولاً يسألونه أن يقبل منهم إتاوة يؤدونها إليه على أن يُنفذ اليهم صاحبا له ليقيم فيهم. فعمل على إجابتهم إلى ذلك.

فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جدّاً وأنّه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وأنّه لم تبق أقوات وأنّه قد آل الأمر بأهل طرسوس إلى أكل الكلاب الميّتة[1] وأنّه يخرج منها فى كل يوم ثلاثمائة جنازة.

فانصرف رأيه عمّا كان عمل عليه وأحضر رسولهم وضرب له مثلاً وقال:

ـ «مثلكم مثل الحية فى الشتاء إذا لحقها البرد وذبلت وضعفت حتى يقدّر من رآها أنّها قد ماتت فإن أخذها انسان وأحسن إليها وأدفأها انتعشت

---

١. الميّتة: بتشديد الياء. فلا لزوم لزيادة واو العطف، كما نراه فى مد.

ولدغته وأنتم إنّما بخعتم بالطاعة لما ضعفتم وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذّيتُ بكم.»

وأخذ الكتاب الذى أورده فأحرقه على رأسه فاحترقت لحيته. وقال:

ـ «امض إليهم وعرّفهم أنّه ليس عندي إلّا السيف.»

فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على أن ينفذ [272] جيشاً إلى الشام وجيشاً إلى الثغور وجيشاً إلى ميّافارقين وكان سيف الدولة بميّافارقين يخلّص[١] البطارقةَ الذين فى يد نجا وكان بميافارقين نحو ألف كُرّ حنطة فمزّقها وفرّقها لئلا تأخذها الروم.

ثمّ إنّ ملك الروم أنفذ إلى المَصيصة قائداً من قوّاده فأقام عليها يحارب أهلها. ثمّ جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فى أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة. ثمّ رفع السيف وأمر أن يُساق من بقى فى المدينة من الرجال والنساء والصبيان إلى بلد الروم وكانوا نحو مائتى ألف انسان. ثم سار عنها إلى طرسوس فحاصرها فأذعن أهلها بالطاعة فأعطاهم الملك الأمان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقى أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم إلى طعامه فأكلوا معه وأمرهم بالإنتقال عنها وأن يحمل كلّ واحد من ماله وسلاحه ما أطاق حمله ويُخلّف الباقى ففعلوا وساروا وسيّر معهم ثلاثة نفر من البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الأرمن فأوقع الملك بهم وعاقبهم وقطع آنافهم لمخالفتهم أمرهُ.

ولم يزل طول طريقهم يتعرّف أخبارهم بكتُبه ورسله [273] إلى أن عرف سلامتهم وحصولهم بأنطاكية وحمل بعضهم فى البحر فى شليذيّات[٢] له إلى

١. كذا فى الأصل: يُخلّص البطارقةَ. فى مد: تخلص البطارقة والمثبت في مد: [قد] تخلّص البطارقة. بزيادة «قد».

٢. كذا في الأصل: شليذيّات. فى مط: شذاءات. والمثبت فى مد: شلنديّات.

حيث أرادوا.

ثمّ جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلاً لدوابّه ونقل ما كان فيه من قناديل إلى بلده وأحرق المنبر وقلّد البلد بطريقاً من بطارقته في خمسة آلاف رجل وقلّد المصيصة بطريقاً آخر وتقدّم بعمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة إليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز بها رطلين بدانق فتراجع أهلها إليها ودخلوا في طاعة الملك وتنصّر بعضهم وعمل الملك على أن يجعلها حصناً ومعقلاً له لحصانتها وليقرُب عليه ما يريد من بلدان الاسلام.

معزّ الدولة وأمير عُمان والهجريّون القرامطة

وكان معزّ الدولة قد أنفذ كُرْدَك النقيب إلى عمان فلقي أميرها نافعاً ووافقه[1] على الدخول في طاعة الأمير معزّ الدولة وإقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدراهم واستجاب نافع إلى ذلك وكتب اسم معزّ الدولة على الدراهم والدنانير.

فلمّا انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجريين القرامطة وسلّموا البلد إليهم فهم يقيمون فيه [274] نهارهم ويروحون إلى معسكرهم في آخر النهار وكتبوا إلى أصحابهم بهَجَر يعرّفونهم الخبر ليرد عليهم الأمر بما يعملون به.

عود ملك الرّوم إلى قسطنطينية

وورد الخبر بأنّ نقفور ملك الروم عاد إلى قسطنطينية وأنّ الدُمُسْتُق وهو

١. كذا في الأصل. والمثبت في مد: ووافقه. في مط أيضاً: وافقه. خلافاً للأصل.

ابن الشمشقيق[١] كتب إليه يستأذنه فى قصد سيف الدولة إلى ميّافارقين. فكتب إليه بالتوقف إلى أن يلحق به بقسطنطينية فمضى إليه. وكان سيف الدولة قلّد رشيقاً النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلمّا حصل سيف الدولة بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس فى جملة من سلّمها إلى ملك الروم خرج إلى أنطاكية.

فالتصق به انسان صغير القدر يعرف بابن الأهوازى كان يتضمن الأرجاء بأنطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فأغوى رشيقاً وسلّم إليه ما اجتمع عنده من المال وأطمعه فى أنّ سيف الدولة لا يعود إلى الشام وخرج معه إلى حلب.

وجرت بينه وبين قرغَوَيه[٢] حروب كثيرة وصعد قرغويه إلى قلعة حلب فتحصن فيها فأنفذ سيف الدولة خادماً له أسود ويعرف ببشارة ليكون مع قرغويه فى القلعة فنزل هذا الخادم فى بعض الأيام وانضم إليه قطعة من الأعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والغلمان. فلمّا [275] أحس بهم رشيق انهزم وسقط عن دابته فنزل إليه رجل من الأعراب من بنى معاوية عرفه فحزّ رأسه وصار به إلى قرغُويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كلّ ما لهم فى ظاهر حلب وهرب ابن الأهوازى إلى أنطاكية وكان أخوه مقيماً بها.

فنصب رجلاً من الديلم اسمه دِزْبَر وسمّاه: الأمير. واعتضد برجل علويّ أفطسي ووعده العلوى إن تمّ له الأمر أن يجعله الرئيس والمدبّر وتسمّى بالأستاذ. فظلم الناس بأنطاكية وجمع الأموال وقصده قرغُويه إلى انطاكية وجرت بينهما وقعة فكانت على الأهوازى أكثر الليل وقطعة من النهار ثم

---

١. فى مط: الشمسقيق. كما هو المثبت في مد.

٢. كذا فى الأصل: قرغَوَيه، أو: قرغُويه (حسب المواضع). فى مد: قرغويه. فى مط: قرغونه.

صارت له على قرغُويه لأنّ أهل البلد عاونوه.

وقد كان سيف الدولة كتب إلى قرغُويَه ألّا يخرج إلى أنطاكية فانهزم قرغُويه وعاد إلى حلب وانصرف سيف الدولة من الفداء ودخل حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دِزْبَر وأسر دِزْبَر وابن الأهوازى فى ضيعة فى طريق بالس يعرف بتسعين، فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر ومضى ابن الأهوازى فطرح نفسه فى بيوت بنى كلاب فوجّه إليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين ألف درهم فسلّموه إليه [276] وقتل دزبر واعتقل ابن الأهوازى مدّة.

ثمّ خرج ملك الروم إلى الشام واشتغل سيف الدولة به وأمر بإحضار ابن الأهوازى فقتل بحضرته.

معزّ الدولة يقبل المال ويردّ الثياب

وفى هذه السنة أنفذ أبو تغلب ابن ناصر الدولة إلى الأمير معزّ الدولة شيئاً كثيراً من المال والثياب التى كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فأمّا المال فإنّه قبله وأمّا الثياب فإنّه ردّها عليهم وقال:

ـ «لعلّ فيها شيئاً استحسنتموها وقد وهبتها لكم.»

وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفّع عن ارتجاعها.

ودخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

بنو سُلَيم يقطعون الطريق على قافلة عظيمة

وفيها ورد الخبر بأنّ بنى سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجّة إلى مكة فى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام إلى العراق هرباً

من الروم ومن الأمتعة التى لهم نحو عشرين ألف جمل[١] منها دِقّ مصر ألف وخمسمائة جمل ومن أمتعة العرب اثنا عشر ألف جمل وكان فى الأعدال الأمتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدّاً. وكان فيها لرجل يعرف بالخواتيمى قاضى طرسوس مائة وعشرون ألف دينار عيناً. وإنّ بنى سليم أخذوا الجمال[٢] مع الأمتعة فبقى الناس رجّالة[٣] [277] منقطعاً بهم كما أصاب الناس في الهبير سنة القرمطى فمن الناس من عاد إلى مصر ومنهم وهم الأكثر تلف.

ابن الداعى العلوى يدعو إلى الجهاد

وورد الخبر بأنّ أبا عبد الله العلوى ابن الداعى لبس الصوف وأظهر النسك والصوم وتقلّد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزمه وأسر جماعة من أصحابه وقوّاده وعمل على المسير إلى طبرستان وكتب إلى العراق كتاباً يدعوهم فيه إلى الجهاد.

□

وفيها لقب الحبشى بن معزّ الدولة بسند الدولة وكتب به كتاب عن الخليفة.

ذكر ما جرى فى عمان

كنا حكينا من أمر عمان ما جرى فى أمرها إلى وقت دخول القرامطة إليها باختيار أهلها. وكان مع القرامطة كاتب يعرف بعليّ بن أحمد وكان هو

---

١. كذا فى الأصل: جمل.

٢. كذا فى الأصل ومط: الجمال. كما هو المثبت فى مد.

٣. وفى الأصل: رجالهم. اقترحه في مد وهو صواب.

الذى ينظر فى أمر البلد والجيش. وكان قاضى البلد رجلا له عشيرة وعزّ منيع، فرأى مع وجوه البلد بعد نفى نافع من البلدان أن ينصبوا فى الإمرة رجلا يعرف بابن طُغان وكان من صغار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فخاف من القوّاد الذين فوقه فى المرتبة والمحل أن يغلبوه على أمره، فقبض على ثمانين قائداً منهم وقتل بعضهم وغرّق بعضهم.

وقدم إلى البلد ابنا أخت لرجل ممّن غرق وسألا عن حاله فعرفا أنّه غرق فأمسكا وأقاما مدة. فلمّا [278] كان يوم من أيام السلام دخلا فى جملة المسلمين على ابن طُغان فلمّا تقوّض المجلس فتكا به وقتلاه.

فأجمع رأى الناس على عقد الأمر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضى، فوجّهوا يلتمسونه فاستتر. فألزموا القاضي احضارَهُ والزامه تقلّد إمارة البلد. ففعل القاضى ذلك وراسله فظهر وتقلّد الأمر وبويع له واستكتب له على بن أحمد الكاتب الذى كان وافى مع الهجريين وواقف[١] على بن أحمد الجيش على أن يطلق لهم رزقتين صلةً. فأخرجت الأموال وابتدأ علىّ بن أحمد ينفق فى الناس رزقتين فلمّا انتهى إلى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوّة قال[٢] لهم:

ـ «إنّ الأمير عبد الوهاب أمرنى أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط.»

واضطربوا من هذا، فقال لهم:

ـ «امضوا إليه وخاطبوه.»

فمضوا فلمّا بعدوا منه قليلا استردّهم إلى مجلسه وقال لهم:

ـ «إنّكم إذا مضيتم لم يوصلكم إليه ولم يزدكم على رزقة واحدة. فهل لكم أن تبايعونى وأطلق لكم رزقتين وتكون الإمارة لى؟»

---

١. كذا فى الأصل ومط: واقف. والمثبت فى مد: وافق.

٢. فى الأصل ومط: وقال. بزيادة الواو.

فقالوا: «نعم.»

فأطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا عليّ بن أحمد [279] ثمّ راسلوا عبد الوهاب بن أحمد بن مروان: بأنّا قد عقدنا الأمر لغيرك فاخرج عن البلد. فخرج وحصل الأمر لعليّ بن أحمد.

خروج معزّ الدولة إلى واسط لمحاربة عمران بن شاهين

وفيها خرج الأمير معزّ الدولة إلى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأنفذ جيشاً إلى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادى عشر من رجب ورحل إلى واسط وهو محموم. فلمّا كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الأسود مولى يوسف بن وجيه مستأمناً إليه فقبله.

ونظر معزّ الدولة فيما يحتاج إليه من أمر عمان مما سنذكره وانحدر من واسط إلى الأبلّة ونزل فى شاطئها فى شاطئ عثمان فى دار البريديين وأخذ فى الاستعداد لإنفاذ جيش إلى عمان وبنى الشذاءات والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج إلى عمان فاستجابوا إلّا قوماً وهم بضعة عشر رجلا، فإنّهم امتنعوا فأمر بطردهم فانقاد الديلم والأتراك إلى ما أراد وندب أبا الفرج محمّد بن العباس للخروج مع الجيش إلى عمان لرياستهم وتدبير الحرب وولاية البلد إذا فتحه.

فلمّا كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش فى المراكب والشذاءات وهي مائة قطعة ومعهم المعروف بأبي عبد الله جبّ ونافع الأسود، فلمّا صاروا بسيراف [280] انضم إليه جيش عضد الدولة في مراكب وشذاءات وكان أعدّهم هناك نجدة لعمّه. فلمّا وصل أبو الفرج إلى عمان مع

الجيش دخلها وملكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهى تسعة وسبعون مركباً.

فأمّا عمران بن شاهين فإنّه أنفذ معزّ الدولة إليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازى مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسدّ الأنهار عن البطائح وأصعد معزّ الدولة إلى واسط ومنها إلى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والحاجب الكبير على أن يعود إلى واسط بعد عشرين يوماً فيستتمّ ما شرع فيه من أمر عمران. فلمّا وصل إلى بغداد مات فدفعت الضرورة إلى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره فى سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة.

انهزام إبراهيم السلاّر

وفى هذه السنة انهزم إبراهيم السلاّر من بين يدى أبى القاسم ابن ميشكى بآذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابّته وسوطه ولم يفلت معه أحد، فأكرمه ركن الدولة للوُصلة التى كان عقدها المرزبان، وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة فى إعظام إبراهيم وأجزل له العطاء وحمل إليه من كلّ صنف يكون عند الملوك وفى خزائنهم.

وكنت حاضرا بالرىّ[1] فركبت [281] للنظر إلى الهدايا المحمولة إلى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريباً من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من تخوت الثياب والرّزم والأسفاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على صوانى فضة وآلاتها من الأدراج وغيرها وكانت على أيدى ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدرّ الأموال][2] فكانت على صدور الرجال مع صِرار الذهب. أما أكياس

١. من السيرة الذاتيّة لمسكويه.
٢. ما بين المعقوفتين زاده فى مد دون أن يذكر المصدر.

الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأمّا صِرَر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلاً ليفرّق بينهما، وكانت أكياس الورق بيضاء. ثمّ ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أُحصها، وتبعها جنائب الدوابّ بمراكب ذهب وفضة وِجلال ثم تبعها الجمال مزيّنة موقّرة بآلات الفرش الثقيل والخيم والخركاهات والشُّرع والسرادقات. فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية في وقت واحد يسمح بها.

ذكر السبب في هزيمة إبراهيم من آذربيجان على تلك الصورة القبيحة وروده إلى حضرة ركن الدولة

لما انهزم إبراهيم من بين يدى اسماعيل بن وهسوذان وأبى القاسم ابن ميشكى إلى أرمينية ابتدأ في أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الأرمن وغيرهم وجمع الأكراد واستصلح ناحية جَنْتان بن شرمزن ورغب الناس في [282] الولايات والاقطاعات وبذل خطّه لهم بها.

واتّفق أن توفّى اسماعيل بن وهسوذان فسار إبراهيم إلى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة إلى طاعة وهسوذان فزحف إبراهيم إلى الطَّرم منازعاً عمّه وطالباً بثأر أخويه جستان وناصر فأحجم وهسوذان عن لقائه والثبات له وشجّعه أبو القاسم ابن ميشكى فأبى عليه ورأى أن يسير إلى بلاد الديلم، فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل إبراهيم إلى أعماله فخبط أسبابه ودوّخ دياره وبحث عن أمواله وبالغ في الإضرار به مدة ثم عاد إلى آذربيجان.

وجمع وهسوذان وابن ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا إلى الطرم وسار أبو القاسم ابن ميشكى إلى آذربيجان وقد

قوّاه وهسوذان بالمال والرجال، فنزل إليهم إبراهيم وجرت بينهما حروب كانت على إبراهيم. فانهزم على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمّه وهسوذان فتقطّع الناس عنه حتى بلغ الريّ إلى حضرة ركن الدولة على حاله لائذاً به.

من حوادث السنة

وفي هذه السنة تمّ الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين.

وفيها لقّب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيّد الدولة وكُتب [283] بذلك إلى الأمصار.

وفيها ورد جيش من خراسان عظيم.

ذكر خبر الغزاة الواردين من خراسان وما دبّروه بالريّ على الديلم وما انعكس عليهم من الأمر بعد استعلائهم

ورد الخبر على ركن الدولة بالريّ بخروج قوم من خراسان يُحزرون[١] عشرين ألفاً ويظهرون أنّهم غزاة واستراب بهم صاحب الحدّ وهو إسفُوزَن[٢] بن إبراهيم وذلك أنّهم عاثوا لما دخلوا الحدّ وخاطبهم وراسل رؤساءهم فلم يجد عندهم نكيراً ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لأهل كلّ بلد من بلادهم رئيس منهم.

فلمّا ورد كتاب إسفُوزَن بصورتهم أشار الأستاذ الرئيس حقّاً على ركن

١. حَزَرَ الشيءَ: قدّره بالحدس وخمّنه.

٢. في مط: اسفورون.

الدولة ألاّ يأذن لهم فى دخولهم مجتمعين وأن يراسلهم فى أن تصير منهم عدة نحو ألفى رجل إلى الرىّ فإذا خرجت هذه العدّة منها ورد مثلها حتى يتتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرّة ولا يحدّثوا أنفسهم بسوء أدب. فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه [وقال][١]:

- «ولا يتحدّثِ الملوك انّى احترزت من لفيف خراسان وخشيت نايرتهم.[٢]»

فقال له وزيره أعنى الأستاذ الرئيس حقّا:

- «فإن لم تفعل هذا فكاتب عساكرك فإنّهم متفرّقون عنك بالجبل وإصبهان وغيرها حتى تتوافى اليك، فإنّ معك بالرىّ [284] عدّة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطأة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدّون بعلة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد.

«فأبى عليه فى هذا الرأى ولم يحفل بالقوم وكاتب صاحب الحدّ بأن يأذن لهم ويفرج عن وجوههم ولا يُصيّر للشر مبدأ.»

فسار القوم بأجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالرىّ واجتمع رؤساؤهم إلى مجلس الأستاذ الرئيس يخاطبونه فى مسئلة الأمير ركن الدولة أن يطلق لهم مالاً يستعينون به على أمرهم. فوعدهم بذلك وظنّ أنّ القليل يسعهم على رسم الغزاة فإذا هم يطمعون فى شىء كثير وقالوا:

- «نحتاج إلى مال خراج هذه البلدان كلّها التى فى أيديكم فإنّكم إنّما جبيتموها لبيت مال المسلمين لنائبة إن نابتهم ولا نائبة أعظم من طمع الروم والأرمن فينا واستيلائهم على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم.»

---

١. زيادة زدناه بوحى من السياق.

٢. فى مط: بابراهيم. بدل «نايرتهم».

وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمّون إليهم وأخذوا فى هذا النحو من الكلام وتبسّطوا فى الإقتراح ورفع الأصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقفّال وغيره.

فتبين الأستاذ الرئيس [285] خبث[١] سرائرهم وتيقّن ما كان ظنّه بهم من الشرّ وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم. فلمّا لم يجدوا سبيلاً من طريق القول إليه والشغب به عدلوا إلى مشافهة الديلم فكانوا يكفّرونهم ويلعنونهم، وكان ذلك فى شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلاً ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقِسيّ والسهام ويزعمون أنّهم يأمرون بالمعروف فيسلبون العامّة مناديلهم وعمائمهم وإذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصّروا فيه والناس مع ذلك يدارونهم.

فاتفق أن وقعت بينهم وبين بعض أصحاب إبراهيم بن بابى[٢] خصومة لم يحتملها منهم فتأدى إلى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمى واجتمع رفقاؤه للقتال فاجتمع من الغزاة نحو ألف رجل على باب ابراهيم بن بابى فخرج إليهم محامياً على أصحابه وقاومهم مدة إلى أن راسله ركن الدولة بالكفّ وراسلهم بمثل ذلك فأبوا. فتسرّع الديلم ومن كان قريباً لنصرة الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية إلى معسكرهم يضربون بطبولهم الليل كلّه ويتواعدون القتال.

بروز الأستاذ الرئيس للقتال

فلمّا أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران[٣] وفيها دار

---

١. فى مط: حيث.

٢. ما فى الأصل ومط: مهمل.

٣. فى مط: لقران. وما فى الأصل مهمل.

الأستاذ [286] الرئيس [وبرز للقائهم وبين يديه حاجبه روين وكان شهماً شجاعاً فحمل عليهم في غلمان دار الأستاذ الرئيس][١] فحاربهم وكسرهم حتى رجعوا إلى الدرب الذي دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يولّ عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخلت في كمّ درعه وأفضت إلى ساعده فخرقته وكثر الناس عليه وحامى عليه الأتراك الذين معه حتى رُدّ إلى منزله وقد نزفه الدم وضعف وانكسر الأستاذ الرئيس ومضى كلّ من معه وثبت بنفسه على عادته. فتعلّق به السلاّر وكان حاضراً معه وقال له:

ـ «أيّها الأستاذ ارجع إلى الأمير ولا تفجعه بنفسك فإنّه لم يبق حواليك أحد.»

وأخذ بلجامه وردّه وسمعته يقول:

ـ «عصّبها[٢] بي وأنت برىءٌ من عارها.»

فرجعا إلى دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة جامّة إلى أن أتى الليل وانصرفوا وكان إليّ خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه ولم يُتعرض لها.

أمسى الأستاذ ولا فرش لمنزله ولا آلة إلاّ دفاتره وكتبه

فلمّا انصرف إلى منزله ليلا لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزاً واحداً يشرب فيه ماء. فأنفذ إليه ابن حمزة العلويّ فرشاً وآلة. واشتغل قلبه بدفاتره ولم يكن شيء أعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كلّ علم وكلّ نوع من أنواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقرٍ وزيادة. فلمّا رآني سألني عنها فقلت:

١. ما بين المعقوفتين زيادة من مد من إرجاع إلى مصدر.
٢. في مط: عصها.

ـ «هى بحالها لم تمسّها يد.»

فسُرّى عنه وقال:

ـ «أشهد [287] أنّك ميمون النقيبة. امّا سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه الخزانة هي التى لا عوض منها.»

ورأيته قد أسفر وجهه وقال:

ـ «باكر بها فى غد إلى الموضع الفلاني.»

ففعلت. وسلمتْ بأجمعها من بين جميع ماله.

واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدولة فى آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين[١] الحاجب لينتهبوا داره وكان طريحاً فيها غير مستقل فأمر غلمانه بطرح الحطب المعدّ للشتاء خلف الباب وإشعاله بالنار. ففعل ذلك فلم يصلوا إلى الدار من نحو الباب وراموا أن يتسوّروا سورها فرماهم الغلمان بالسهام فتراجعوا عنها. وعمِلوا على مباكرتها من الغد.

فلمّا أصبحوا راسلهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن ينقلعوا من مملكته فلم تكن فيهم حيلة وكان الأمر قد أبرم معهم بخراسان وكانوا ينتظرون مدداً يلحقهم.

وأشار على ركن الدولة نصحاؤه بالمسير إلى إصبهان مع أولاده وحرمه ويترك[٢] هؤلاء والرى حتى يجتمع إليه عساكره ويقصدهم بعديد وعتاد فأبى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فإنّه كان فى خمسمائة من قوّاده وخواصه ونحو ثلاثمائة من الغلمان وباقى [288] عسكره كما ذكرنا متفرقون فى ولاياتهم. فلمّا كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان تفرق

١. فى الأصل: ردين. فى مط: روين. والمثبت فى مد: روين.

٢. كذا فى الأصل: بترك. ولعله هو الصحيح. فى مط ومد: يترك.

الخراسانية[١] على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه فامتلأت منهم الشوارع والمحالّ ونادوا فى البلد بما يسكن الناس والرعية وقصدوا دار الامارة وفيها الأمير وأولاده وخزائنه.

وكان الأستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الأولاد إلى طريق إصبهان لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدوابّ مستعدّين للتوجّه إلى حيث شاءوا.

فاغتصّ الميدان الذى فى الدار بالبغال التى عليها صناديق الخزائن والعماريات فلم يكن للأمير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب فى غلمان داره والأستاذ الرئيس معه وجماعة من قوّاده وحاشيته فلم يجدوا طريقاً إلى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبابيس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا إلى الطريق وكنت مع القوم[٢].

وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلاليم وعندهم أنّ ركن الدولة يتحصّن فى داره. فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجّابه من الأبواب الأُخر وصدموا القوم [289] وصدقهم الديلم فى المضايق حتى ردّوهم إلى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرفنا على ذهاب النفس وزوال الدولة. فلمّا حصلوا فى السعة صافّوا[٣] رجالهم للحرب.

ذكر مكيدة لركن الدولة فى الوقت نفذت له

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم

---

١. فى الأصل ومط: الحاشية. وهو تصحيف. والمثبت فى مد: الخراسانية.

٢. من سيرة مسكويه الذاتية.

٣. فى مط: صاحوا. بدل «صافّوا».

وقلّة عددهم وأقبلوا يقولون:

ـ «أتينا من ورائنا.»

فأشفق ركن الدولة إشفاقاً شديداً وقال لأصحابه:

ـ «طيبوا نفساً فإنّ الذين وراءنا هم أصحابنا.»

وبشّرهم بورود عليّ بن كامه وتقدم إلى الركابية والمجرين أن يبادروا إلى نحو طريق عليّ بن كامه الذى يُقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويثيروا الغبرة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الرهج وكبّر الناس وقالوا:

ـ «هذا عليّ بن كامه.»

ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم:

ـ «احملو حملة قبل وروده.»

فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت إيّاها، وركب الخراسانية بعضهم بعضاً. فدسّ ركن الدولة إلى بعض رؤساء الخراسانية بالإنحياز إليه فآمنه وبذل له. ففعل وتحطّم ذلك العسكر وقُتلوا كل مقتلة وطلبوا الأمان فآمنهم على أن يخلّى لهم الطريق فأجابهم إلى ذلك. وكان قد حصل منهم عدد [290] كثير بالبلد يذبحون كلّ من وجدوه على زىّ الديلم فإذا ذبحوه كبّروا كما يفعل فى بلد الكفر بالكفار.

فبينما هم كذلك إذ انكفأ إليهم الديلم ظافرين فهمّوا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالأمان وأمر الديلم بالكفّ فلمّا كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلوى بعضهم على بعض.

ثمّ وردت بعدهم خيل أخرى نحو ألفى رجل بالعُدة والسلاح ولم يلحقوا أصحابهم إلّا مفلولين هاربين فراسلهم ركن الدولة بأن يتوقّفوا ولا يرحلوا

وأشفق أن يكون لهم بقزوين أو فى بعض الممالك عيث[١] واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجّلوا بالرحيل فى أثر أصحابهم فأسرع فى طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافّوا الحرب فقتل منهم عدداً كثيرا وردّ الباقين إلى الريّ بعد أن طلبوا الأمان. ثم أذن لهم فى الخروج وأطلق أساراهم وأقر لهم بنفقات فخرجوا وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنّهم خرجوا بالماء الذى كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولكثرت غزاة المسلمين معهم ولله أمر هو بالغه.

فسمعت الأستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول: لم أر قوماً أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم إلّا كثرة رؤسائهم [291] وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو انتهزوا بعضها لتمّ لهم أمرهم.

منها يومهم الذى دخلوا فيه الرى فإنّهم اجتازوا بأجمعهم وفي مواكبهم على باب الأمير وهو غارّ وليس ببابه كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم وبينه أحد.

ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرّك فى وجوههم أحد وكانت ليلة مقمرة وهى ليلة النصف وهي كنهار غدها إشراقا وإضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد الفطر والناس مشغولون [بالصلاة] بمصلاهم غارّون وانتظروا أيضاً المدد الذى وُعدوا به وكانت الأخبار والرسل تأتيهم بقربهم منهم فعملوا على ذلك. وأبت المقادير إلّا صنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس.

وكان لإبراهيم السلّار فى هذه الايّام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصابت بطنه حربة لم تصل إلى أحشائه لكثرة شحمه لأنّه كان سميناً بطيناً ولكنها

---

١. عيث: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: عبث. وهو تصحيف.

صارت فتقاً فكان يشدّها بعصائب ورفائد إلى أن توفى بعد ذلك بسنتين.

وفى هذه السنة أخرج ركن الدولة الأستاذ الرئيس مع إبراهيم السلاّر مدداً له فى نخب الرجال من الديلم والعرب [292] وأصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربيجان وأصلح الأستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الأطراف وطوائف الأكراد وقاد جَستان بن شرمزن إلى طاعته فلمّا فرغ من جميع ذلك ووطّأ له النواحي ومكّنه منها خرج عائداً إلى حضرة ركن الدولة[١].

ذكر تدبير جيّد ورأى صواب رآه الأستاذ الرئيس ابن العميد ولم يقبل وعاقبة ذلك

لما صار الأستاذ الرئيس حقّا إلى آذربيجان رأى زكاء أرضها وكثرة ريعها وسعة[٢] مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعها فوجده مالاً عظيماً مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر إلى ما تحصّل لإبراهيم السلاّر منه فوجده شيئاً نزراً قليلاً جداً وذلك لسوء تدبير إبراهيم واهماله الأمور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعامِلين فيه ولاسيما الأكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحى. ثمّ قد عُرف بالتزيد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده.

فعلم الأستاذ الرئيس أنّه إذا فارق الناحية عادت الصورة مع إبراهيم إلى ما كانت ولم يلبث أن يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلّها أو يُقتل فيضيع سعى [293] ركن الدولة وسعيه.

فكتب إلى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة إبراهيم فيها وعرّفه مقدار ما يصل إليه منها وأشار عليه أن يدبّر الناحية لنفسه ليرفع له [منها خمسون

---

١. وزاد فى مد بين المعقوفتين: بالرىّ.

٢. سعة: كذا في مط ومد. وما فى الأصل يمكن أن يقرأ «نبعة».

ألف ألف درهم ويعوض إبراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما يرتفع له][١]
من هذه الجملة بعد ما يخرج فى إقطاعات الديلم والأكراد وبعد ما يستولى
عليه قوم متعززون لا يتمكن من إستيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضيع
بالأهمال وترك العمارة من ألفى ألف درهم فرأى أن يعوض إبراهيم من
ارتفاع الرى أو اصبهان أو همذان هذا المقدار ويجلس آمناً فارغ البال
ويشتغل بما يوثره من صحبة المغنّين والمساخر ويتسلّم الأستاذ الرئيس
آذربيجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجو أكثر منه ولكنه
استظهر عليه. فأبى عليه ركن الدولة وفكر فى شيء يفكر فيه مثله من
أصحاب الهمم الكبار وقال:

ـ «يتحدّث الناس أنّى افتتحت البلاد لرجل لجأ إلىّ ثم طمعت فيه!»

وأمر الأستاذ الرئيس بالإنصراف إليه مع عسكره وتسليم البلاد إلى
ابراهيم.

كلام لابن العميد قاله لمسكويه صاحب هذا الكتاب

فأذكر يوماً كنت جالسا فيه بين يدى الأستاذ الرئيس وهو يحدّثنى
بالشدّة التى قاساها هو وعسكره فى سفرته وقلّة جدواها وثمرتها وأنّها لو
أثمرت نعمة باقية عند إبراهيم لكان محتملاً لها وراغباً فيما ينشر [294] من
الأحدوثة الجميلة عنه بعدها. ثم قال:

ـ «ولكنّى سأضرب لك مثلا لما نحن فيه وتأمّله الآن لتتذكّره فيما بعد.
أما شهدت من يغزل الأبريسم ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلّقة بالصنّارات
على شبيه الصوالجة من الزجاج.»

---

١. زيادة إيضاحية فى مد لا توجد لا فى الأصل ولا فى مط.

قلت: «بلى.»

قال: «أما تعلم أنّ الصانع إنّما يتعب حتى ينصب هذه الآلة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتتبع أذناب تلك المغازل ويتعاهدها بالفتل؟ فنحن قد أحكمنا الآلة والمغازل دائرة والابريسم ممدود والفتل مستمرّ به، فإذا فارقنا الموضع ابتدأت القوة التي في الدوران تضعف وليس لها من يمدها بحركة فيبتدئ في الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم تبتدئ في الانتكاث وتنقلب راجعة بعكس ما كانت تدور، ثم لا تجد أيضاً من يتعاهدها فيتساقط أولا أولا حتى لا يبقى منها شيء.»

فكأنّ هذا المثل كان وحيا فإنّه ما أخطأ شيئاً من صورة إبراهيم بعد خروجنا وانتهى أمره بعد ذلك النظم الذي نُظم له إلى أن طَمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئاً بعد شيء إلى أن أُسر وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد إن شاء الله. [295]

ودخلت سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة

وفيها قصد معزّ الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح

وكان قد صمّم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه إلّا بحضور بساطه.

فاتّفق أن اعتل من ذرب لحقه وأحسّ بالضعف، فعاد إلى واسط وخلّف على عسكره سبكتكين الحاجب، وظنّ أنّه يتماثل فيعاود، واشتدت به العلة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحسّ بالموت ورجع إلى بغداد.

عهد معزّ الدولة إلي ابنه

وعهد إلى ابنه بختيار عزّ الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين

والفقهاء وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فأفتوه بصحّتها ولقّنوه ما يجب أن يقول ويفعل، وتصدّق بأكثر ماله وأعتق مماليكه وردّ شيئاً كثيراً من المماليك[١] وتوفّي في شهر ربيع الآخر سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة وكانت له أخبار وأحوال منها إنفاذه جيش الماء والديلم إلى عمان حتى فُتحت له ولم يكن فيها ما يستفاد منه تجربة فطويناها.

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لعزّ الدولة فرأينا إثباته ليكون معدودا في جملة أمثالها من الاتفاقات العجيبة.

ذكر اتفاق حسن [296]

لما مات معزّ الدولة ألحّ المطر ببغداد ثلاثة أيّام بلياليها إلحاحا شديداً منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من إطلاع رؤوسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردّد النقباء إلى رؤسائهم فأُرضي كل أحد بما سكن إليه وانجلت السماء عن سكون الجند ورضا الكافّة. فكاتب عزّ الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والإنصراف عنه إلى بغداد ففعل ونُفّس خناق عمران. وصولح صاحب الموصل واستقرّت الأمور بيده.

وفيها وردت الأخبار بإقبال جيش قويّ من خراسان مع ابن سمجور[٢] ليجتمع مع وشمكير.

ذكر السبب في ذلك

لما اعتلّ أبو عليّ [محمّد] بن الياس وفُلِج بكرمان وخالفه أولادهُ وقصده عضد الدولة رحل إلى خراسان ولقي صاحب خراسان وبرئ بعض البرء

١. وفي الاصل: الممالك. والمثبت مأخوذ من مط. وأثبته في مد: «المظالم».

٢. في مط: سمجون.

وصار نديماً له يعاشره ويؤانسه. فسوّل له قصدَ ممالك الديلم وأطمعه فيها وزعم أنّ أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرُّشى.

فوافق ذلك ما كان يشكوه إليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبة بين وشمكير وصاحب خراسان وكذلك الحسن بن الفيرزان إلى أن وقعت المعاضدة والموافقة على [297] أن يدبّر جميع الجيوش وشمكير.

وأنفذ صاحب خراسان إلى وشمكير وإلى الحسن بن الفيرزان هدايا كثيرة من دوابّ وغلمان وآلات وسرّب اليهما أمداد الجيوش مع صاحب جيشه محمّد بن إبراهيم بن سمجور وعلى أن يكون الرئيس على الجميع وشمكير.

فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن في الحساب وعلم أنّ الأمر قد بلغ الغاية وليس إلّا الفيصل. فكاتب عضدَ الدولة يستمدّه الرجال والمعونة وكاتب عزّ الدولة بمثل ذلك.

فأمّا عضد الدولة فأمدّه بخيل عليها أبو جعفر ابن رزمان[1] وشخص بنفسه إلى إصطخر ليسير إلى خراسان وسيّر أحد حجّابه في جيش المقدّمة إلى طُرَيْثيث[2] وأظهر في عسكره أنّ جيش خراسان قد ساروا بأجمعهم مع لفيف البلدان وغُزاتهم إلى الريّ وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء، واتصل ذلك بالقوم فأحجموا قليلاً. واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الأمر كله.

سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته

ذكر هذا الإتفاق العجيب

اتّفق أن استعرض وشمكير خيله وما قيد إليه من جهة صاحب خراسان

---

١. في مد: رومان. والمثبت في مد: روزمان.

٢. طُرَيْثيث: ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور وهذه قصبتها (مراصد الإطلاع).

فكان في جملتها[1] فرس أدهم حسن الصورة فأعجبه وأمر بإسراجه وعزم على ركوبه والتصيّد في ذلك اليوم.

فدخل إليه منجّمهُ فنهاه عن الركوب فخالفه. فلمّا أصحر عارضهُ خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة [298] فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسهُ، فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحُمل ميّتاً وذلك يوم السبت في أول يوم المحرّم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

وقد كان بختيار عزّ الدولة اجتهد في اخراج سبكتكين مع جيش كثيف على الرسم فامتنع سبكتكين عليه فأوحشه بذلك واضطرب بختيار لأنّه لم يجد من يطيعه في الخروج إلى أن انتدب ألفتكين وقد كان يتلو سبكتكين في المرتبة وأحبّ أن يظهر في تلك الحالة فضلاً وحسن طاعة للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتكين، فضم إليه جيشاً وورد الريّ وقد أُستغني عنه فعاد.

ذكر سوء تدبير بختيار لمملكته ولنفسه حتى فسد جنده وطمعوا فيه ثم طمع أعداؤه أيضاً فيه وأفضى أمره إلى الهلاك

كان أبوه معزّ الدولة حين أيقن بالتلف وصّاه بطاعة ركن الدولة واستشارته في كلّ ما يعرض له من مهمّ، وكذلك بطاعته لابن عمّه عضد الدولة لأنّه أسنّ منه وأقوم بالسياسة. ووصّاه بإقرار كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين وأبي الفرج محمّد بن العباس فإنّهما أكفى من غيرهما وأعرف بوجوه الخدمة.

---

١. كذا في الأصل ومط: جملتها. والمثبت في مد: جملها.

ووصّاه بمداراة الديلم وإزاحة عِللهم عند أوقات استحقاقاتهم لئلاّ يخرقوا هيبته بالشغب وطلب الفتن. ووصّاه بالإحسان إلى الأتراك فإنّهم جمرة عسكره وإذا [299] رابهُ من الديلم ريبٌ أمكنه أن يقمعهم به. ووصّاه بعد الاحسان إلى الأتراك بكبار الحاشية وصغارهم وأن يجريهم على عادتهم ورسومهم.

فخالف هذه الوصايا كلّها واشتغل باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنّين والنساء، وأوحش كاتبيه وضرّب بينهما حتى استوحشا جميعاً منه وطمع في إقطاعات كبار حاشيته وفي سبكتكين خاصّة وهو صاحب جيشه وكان معزّ الدولة وصّاه بألّا يقطع أمراً دونه وكان ذا أرب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابهُ الجميع ويطيعونه، واحتجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والسكر الدائم.

وابتدأ بمناوأة عضد الدولة، وذلك أنّه منع صاحبه المقيم ببغداد من شرى الدوابّ وآلات خدمته التي[1] كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها وترك استشارة عمّه ركن الدولة في كلّ ما عرض له.

عاقبة ذلك

فكان من عاقبة ذلك أن سبكتكين صاحب جيشه لما أحسّ بطمعه فيه وفي نعمته انقبض عنه فصار لا يركب إليه ولا يثق، به واقتصر على التراسل على أيدي المتوسطين وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصّة وله عيون وجواسيس من خاصّة حاشيته وبطانته فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته [300] فضلا عن تدابيره.

---

١. في الأصل: إلى.

فأمّا كاتباهُ أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمّد بن العبّاس فإنّهما لما عرفا قصدَهُ في إفساد نيّة بعضهما لبعض ـ فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المرتبة وتحاسد في النعمة ـ أخذا جميعاً أهبة التحرُّز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال بأحدهما نعمة الآخر. ثم قبض عليه بأصاغر الحاشية وأداني الحشم ومكّن منهما الأوغاد والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطرّ إلى الاستعانة بمن رفعه من السُقّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصلح للتوسط بين نفسين فضلاً عن العسكر المضطرب فاختلّت[1] أصول أمره وفروعها.

وأما كبار الديلم ووجوههم فإنّه نفاهم عن مملكته طمعاً في اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم فتبسّط أصاغرهم واستلانوا جانبهُ وتحالفوا عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر إلى النزل على حكمهم ثم عجز عن ارضائهم.

وأمّا الأتراك فإنّهم نظروا إلى ما تمّ للديلم من التحكّم فعملوا مثل عملهم من الاشتطاط والتسحُّب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطرّ إلى التدبير عليهم والراحة منهم.

وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقّظاً، فما تمّ له عليه شيء من تدبيراته فتحزّب الأتراك وصاروا يداً واحدة.

وتحركت الأحقاد والحفائظ [301] التي كانت في نفوس الديلم على معزّ الدولة، فبرزوا إلى الصحراء مع الأسلحة والجنن وساموه أن يثبت من أسقطهُ معزّ الدولة وأن يعطيهم أرزاقهم ويعجّل لهم رزقة منسوبة إلى البيعة غير محسوبة.

---

١. كذا في الأصل ومط: فاختلّت. والمثبت في مد: فاختلت.

فجمع بختيار الأتراك إلى داره مع أسلحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم في الصحراء ثلاثة أيّام. فغاظهم ذلك وازدادوا تباعداً في الإشتطاط عليه وفي الإشتداد بالمطالبة إلي أن نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقة غير[١] محتسب به.

وخيّر أصحاب الإقطاعات بين الإقامة في أيديهم والتمسك بنواحيهم وبين تعريضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كلّ من كان صريحا في الديلم أو صريحاً في الجبل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم.

فلمّا تمّ لهم ودخلوا البلد اجتمع الأتراك أيضاً على الشغب فخرجوا إلى الصحراء واستدعوا الأصاغر من غلمان الحجر في دار بختيار حتي برزوا معهم وتحالفوا وتعاهدوا أن تكون كلمتهم متفقة وأن ينصر كبيرهم صغيرهم وقويُّهم ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسبّبة من تلك الزيادات المضافة إلى الاصول التي زادها معزّ الدولة. فطالبوا بتوفيتهم ذلك كلّه، وأن يسلك فيهم سبيل أبيه في الاستحجاب والتقويد والتنقيب والزيادة [302] في المنازل والمراتب.

ثمّ اتفق الديلم والأتراك على ألّا يعارض كل فريق منهم صاحبه[٢] في طلب الحظّ لنفسه، وتعاهدوا على ذلك. فقادته الضرورة إلي أن ضمن لهم جميع ما التمسوه وإزاحة العلل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه. فاضطر إلى مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا المال والنظر في جمعه من أين كان وكيف كان.

وكان أبو الفضل العباس أشدّ جسارة وإقداماً من أبي الفرج، فضمن ذلك لهم واستعان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سُرخاب، وكان متمكناً من بختيار

---

١. غير: محذوفة في مط.

٢. سقوط من مد من هنا إلي قوله «جميع ما...».

قريباً منه يسمع كلامه ويتدبّر برأيه، وضمن له مَرفقا على ذلك ومالاً يحمله إليه في كل سنة. فسعى له شيرزاد في الوزارة ووعد بها وقيل له:

ـ «إذا ظهرت كفايتك فيما ضمنته من إرضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة عليك.»

فأخذ في مصادرة الحاشية وألزمهم أموالا علم أنّهم يفون بها ولا يُجحف بهم، وافتتح الخراج واجتهد حتى وفّى الديلمَ ما ضمن لهم وفرّق الأتراك في النواحي لتنجُز[1] تسبيباتهم. فتمّ لهم أيضاً ما التمسوه وذلك لجمام الأمر وأنّه كان مبدأ فوجد أموال الحاشية جامّة والنواحي في بقايا العمارة. فمشى أمره في هذه السنة.

واتّصل خبره بأبي الفرج محمّد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان خرج إليها في حياة [303] معزّ الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى استوسقوا له. فلمّا عرف وفاة معزّ الدولة وطمع أبي الفضل في الوزارة وسعى شيرزاد له فيها، لم يلبث أن سلّم الناحية إلى رجل من أهل عمان يعرف بابن نبهان، وأظهر أنّ الأمر ورد عليه بالإفراج عن البلد وتسليمه إلى صاحب عضد الدولة، وأقبل مسرعاً إلى العراق. فلمّا قرب منها استقبله أصحاب أخيه أبي محمّد علي بن العباس الخازن وكتّابه وكتُبه يشيرون عليه بالمبادرة وترك التأخر عن الحضرة قبل أن يتمّ لأبي الفضل العبّاس بن الحسين تقلد الوزارة، فورد وصار الناس حزبين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه. ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد إلى أن تمّت له الوزارة.

---

١. في مط: لينجز.

ذكر رأی صواب لبنی حمدان رءاه ناصر الدولة فخولف

لما سمع أولاد ناصر الدولة باضطراب بختيار وسوء سياسته وشغله عن تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراق هيبته همّوا بإخراج الأموال والانحدار إلى بغداد ومقارعة بختيار عن سرير الملك، فقال لهم أبوهم ناصر الدولة:

ـ «لا تعجلوا فإنّ معزّ الدولة قد خلّف لابنه خميرة[١] من المال يسيرة وسيفرّقها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضاً كتّابه وعمّاله من نواحيه ومن مصادرات أسبابه ما أمكنهم ولستم بمستظهرين عليه ولا [304] متمكّنين من دولته إلّا بعد أن تفنى حِيله وتخلو يدهُ. فإذا كان ذلك الوقت فانحدروا إليه وكاثروه بالمال وأفسدوا عليه قلوب الرجال، فإنّكم تملكونه لا محالة.»

وكان الرأى ما قال، فإنّ معزّ الدولة كان أتلف ماله على البناء الذى أحدثه وعلى الأتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلّفه أربعمائة ألف دينار فأخرجها بختيار شيئاً بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات. وكان كتّابه يستقرضون منه لهذه المهمات على أن يردّوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استغرقت النفقات والنوائب جميع ذلك بعد مديدة يسيرة.

واختلفت كلمة بنى حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم وكان مبدأ الشر بينهم أنّ أبا تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رءاه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الخلق والتقتير على أولاده وعلى حاشيته. فلما قبض عليه أصعده

---

١. فى مط: جهرة. وهو تصحيف.

إلى قلعته ووكّل به من يخدمه ويزيح علّته في حاجاته. فامتنع بعض إخوته وانتثر[۱] النظام الذي كان يجمعهم فشغلهم حفظ ما في أيديهم عن طلب ما ليس لهم.

واحتاج أبو تغلب إلى مداراة السلطان وتجديد عقد الضمان والتماس الخلع والعهد والعقد ليحتجّ بذلك على الجند ويستظهر به على إخوته [305] المخالفين والموافقين. فأنفذ كاتبه أبا الحسن عليّ بن عمرو بن ميمون حتى أخذ له من السلطان ذلك. وبذل لبختيار ألف ألف ومائتى ألف درهم في كلّ سنة على الرسم وانصرف إلى صاحبه بقضاء حاجاته قرير العين بما تمّ على يده غير مفكر في شيء مما كان يهمّ به.

تلاحُقُ مشايخ الملوك بالموت

وفي هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتتابعوا وكان مدخل القِران[۲] التاسع: فهلك معزّ الدولة أحمد بن بويه، وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة. وهلك سيف الدولة. وهلك نقفور[۳] ملك الروم. وهلك كافور صاحب مصر. وهلك وشمكير بن زيار. وهلك الحسن بن الفيرزان. وهلك أبو عليّ محمّد بن الياس. وجماعة أمثالهم. وبقي ركن الدولة من بينهم وعُمّر إلى أن استوفى أجلهُ.

۱. في الأصل ومد: وانتشر. ونحن رجحّنا ما في مط: وانتثر.
۲. يقال: إنه إذا أطلق لفظ القران، فالمراد اقتران الكوكبين: زحل والمشتري (دهخدا عن كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي).
۳. في مط: يغفور.

ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

ذكر ما دبّر كلّ واحد من الكاتبين فى خطبة الوزارة وسعي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبى الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للأمور فى السنة التى مدّ يده فيها إلى الحاشية وما وجده فى النواحي وما تأوّل به على العمّال حتى أرضى الجند. فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنّه قد أظهر الكفاية التى وعده بها وذكر أنّ دخل المملكة يعجز عن خرجها وأنّه إن قلّد الوزارة جبر هذا العجز وقام بالأمر كما قام به [306] فى تلك السنة وضمن لشيرزاد إذا تمّم[1] له الوزارة مآلا.

وشخص إلى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد فى الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشمّر عن ساقه فى فسخ نيّة بختيار وزعم أنّ الذى ذكره أبو الفضل[2] من عجز الدخل عن الخرج لا حقيقة له وأنّ الأموال التى استخرجها ومشّى بها الأمور إنّما كانت من مصادرات الناس ومن بقايا فى النواحى وأنّه لم يؤثّر أثراً ولا فتح فتحا ولا استحقّ من المراتب ما لا يستحقّ مثله.

واتصل ذلك بأبى الفضل فوافى من الكوفة ركضاً وجرت بينهما مناظرات استقرّت على أن يعمل كل واحد منهما عملاً لأصول الارتفاعات وما ينضاف إليها وعملاً لأصول النفقات الراتبة وما ينضاف إليها من الحوادث لتعرف الصورة فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الأعمال.

---

١. فى مط: تمّ.

٢. فى الأصل ومط: أبا الفرج. انظر الأسطر السابقة.

فامّا أبو الفرج محمد بن العباس فإنّه أورد في عمله أصول العقود على عبرها وأبواباً ينكسر بعضها، ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم يظهر العجز وقام الدخل بالخرج.

وأما أبو الفضل فإنّه وضع من الاصول ما نسبه إلى المنكسر وما ينظر به للضمناء واعتدّ بالزاجي[1] دون التاوى [307] واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبلغه حتى أوجب في عمله عجزاً في الدخل عن الخرج.

ثم حكى في عمله أنّه يقيم وجوها لهذا العجز وأنّه إن بقيت منه بقيّة نقلها في كل سنة إلى التي تليها على الرسم الجاري في ذلك.

وتقابلا على حسابهما وتناظرا علي الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين ـ وفيهم شيرزاد ـ على إبطال الوزارة والتراضي بالاشتراك في الكتابة. ثم جدّ شيرزاد سرّا في أوقات خلواته ببختيار في السعي لأبي الفضل وبذل عنه لبختيار مالا على سبيل الهديّة وأعلمه أنّ فيه إقداماً وبسالة يحتاج إليهما في الوقت وأنّه ذو مال ويسار يزيد على مال أبي الفرج إضعافا وأنّه ذو حيلة وتأويل وبطش. وأبو الفرج صاحب تقشّف وتوقّف وتعقّد وأن الأمر بمثله لا يمشي فلم يزل بهذا وأشباهه حتى أمضى بختيار العزيمة.

وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلّيين بالذهب وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه إقطاعاً بخمسين ألف دينار على رسم الوزراء وضم إليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء. فصار إليه أبو الفرج مسلّما وأظهر الامتناع من العمل وكره [308] أبو الفضل ذلك لأنّه أحب أن يجرى على رسمه في تقلد الديوان ليشغله عن تتبعه والطعن عليه وأيضاً ليراه بعين من يغدو[2] و يروح إليه وينحطّ عن رتبة المساواة

١. في مط: الراجي.
٢. والمثبت في مد: يعدو (بالعين المهملة).

التي كان فيها إلى رتبة الأتباع. وكره أبو الفرج جميع ذلك فخوطب فيه وأعلم أنّه [إن] لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلائق بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطّرحاً بعرض النكبة وربما تأدى الأمر إلى أكثر من ذلك من تسلط أعدائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب إلى عمل الديوان واستونف بتقليده إيّاه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة.

وكان مما وفّره أبو الفضل في وزارته إقطاعات استرجعها من قوم مثل أبي الفتح أخي عمران بن شاهين ومثل أبي عبد الله الأيسر المعروف بالجَبّ ثم تجرد للأهواز ومحاسبة آزاذ رويه وكتّابه.

واتفق في وزارته أن أظهر الحبشي بن معزّ الدولة عصيان أخيه وطمع في البصرة والتفرّد بها.

ذكر السبب في عصيان الحبشي وتمكّن أبي الفضل منه وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له

لما توفّي معزّ الدولة احتوى على الحبشي ابنهِ بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطمعوه في البصرة وأقاموا في نفسه أنّ المال الذي يرتفع من البصرة ينصرف معظمه إلى الجيش [309] المقيمين بها وباقيه مصروف إلى نفقاته وليس يبقى بعد ذلك إلّا ما لا يستكثر أن يجعل حظّه من ميرات أبيه ويغضى عنه.

ثم أوهموه مع ذلك أنّ أخاه بختيارا لا يتمكن من الوصول إليه مع حصانتها لوهم بذلك فابتدأ يستبدّ بالأموال والأمور ويستولي على العمال ويتحيّفهم. وكان مغيظاً على عامل البصرة الحسين بن الحسن المكنّى أبا طاهر فعمل على القبض عليه والتشفي منه وإزالة الحشمة فيه، ونمى الخبر

إلى العامل فهرب إلى الحضرة.

وكتب الحبشي في أثره إلى بختيار يذمّه ويطعن عليه وينسبه إلى الخُرق والجهل وأنّه لم يخفّف شيئاً أنكره ولكن قصد التشنيع وذكر في الكتاب أنّه قد تقدّم بحفظ الأعمال والأموال إلى أن يعود فيجري على رسمه في التدبير لها.

ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلَّم إليه المدينة ويخلَّى بينه وبين تدبيره وأن يواقف على ارتفاعه ويحتسب له بنفقاته التي تخصّه وبأموال الجند المقيمين بحضرته وإن بقيت بقيةٌ سُبِّب عليه ليزيح العلّة فيها. فأجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعده أن يعمل بمحبته.

ثم زاد تبسّط الحبشي حتى كان يشرق الأمر ويظهر الخلاف. وكتب إليه بختيار بالتأنيس والأستمالة والمعاتبة اللطيفة [310] وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص إلى الأهواز وأنه سيراسله منها ويبلغ محابّه في الأمور التي التمسها. وندب وزيره العباس للشخوص وأمره بالحيلة عليه حتى ينتزع البصرة من يده إمّا مكراً وخديعةً وإمّا حرباً ومكاشفة.

فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصراني بالحضرة وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمّد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل ديزويه العارض وجرّد معه عسكراً وأزاح علّته في السلاح والجنن[1] والآلات سراً.

فلمّا وصل إلى واسط أقام بها شهراً ونظر في أمورها ومصالح أعمالها ومظالم أهلها وأظهر أنّه راحل إلى الأهواز، وكتب إلى ليلى بن موسى فياذه وكان بالأهواز يأمره بالإستعداد لقصد البصرة والمسير إلى بيّان وقدم حديدياته وسفنه على أنّ فيها أثقاله وكانت مملوّة بالسلاح وأمر أصحابه

---

١. في مط: الجتر. وهو تصحيف.

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الأبلّة ولا يدخلوها ويقصدوا بيان ويظهروا أنّهم يحملون ما معهم إلى الأهواز على طريق حصن مهدى وحدر الطيارات والزبازب تفاريق.

وكتب إلى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير إلى بيّان وكان يتقلد حصن مهدى وأن يحفظ هذه الآلات وأطلعه على التدبير.

وكتب إلى الحبشى بن معز الدولة [311] من واسط بأنّه يفعل كلّ ما يوثره ويهواه ويتحمد عليه بأنّ مصيره عاجلا إلى الأهواز ليستدعى كاتبه إليها ويواقفه[1] على ارتفاع البصرة ويسلّمها إليه. وأومأ فى آخر الكتاب إلى التماس صلح منه على ذلك ويقول فى جملة تعريضاته: «أنّه قد التزم عن الوزارة غرما ثقيلا» ويسأله معونة بما يحمله إليه. فسكن الحبشى إلى قوله ووعده وحمل إليه عاجلا مائتى ألف درهم ولم يشكّ أنّه قد اشترى بها منه البصرة. فلمّا وصلت إليه أنفذها إلى بختيار، ورحل كأنّه يريد الأهواز إلى الحويزة ونهر العباس. ثم عدل عنها إلى نهر البصرة وكان للحبشى رسل قد أنفذهم بأطيار ليكاتبوه بخبره فأرسلت الأطيار إليه بخبره فثار الحبشى وهاج ولم يملك نفسه وأظهر المنابذة والخلاف.

واستوحش من كان بالبصرة مقيماً من الغلمان الأتراك فى تسبيباتهم، فهربوا إلى بيّان فصادفوا بها عسكراً قويّا مع ليلى بن موسى فياذة وأحمد الطويل فانضمّوا إليهما وكانت قد حصلت الزبازب عندهم والملاحون والجنن والآلات والسلاح.

وأخرج الحبشى عسكره إلى الابلّة ورتّب غلمانه وأثبت من عشائر العرب قوماً رتّبهم على أفواه الأنهار وقلّد حاجبا له تركيّاً يقال له. يكتيجور [312]

---

۱. ويواقفه. كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: ليوافقه.

رياسة عسكر الماء وجعل اسفهسلاّر الديلم فى عسكر الظهر صعلوك بن باطاهر[١] أحد وجوه قوّاد البصريين.

فلمّا ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبى جعفر وجّه إلى ليلى بن موسى فياذة وإلى أحمد الطويل ومن معهما يأمرهم أن يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد إليه على تعبية من جانب دجلة الشرقى المعروف بالفرات ولا يعبروا فى طريقهم إلى الأبلّة ولا يقاتلوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم إلى أن يصلوا إليه فيضيف إليهم من معه من الخواصّ والغلمان وقد كانوا مستقلّين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الأتراك الذين هربوا إليهم من البصرة وأقام ليلته ينتظرهم وتعذّرت الميرة عليه وانقطعت المادّة عن عسكره وتحيّر فى أمره حتى لو تأخّر الفتح يوما لما أمكنه المقام ولاحتاج إلى الرحيل فتكون هزيمة عليه.

فلمّا كان الغد أصعد ليلى بن موسى والجماعة على أهبة وتعبية وعملوا على امتثال الأمر وترك التعرض لمن فى طريقهم من أصحاب الحبشى. فلمّا جازوا الأبلّة خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليلى بن موسى ومن معهم إليهم وواقعوهم وغرّقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى[٢] ناجيا [313] بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء.

ثمّ طمعوا فى الظهر فتقدموا إلى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثمّ تهيّأ لطائفة أن صعدوا إلى شاطئ الأبلّة وصاروا فى ظهورهم فاضطربوا وانهزموا وقتل منهم نفر وانهزم قوم واستأمن آخرون وملكت الأبلّة.

وأنفذ ليلى غلاما له فى بعض الزبازب إلى الوزير أبى الفضل مبشّراً

---

١. كذا فى الأصل.

٢. فى مط: صاحب الجيش.

بالفتح، فالتمس السفن والزبازب وعبر إلى قرية فوق الأبلّة وعسكر بها وكتب إلى الحبشي يشير عليه بالخروج إلى الأهواز فالتمس منه الأمان والتوثقة. فآمنه على النفس والولد والحرم وتوقّف عن ذكر المال والحال. فتنبّه الحبشي على ذلك وتردّدت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج.

فعبّى الوزير أبو الفضل عسكره وزبازبه وزحف إلى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيالجة[1] ولم يزل ينفذ إليه رسولا بعد رسول من شجعان الأتراك والديلم ويأمرهم أن يقيموا عنده ويتوكّلوا به ولا ينصرفوا بالجواب، إلى أن أحاط به منهم بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أنفذ أبا سهل ديزويه العارض في طائفة وافرة من العسكر فدخلوا إليه وأخرجوه اخراجاً بين الجميل والقبيح وحمل معه أهله وولده وما خفّ من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير [314] إليه وأمر بأن يسلّم إلى أحمد الطويل ليصير به إلى حصن مهدى ففعل ذلك وأقام هناك معتقلا أيّاماً ثم حمل إلى الأهواز وبقي مدّة أخرى ثم إلى رامهرمز واعتقل بها اعتقالاً جميلاً ثم أزيل التوكيل عنه وحُمل إلى عمّه ركن الدولة بحديث يطول ولا فائدة في ذكره. ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه إقطاعاً يسعهُ ومن معه، وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة كثيرة العيون والأشجار والصيد، فأقام بها إلى أن توفّي في آخر سنة تسع وستّين وثلاثمائة.

الوزير أبو الفضل يملك البصرة ويصادر أصحاب الحبشيّ

وملك الوزير ابو الفضل البصرة عنوة وأنفذ إليه بختيار خلعا جليلة فلبسها وركب فيها ونُصبت له القباب فانبسطت يده وقوى سلطانه وصادر أصحاب

---

١. في نسخة اكسفرد: «بالسباجية». (مد). وفي مد أيضاً: السبالجة.

الحبشيّ وكتّابه وحاشيته ومعامليه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال والجواهر، واستخرج من الأموال شيئاً كثيراً وظفر بخزائنه كلّها. فكان في جملتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر ألف مجلّد سوى الأجزاء والمشرّس[1] غير المجلد ووجد له من خزائن الأسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئاً يُستكثر لمثله فحمل ذلك كلّه إلى بختيار.

وقلّد بختيار ابنه المرزبان البصرة وسنّه ثمان سنين [315] واستكتب له أبا الغنائم المفضّل بن أبي محمد المهلّبي وهو خال ولد الوزير أبي الفضل.

ذكر الدعوة إلى محمد بن عبدالله القائم من أهل البيت (ص)

وفي هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاصّ والعامّ يدعى فيها إلى محمد بن عبد الله القائم من أهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل إنّه الرجل الذي ورد بذكره الخبر وأنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد أعداء المسلمين ويجدّد ما عفا من رسوم الدين. فتطلّعت إليه نفوس العامة وجعل دعاته يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فمن كان من أهل السنّة قيل له: إنّه عباسيّ. ومن كان من أهل التشيع قيل له: إنّه علويّ.

وكتبت عنه رسالة على عدّة نسخ وطرحت في المساجد والمحافل يدعو فيها إلى مثل ما حكيناه عنه، فحصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل في أول وزارته فتقدم بإذكاء العيون على الطائفة الخائضة في هذا الباب والقبض على من يوجد منها. ثم انحدر قبل أن يظفر بأحد منهم وتقدم إلى خليفته

---

١. كذا في الاصل وعند ابن الاثير. وفي القاموس المسرس: قال صاحب تاج العروس يقال: مصحف مشرز ومسرس. المشرز المشدود بعضه إلى بعض المضموم طرفاه. فإن لم يضمّ طرفاه فهو مسرس بسينين. (مد)

أبي العلاء صاعد بن ثابت بالجدّ في طلبهم.

فلمّا نظر في ذلك وجد جماعة من وجوه الكتّاب وأماثل الناس قد دخلوا في هذا الأمر وبايعوا الدعاة إليه، وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والأتراك والعرب [316] قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين العجمي أحد أكابر القوّاد: قواد معزّ الدولة، ممن قاد الجيوش وتقلّد الأعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الأتراك بمنزلة من لا يخالف في الرضا والسخط وكان يتشيّع وقيل له إنّ الرجل علويّ، وإنّه يقلّدك إمرة الأمراء. فاستجاب واستفحل أمر القوم.

ذكر السبب في اضمحلال أمره حتي ظُفر به وبأسبابه ودعاته وجميع من دخل معه في بيعته

كان هذا الرجل محمد بن المستكفي طرأ إلى مصر[1] فتقبّله كافور الاخشيدي الخادم وأحسن إليه وأجرى عليه رزقا سنيّاً. فكاتب جماعة من أصحابه بالدعاء إليه فجرى أمره كما حكينا.

فلمّا كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقوّوا بمكان سبكتكين العجمي كاتبوه بالحضور وكتب إليه سبكتكين: إنّي أقوم لك بالأمر.

فورد هيت وهو لا يشك أنّ الأمر مستقرّ له ومستتبّ على إرادته. وخرج سبكتكين العجمي وكان يتقلّد حماية طريق الفرات إلى الأنبار وأظهر للسلطان أنّه ينظر في مصالح عمله، فتلقّاه وترجّل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وأنفذ إليه فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاماً كثيرا وشرابا. وعمل على

---

١. في مط: سفر. بدل «مصر».

إيقاع حريق وفتنة فى ليلة النيروز المعتضدى لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع [317] به وواطأه على ذلك خلق من الجند فظهر له قبل النيروز أنّه عباسي وليس بعلويّ فتغيّرت نيّته، وتصوّره بصورة المحتال وواجه بعض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه أنّه كذّاب مموّه وتثاقل عن نصرته وأظهر الندم.

وخاف محمد بن المستكفى أن يقبض عليه وأحسّ أصحابه ودعاته بذلك فاستوحشوا وتفرقوا، فبعضهم هرب إلى ناحية السواد وبعضهم أمعن فى الهرب. وعرف السلطان خبرهم فكاتب العمال بالتيقظ فى طلبهم وإذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فأمر بتقريره بالسوط فأقرّ على جماعة أخذوا ولم يزل التتبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفى وأخوه فأوصله بختيار إليه واستشرحه الأمر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه.

فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه إليه مع أخيه، فأبى عليه ودافع عنه وقال:

ـ «قد آمنته.»

فبذل المطيع لله لهما الأمان على النفس. فلمّا حصل الجميع فى يده تقدم بجدع أنف محمد بن المستكفى وقطع أنف أخيه وحبسهما مدّة. ثمّ هربا وخفى خبرهما ووقع الإستقصاء على كل من دخل فى بيعته، فصودروا وأدّبوا ضروب[1] التأديب ولم يقع الإقدام على سبكتكين العجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وإنّما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنح فى الجواب إلى الإنكار وأُغضى عنه وعن الجند. [318]

---

١. وفى مط: لضروب.

عضد الدولة يملك كرمان

وفي هذه السنة صفت كرمان لعضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير[١] وهى خزانة أبى على ابن الياس التى جمع فيها ذخائره على مرّ السنين من الأموال والجواهر والأمتعة الفاخرة.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو على ابن الياس لما عاود كرمان بعد إبراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصعلكين وآمن ناحية عماد الدولة علىّ بن بويه لما ذكرناه فيما تقدّم فشارك اللصوص وصعاليك القُفص[٢] والبلوص فحصل عنده على طول السنين من جهتهم مال عظيم في القلعة التى وصفناها.

ولما مات علىّ بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فنّاخُسره كان فى نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلمّا استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار إلى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصلح له نية أبيه وعاد إليه فوعده بولاية العهد ورياسة العسكر.

ولما كان فى هذه السنة وقع القُفص[٣] على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه فى الطريق علة الفالج ورُدّ إلى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة: اليسع وسليمان والياس، فخاطبهم بما ظنّ أنّه يجمع كلمتهم واعتذر [319] إلى اليسع من النبوة التى سبقت منه حتى فارقه ثم جمع إليه

١. فى مط : بردشير.
٢. فى مط : القصص.
٣. وهنا فى مط أيضاً : القفص.

تدبيره عسكره[1] وولاية عهده ومن بعده الياس.

فأمّا سليمان فإنّه أشار عليه بأن يرجع إلى بلده وهو الصغد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفائنه وودائعه هناك وأراد بذلك أبعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهما فأظهرت الجماعة قبول أمره والانتهاء إلى رأيه.

وشخص سليمان نحو الصغد بما قسمه له. فلمّا صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك السمت وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذى كان أبوه شخص لتسلمها. فتمّ له الوصول إليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم إلى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد إلى السيرجان وكان يتولاها من جهة أبيه.

فلمّا بلغ أباه ما صنع، غضب من مخالفته إيّاه واغتاظ منه فأمر اليسع بطلبه وقوّاه بالرجال وقد كان العسكر مطيعين له وأمره إن يضطرّه إلى الخروج إلى الصغد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصّاه إن خرج نحو الصغد أن يخلّى له الطريق ولا يتبعه.

فخرج اليسع إلى السيرجان وتحصّن سليمان منه واقتتلا أيّاما. ثم استظهر اليسع فحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة قاصدا [320] خراسان فتركه اليسع امتثالا لأمر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم.

ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل إليه أمره حتى أخرج أباه إلى خراسان مكرهاً

كان فى جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدى ويلقب

---

١. كذا فى مط ومد: عسكره. والأصل يمكن أن يقرأ «تدبير معسكره».

بيستُويه شديد الغلبة عليه والتمكن منه وبينه وبين اليسع وحشة متأكدة. فخافه على نفسه فاجتمع مع اسرائيل المتطبب وكان أيضاً مكينا عنده، ومهندس كان معه يقال له: المرزبان على إفساد نية أبي علي ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحركوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بأن ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابه يقال له: تُرمش[1]، ليكون الأمر غير خارج عن يده مادام حيّا. ولـيكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه. فقبل منهم هذا الرأى وكتب إلى اليسع بأن ينكفئ إليه واستدعاه إلى القلعة وكان لا يصعدها إلّا وحده دون كل أحد على رسم القلاع.

فلمّا حصل عنده وليس فيها إلّا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمه وجواريه قبض عليه وقيّده وفوّض أمر الجيش إلى تُرمش الحاجب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به.

فمشت والدة [321] اليسع إلى والدة الياس وقالت لها:

ـ «إنّ صاحبنا كان عقد لولدينا عقدا هو الصواب، لكنّه قد اختلّ عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتمّ لهم على ابنى ما سيتمّ مثله على ابنك وحينئذ تخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنتقل إليهم وإلى من نصبوه [يعنى ترمش الحاجب] والصواب أن تساعدينى على تخليص ولدى ليكون الأمر جاريا مجراه الأول.»

فساعدتها وقبلت رأيها.

وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في علّته فاتفقت المرأتان على أن جمعتا الجوارى وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدى بسّويه ليوقعن به.

---

١. في مط: ترمس.

فاتفق له أن أفلت وهرب واستنقذن اليسع وعالجن قيده فلم يكملن لكسره وخشين فوت الأمر فاتخذت له أمّه حبالا متينة من ثياب ديباج حتى تدلّى من القلعة إلى الأرض لأنّها لم تتمكن من إخراجه من باب القلعة. فلمّا حصل فى الأرض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابّته فركب وتوسّط العسكر فاستبشروا به وعادوا إلى طاعته وخدمته.

وهرب تُرمش الحاجب وجمع اليسع الجيش ليسير بهم إلى تحت القلعة ويحاصرها ويتغلّب عليها، وكان الشيخ فى جميع ذلك [322] مغمى عليه[١] لا يعقل شيئاً مما جرى. فلمّا أفاق من غمرته وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكفّ عنه ويؤمنه على نفسه وحرمه ومن معه حتى يسلم إليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل إلى خراسان ويكون عوناً له هناك متى احتاج إليه.

فأجابه إبنه إلى ذلك ومكنه من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج إليه من الآلات والكراع وشعّث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الآلات والكسوة ورحل فلم يؤاخذه اليسع بما فعل بل احتمله ووفّى له بالأمان الذي بذله وتركه حتى نفذ إلى مقصده[٢].

وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسلّمهم إلى كاتبه ومدبر أمره أبي نصر محمد بن اسماعيل اليمّى وأمره بمطالبتهم فاستخرج منهم مالاً عظيماً.

وتلف اسرائيل الطبيب ثم وجه للمعروف بيسّويه كتابا كتبه إلى خراسان فيه الإغراء به والذم له وكان قد عفا عنه فأعاده إلى العقوبة حتى هلك فيها.

---

١. والعبارة فى مط: وكان الشيخ معمىا عليه من جميع ذلك لا يعقل شيئاً.

٢. فى مط: صفده.

وابتدأ فنّاخسره عضد الدولة في تخبيب[١] رجال ابن الياس فاستأمن إليه أكثر الديلم والأتراك وكان حينئذ أبو علي ابن اليـاس بـخراسان يـطمع[٢] صاحبها في مملكة [323] الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك.

وتفرّغ عضد الدولة لقصد كرمان ودسّ إلى كلّ من له رأى أو نجدة من خبّبه وأصلح قلبه له. ثم توجّه إليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بـردسير وهي عظيمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض، وانهزم اليسع إلى خراسان وصادف وصول اليسع إلى خراسان موت والده، فاحتوى صاحب خراسـان على ما سلم معه من بقية ماله وكراعه.

ولما تمّ لعضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كـاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانُويَه.

وأنفذ إلى عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخلعةُ من الطوق والسوارين والعقد على أعمال كرمان كلّها. فقلد عضد الدولة هذه الأعـمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخلف له عليها كوركير بن جَستان وكان وجه قوّاد عسكره وانصرف إلى شيراز.

ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [324]

وفيها استأمن حمدان بن نـاصر الدولة إلى بـختيار ودخـل إلى مـدينة السلام.

---

١. تخبيب: كذا في الأصل ومد. ما في مط مهمل.

٢. في مط: فطمع.

ذكر السبب في ذلك

كان ناصر الدولة قلّد حمدان ابنه الرحبة وسوّغه ارتفاعها وكان أبو تغلب وأخوه أبو البركات ـ وأختهما المسماة جميلة ـ بني[١] زوجته فاطمة بنت أحمد الكردي وكانت مالكة أمر[٢] أبيهم. فاستولى أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبّرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف. فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده فيما همّ به، فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقاً وانفراجاً حتي خافوه، ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانه الذين تابعوا أبا تغلب، فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه إلى القلعة. واتصل ذلك بحمدان فامتعض لأبيه وكان عدوّا مباينا لإخوته هؤلاء، وهو أشجع[٣] أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمّه سيف الدولة من الرحبة إلى الرقّة فملكها ثم سار من الرقة إلى نصيبين. واستفزّ على أبي تغلب من أطاعه [325] من أهله وإخوته وجندهم وطالبهم بالإفراج عن أبيه وردّه إلى منزله وأمره فتوجّه إليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصّن بالرقّة ومنها في الرافقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطلحا على دخَل[٤] وعاد كل واحد منهما إلى موضعه.

---

١. وفي الأصل: بنو.
٢. في مط: أمّ.
٣. في مط: أسجع.
٤. كذا في الأصل ومط: والمثبت في مد: دَخل.

موت ناصر الدولة

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ثمان وخمسين واستعمل أبو تغلب وعمّاله كلّ قبيح مع حمدان في ضياعه وأملاكه وطرد عنها وكلاؤه وانخرقت الحشمة بينهما فأنفذ إليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلمّا قرب منه استأمن إليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزماً واحتمل حرمه وعياله وغلمانه ومن تبعه وورد هيت مستأمناً إلى بختيار وكتب إليه يستأذنه في الدخول فأجابه بالإذن والقبول وخرج فتلقّاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء وفرشها فرشا فاخرا وحمل إليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودوابّ بمراكب ذهب وفضّة وتكفّل بالتوسّط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ إليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي[١] نقيب الطالبيّين برسالة في الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان إلى الرحبة [326] وحمل إليه بختيار هدية مثل الأولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيّعه بختيار مع جيشه ثم عاد مستأمنا دفعة ثانية على ما سنذكره.

دخول جوهر مصر

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الأخشيدية وتمزّقوا.

١. في مط: الموسري.

وفيها نفى شيرزاد بن سُرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام

ذكر السبب فى ذلك

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجبر وحلف بختيار على أن لا ينفذ عزماً ولا يقرّر أمرا إلّا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجندية وادّعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقرّباً إليه وكثر تعلقه بالأموال والتلاجى[١] وشره إلى اكتساب الأرباح من غير وجوهها ولم ينقبض عن شيء همّ به ولم يمكن أحداً أن يعتصم منه. ومنع بختيار من عطاياه التي كان يبذلها للديلم والأتراك وقوّى عزيمته على الثبات والتماسك وخاض معه فى إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل إنّه واطأ بعض الديلم على الفتك به إذا حضر الدار ليتسع[٢] بأمواله ونعمته. وعزم على تقلد الجيش والتسمية [327] بالاسفهسلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع أن يلقى بختيار أو يدخل داره إلّا فى الأحايين البعيدة على تحرّز واستظهار.

وثقل أمر شيرزاد على الجند لأنّ بختيار كان عوّدهم ألّا يردّهم عن شيء يلتمسونه من واجب ومُحال وقليل وكثير، فمنعه شيرزاد من ذلك وناصبه الكُتّاب أيضاً العداوة للخوف من شرّه وانقباض أيديهم عمّن يلتجئ إليه وكثر الدعاء عليه من أفناء[٣] الناس.

واجتمع الأتراك على عداوته وصاروا ينسبون كلّ حال يكرهونها وينكرونها إليه. وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرّز منه لما فسد بينه وبينه

---

١. التلجئة هى أن يلجئ الضعيف ضيعته إلى قوىّ ليحامى عليها. قاله صاحب مفاتيح العلوم.

٢. من هنا إلى «بالاسفهسلار» ساقط من مط.

٣. فى مط: أصناف الناس.

ويستميل الأتراك ويوسع عليهم فمشى بعضهم إلي بعض وتوافقوا على الفتك به، ثم رأوا أن يستأذنوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك.

ونمى الخبر إلى بختيار فتقدم إليه بالمصير إلى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس عليه ومسألته كفّ القوم وضم إليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما إذ ذاك منافقة لم ينهتك سترها. فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الأتراك عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخويفه حتى يهرب وألّا يقارّوه بالحضرة. فأمسكوا عن قتله [328] بعد أن همّوا به. وكان يجرى أمره مجرى صالح بن وصيف بسرّ من رأى أيام المهتدي بالله.

فلمّا وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير إليه وخاطباه وتضرّعا إليه صدّقهما عن الصورة وأعلمهما أنّه لولا خطره على الأتراك لقُتل شيرزاد ولما تركوه أن يصل إليه وأشار عليه بالرحيل من ساعته إلى حيث شاء.

فخرج وهو يائس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الأتراك مجتمعين في دار سبكتكين يموجون في أمره ويتوعدونه ويغلظون له ويشتمونه، فأسرع الخروج إلى حضرة بختيار وعرّفه ما جرى، ثم التفت إلى الوزير فأسمعه غليظ ما يكره وقال له:

ـ «هذا من عملك وتدبيرك.»

فحلف له بالطلاق على براءته مما ظنّه به فأجابه بيمين الطلاق أنّه كاذب في جحوده.

ثم خلا بختيار بشيرزاد فحذّره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد إليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته

ونعم أسبابه وواقفه[١] على أن يحرس عليه بعد خروجه دارهُ وأهله وولده وضياعه وأن يوقع عليه اسم ابنه سلاّر بن بختيار لتنحسم عنها أطماع الديلم والجند إلى أن يستصلح نيّات الأتراك ونيّات سائر العسكر[٢] [329] ثم يعود إلى حاله ويجرى على رسمه فى الخدمة وانحدر فى الوقت إلى الأهواز ثم صار منها إلى أرجان وبها يومئذ الأستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد. وكان حاجبه روين[٣] قريبا لشيرزاد وكان قد توفّى ففجع به جداً ووجد به وجداً شديدا. فلمّا وصل إليه شيرزاد رأى فيه شبها منه وتخيل فيه شمائله فعطف عليه وتحفّى له وأكرمه وحمل إليه مالا وكسوة وكتب له إلى ركن الدولة كتبا مؤكّدة ووعده بتوسط أمره وأشار عليه أن يخرج إلى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم ببابه إلى أن يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق أن خرج إلى الريّ وتوفّى بها.

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه أنّه ثانى يوم خروجه قبض إقطاعه وضياعه وأملاكه وجواريه ودوره ونكب كاتبه وأسبابه واستثار أمواله وودائعه ونقل ابنه سلاّر إلى داره وسلّم إليه إقطاعه لا على الأصل الذى قرّره معه شيرزاد بل على أن يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه.

القبض على الوزير أبى الفضل العباس

وحُكى أيضاً أنّ نفي شيرزاد كان فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. ثم أنّه بعد شهرين من نفى شيرزاد قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتّابه وأسبابه واستصفى أموالهم وقلّد الوزارة [330] أبا الفرج محمد

---

١. في مط: واقفه. وهو المثبت فى مد.

٢. فى مط: سائر العرب.

٣. فى مط: ذوير. والضبط في الأصل هنا كذا: رُوين. وفى بعض المواضع: رُدين.

بن العباس وقلّد الديوان[١] أبا قُرّة الحسين بن محمد القنّائى.

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

ذكر السبب فى القبض عليه

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قُرّة وهو رجل من دير قُنّي حسن الذكاء قد نشأ بين كتّاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختصّ بأحمد ابن عليّ القُنّائى فتمهّر ولم يزل يتدرّج فى التصرف حتى تقلد واسط رئاسة من قبل السلطان فاقتنى أموالا جليلة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجرأة على السلطان يقدم على أمواله إقداما لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتداء إلى وجوه الحيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فإنّه كان يُرفق الوزراء والعمال باليسير ويتوصل به إلى الإرتفاق الكثير.

فاضطرّ أبو الفضل فى وزارته لبختيار عند الحاجة والإضافة إلى معاملته وكان يسعرها في وقت البيدر فربما قام عليه الكرّ بثلاثة أكرار. هذا إلى أمثال ذلك فى معاملات الحنطة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيّته بواسط فانبسطت يده عليهم [331] فتأوّل عليهم وقوى بأموالهم. وكان الواحد منهم إذا تظلّم منه لم ينصف وردّ إليه أمره فيبسط المكروه عليه فصارت رعيته تشكره على طريق الخوف منه.

ولما غاب أبو الفضل الوزير إلى الموصل أيّام معز الدولة مكّنه واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شيرزاد كاتب الفارسية ليعزّه ويمنع منه مُراغمة أبى الفرج محمد بن العباس. فكان أبو قُرّة يُهدى إلى شيرزاد ويلاطفه ويكثر وجوه المرافق والمبارّ له ليمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت الحال بينهما حتى

---

١. والمثبت فى مد: الدواوين. خلافاً للأصل ومط.

انقطع إليه ولم يتمكّن أحد من الرجلين منه أعني أبا الفرج وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيّام معز الدولة.

وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكّن أحد من الكتّاب أن يستوفيها عليه فيقرر بأكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التي ذكرناها وسوى ما يستغلّه من أملاكه وسوى ما يستخرجه من المصادرات والمصانعات.

وكان شيرزاد يطالب الوزير أبا الفضل بما كان واقفه[1] عليه إذا تـمّم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتدّ عليه بما يصل إليه من جهة أبى قرّة وقال له:

ـ «هذا الرجل عاملى وإنّما ضممته إليك لينوب عنّى [332] عند غيبتى عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغي ان أحتسب به عـليك وتعتدّهُ لى.»

ويستجيبه شيرزاد بأنه لا يحتسب له إلاّ بما يصل إليه من صـلب مـاله وخاص إقطاعه وإرتفاقاته. ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كـل واحد من صاحبه واستوحش أبـو قـرة أيـضاً واخـتص زيـادة اخـتصاص بشيرزاد.

فطمع فى المنازل العالية لما يرجع إليه من الكفاية فى نفسه ثـم للـحال المتأثلة واليسار العـظيم واضـطر الوزيـر إلى مـغالطته عـن نـفسه وإيـناسه والاستعانة به على شيرزاد وهو كان سبب اتصاله به. فلمّا تمّ على شيرزاد ما تمّ من النفى همّ الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبّر أمره على أن تدرك غلّاتهُ وخشى فى الحال إن مدّ يده، أن تنقطع مادة ما كان يقيمه من قضيم الكراع وواقف[2] بختيار على أنّه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتى ألف دينار.

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئاً من أسرار نفسه ولو فيما جرّ

---

١. كذا فى الأصل: واقفه. والمثبت فى مد: وافقه.
٢. كذا فى الأصل: واقف.

عليه ذهاب النفس والملك فأخرج حديثه وسرّه فبلغ أبا قرة ما جرى وكان يخشى عداوة أبي الفرج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له وَزَرٌ[١] غير شيرزاد [333] وكان قد نفى فاضطرب واحتال حتى توصل إلى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الإصبهاني صاحبه وثقته ذلك المال الذى كان يرتفق به شيرزاد بن سرخاب. فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شيرزاد فصار في ظل أحصن من الظل الأول وتعذّر على الوزير أن يملأ عينه منه فضلا [عن] أن يمدّ يده إليه.

فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها: الإضاقة وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقروض[٢] التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها: عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها: حسده له على ظاهر حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والمروءة الظاهرة ومنها: استمالته وجوه الأتراك ومكاثرته إياه في الاحسان إليهم ومنها: عداوة بختكين آزاذرويه وكاتبه سهل بن بشر إيّاه لقصده إيّاهما بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرته إيّاهما ومنها: عداوة صاحب الديوان أبي الفرج وأخيه عليّ بن العبّاس على قديم الأيّام ومنها: إنقلاب أبي قرّة للأسباب التي ذكرناها، فخلا من كل صديق ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه.

ثم اضطرّ [334] أبو الفرج محمد بن العبّاس إلى مصادقة أبي قرّة ليتعاضد على أبي الفضل لا لمودّة حقيقية فاتّفقا على أن يخاطبا سبكتكين الحاجب

---

١. الوَزَر: الملجأ.

شر السباع العوادى دونه وزر | والناس شرهم ما دونه وزر

٢. في الأصل ومط: القرض.

فى مراسلة بختيار وموافقته[١] على القبض على أبى الفضل وضمنه أبو الفرج محمد بن العبّاس تسعة آلاف ألف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتّابه وجميع المتصلين به على أن يتقلّد الوزارة ويتقلّد أبو قرّة الديوان. ففعل ذلك وقبض على أبى الفضل كما سبق القول فيه.

فلم يلبث محمد بن العبّاس أبو الفرج فى وزارته إلّا يسيراً حتى اضطربت أموره ولم يف بما ضمنه لبختيار وتمكن أبو قرة من السعي عليه وردّ أبى الفضل إلى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف ألف من جهته بضمان سبكتكين عنه.

شرح الحال فى ذلك وسبب تمكن أبى الفضل بعد نكبه[٢] حتى أعيد إلى الوزارة ومكن من أبى الفرج

لما خلع على أبى الفرج الخلعة التى تخلع على الوزراء ومكن من أبى الفضل وسلّم إليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل فى داره وضيّق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه.

فلمّا وقف عليه الأمر طالبه بالمال وناظره فاستقرّ ما بينهما على أن التزم ثلاثة آلاف ألف درهم يحتسب منها [335] بما صحّ من خاص أمواله وأثمان غلّاته وآلاته وكراعه ويوفّى ما يبقى واشترط أن يوسّع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل إليه ليستسعفهم ويقرض منهم. فأحجم أبو الفرج محمد ابن العبّاس عن التنفيس عنه خوفا من نفاذ حيلته عليه وأعاده إلى الحبس

---

١. كذا فى الأصل: مواقفته. والمثبت فى مد: موافقته.

٢. كذا فى الأصل: نكبه. فى مط: نكبته.

والتضييق وانفسخ ما قرّره معه وعطف على أسبابه فتنّى المصادرات عليهم وعسفهم وأرهقهم وجازفهم ومات في حبسه صهر لابى الفضل العباس بن الحسين يقال له : إبراهيم بن محمد الدهكي، فاتهم به وأنّه قتله بالعذاب والمطالبة.

وخلع على أبي قرة لتقلّد الديوان بعد أن أرفق بختيار بمال على ذلك وأقرّت[1] واسط في يده فصار ضامناً لها خاصة مستوفيا على غيره من الضمناء وتلقّب بالرئيس لأن أبا الفرج كان أيّام تقلّده الديوان متلقّبا بهذا اللقب فأنكر أبو الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحصينا لهذا اللقب عن أبي قرة.

ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قُرّة
وما تمّ له من عزله وتولية أبي الفضل

وابتدأ أبو قرّة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم أنها من [336] حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيها. فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزيد حتى ترامت إلى نهاية الفساد وضمن أبو قرّة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج الأمر بأن يخاطَب به.

وكان معزّ الدولة أطلق لابى الفرج وأبى الفضل عند إخراجه إيّاهما إلى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أبوابهما بالدبادب في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات. فصار ذلك رسما لهما إستمرّا عليه ولم يقطعاه عند انصرافهما من وجه الحرب. فلمّا تقلّد أبو قرة الديوان أجراه

---

١. في مط : وأمرت.

مجرى حقوق العمل التى تستوفى واحبّ أن يضرب على بابه بالدبادب. فسأل بختيار ذلك فأجابه إليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر، ثم بذل فيه أبو قرة مالا فخرج أمر بختيار بأن يطلق له ذلك.

ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة مالاً فخرج أمر بختيار بأن يطلق له ذلك ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة فى التنافس إلى أبعد غاية وفى العداوة إلى أقصى نهاية. وكان صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما فى أمثال هذه الأشياء ولم تُحفظ مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تتميز من سواها.

فتقدّم الوزير أبو الفرج إلى كتّابه بعملٍ لأبى قرة ومؤامرة تشتمل على ما يجب عليه في مردود حسباناته التى عملها فى سنى ضمانه وإثارة جميع ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة [337] والحديثة فعملت هذه المؤامرة واشتملت على ستة آلاف ألف درهم ونسبت هذه الاموال إلى جهاتها وعرضت على بختيار وأطمع فى وجوبها وأن حاله تفى بها فأمر بمطالبته.

واعتصم بسبكتكين الحاجب فحامى عليه واغتاظ بختيار من تعززه عليه ووجد خصومه الطريقَ إلى إغرائه به وأقاموا فى نفسه أنّه سيحمل سبكتكين على خلع طاعته وإزالته عن مملكته. فأنفذ بختيار إليه نقيبا ووكّله به فى دار سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه بختيار ومنابذته وكان شاع عنه أنّه إنّما يحامى على أبى قرة لمرفق يأخذه منه، فترك الاغراق فى نصرته وسلمه إلى بختيار على موجدة فى نفسه وحمية في قلبه ووعد أبا قرة أنّه سيتكلم فيه ويستنقذه.

فلمّا صار عند بختيار سلّمه إلى الوزير أبى الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن إلى إطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا ووقفت الأمور التى كان ينظر فيها من

إقامة القضيم للكراع ومهمات التسبيبات عليه.

وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان يعامله به من المجاملة والنفاق ورأى [338] أنّه على علّاته[1] كان أصلح له من أبي الفرج وضعف قلب أبي الفرج بفساد رأيه.

وكان أخوه أبو محمد على بن العبّاس الخازن مستوليا على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الأنس والمنادمة فأشفق أن يجرى عليه من سبكتكين ما جرى على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين بإطلاق أبي قرّة وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر في حاله وأن يصير إلى واسط على رسمه الأوّل ويعتزل الديوان. فلمّا أفرج عنه أقام القضيم ونفذ الأمور المتعلّقة به وانحدر إلى واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السعى لأبى الفضل فى الوزارة وإنقاذه من محبسه والقبض على أبى الفرج وأبى محمد على بن العبّاس وأسبابهما.

وقد كان الوزير أبو الفرج عطّل ديوان أبى قرّة ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبة العمال وكان له كاتب أهوازىّ يُعرف بابن السكر قد اتسمت حاله فشرع فى تقلّد هذا الديوان وبذل لبختيار مالاً يصحّحه له فى كلّ سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أنّ هذا الديوان زمام له على الوزراء وأنّ الوزير الآن مستبدّ بالجميع وفى ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع.

واتّصل الخبر بأبى الفرج فغلظ[2] عليه وعظم فى نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر [339] على أن يتقلّد كاتبه هذا الديوان على مراغمته فأجابه بأنّه لا بدّ من صاحب ديوان يكون معه «فاختر أنت من تحب» فهان عليه ردّ أبى قرة إلى نفسه وكان أخفّ على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر

---

١. فى مط: علامته.

٢. فى مط: فغلظ.

فيه فكوتب بالاصعاد فورد وجددت له الخلع وقلد الديوان.

وكانت المراسلات بينه وبين أبي الفضل متصلة وذلك أن أبا الفضل كان واسع الصدر فأفضل على الموكلين به من غلمان الوزير أبي الفرج ووسّع عليهم وأكثر في برّهم والإحسان إليهم فلم يمنعوه من مكاتبة من يريد مكاتبته وأوصلوا إليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الحيل وتمّ له أكثر ما حاوله. فلمّا ورد أبو قرّة بغداد تمكن من إتمام أمره والسعي له.

واشتدت الإضاقة بأبي الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه. لأنّ واسط انغلقت عليه بأبي قرة والبصرة والأهواز انغلقتا عليه بالأتراك الذين استبدّوا بأموالهما في تسبيباتهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبي الفضل لأنّه اقتصر على أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسعى في الوزارة وهو لا يعلم انه قد سعى وفرغ واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له [340] ولأخيه وتعصّب الجند عليهما كحال أبي الفضل لمّا قبض عليه.

ذكر ما احتال به في هذه الحال وما عرض له من سوء الاتفاق

لمّا أحسّ باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأحال على أموال وقفت عليه بالأهواز وأنّه يريد الشخوص إليها فمنعه بختيار من الخروج إلّا بعد إقامة الوجوه للنفقات التي بحضرته لئلا تتوجه عليه المطالبات بعد خروجه ويقع إخلال بالإقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بحضرته حتى ضمن له ذلك. وواقفه[١] على وجوه ظن أنّها زاجية[٢]

١. كذا في الأصل ومط: وواقفه. والمثبت في مد: وافقه.

٢. كذا في الأصل: زاجية. زجي الخراج: سهلت جبايته. زجي الأمر: نجع وتيسّر. والمثبت في

وأضاف إليه ابن أخته المعروف بأبي القاسم عليّ بن الحسين المشرف على أنّه ناظر في الدواوين والحسبانات وشخص إلى واسط.

وشخص أبو قرّة على أثره بعد أن قرر أمر أبي الفضل وفرغ منه ولكن تعلق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده بها أبو الفرج والضمانات التي ضمنها أخوه. فلما حصلا بواسط ضايقه أبو قرّة في الأمور وعارضه في التدبير وكان مستوليا على البلد بالضمان، ثم علي سائر الاعمال بحق النظر في الديوان ثم بالعناية التي كانت له من سبكتكين. فخفف الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الأهواز.

فحدث عند تدبيره وعمله [341] على المسير أن توفّي رجل كان متغلبا على أسافل واسط وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل بأحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقاطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة. فقدّر محمد بن العباس الوزير أن يصل إلى أمواله فانتقل إلى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له: خاقان، فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل إلى مضايق البطيحة.

ووجد أبو قُرّة فرصته فأخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه وأعلمه أنّه معه وعونه ثم عمل أعمالاً أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط على هذا المتوفي شيئاً كثيراً من الغلة والمال. ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انّه لا حقّ له في شيء مما يصل إليه من أموال هذا المتوفى إلّا بعد أن يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه.

فسار الوزير أبو الفرج إلى بلاد لم يجد فيها شيئاً ولو وجده لنازعه فيه

←

مد: راجية. وفي مط: واجبة.

أبو قرّة، وحصل منازلا لخاقان بحيث لا يمكنه الدخول إليه ولم يصادف في تلك الأعمال انساناً بكلمة ولا حبّة من غلّة ولا أثراً من مال. فجنح إلى مراسلة خاقان والتماس مصالحته. فامتنع عليه ونازله أياماً كثيرة حتى ملّ [342] وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم الموادّ فاضطرّ إلى الرحيل ورضي بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير ووقعت المنازعة فيه بينه وبين أبي قرّة حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج إلى الأهواز.

وكاتب أبو قرّة بختيار يعلمه أنّه ليس له وجه درهم واحد وأنّه خرج «مستروحا إلى البعد عنك لتندفع عنه النكبة التي خافها من جهتك» وكتب إلى بختكين آزاذرويه يحذّره منه فكتب بختكين إلى بختيار بانّه لم يبق عليه شيء وأنّ تسبيبات الأتراك وأنزالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وأنّ محمد بن العباس الوزير إنّما يصير إلى أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمدّ يده إلى أموال السنة المقبلة.

ووافق ذلك أن أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحّح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده ولكثرة الاراجيف بأخيه وبه وبأنّ بختيار قد تمت المواققة[1] بينه وبين أبي الفضل على اعادته إلى الوزارة وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف الف درهم وأنّه يطلق الإستحقاقات ويدرّ النفقات.

فكتب بختيار إلى بختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم [343] إلى الأهواز وكتب إلى أبي قرة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتّى لا يفوت أحد منهم وقبض بختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان

---

١. كذا في الأصل: المواققة. في مط: الموافقة. كما هو المثبت في مد.

جالساً معه يشرب على رسم كان له فى منادمته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان فى دار أبى الفرج وخلع عليه للوزارة.

خروج ابن العميد إلى الجبل

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفصل ابن العميد إلى الجبل فى خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردى.

ذكر السبب فى ذلك[1]

كان حسنويه بن الحسين الكردى قد قوى واستفحل أمره لما وقع من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولأنّه كان إذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق بها الاحسان إلاّ أنّه مع ما أقطع وأغضى عنه من الأعمال التى يتبسّط[2] فيها والاضافات التى يستولي عليها ربما تعرض لأطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التى يبدعها فيضطر الناس إلى إجابته ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الأيام وتتشاغل الولاة عنه إلى أن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحّة تلاحّا فيها إلى أن قصده ابن مسافر بالحرب [344] فهزمه حسنويه وكان يظن ابن مسافر أنّه لا يكاشفه ولا يبلغ الحرب بينهما إلى ما بلغت إليه فلم تقف الحرب حيث ظنّ وانتهى الأمر بينهما إلى أن اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة إلى موضع شبيه بالحصار ونزل الأكراد حواليهم ومنعوهم من الميرة وتفرّقوا

---

١. روى هذه الحكاية ياقوت الحموى في كتابه ارشاد الأريب (٥ : ٣٦٨) عن أبى علىّ مسكويه. (مد)

٢. والمثبت فى مد: يتسط.

بإزائهم.

ثم زاد الأمر وبلغ إلى أن أمر حسنويه الأكراد أن يحمل كلّ فارس منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدّة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحميت الشمس عليهم مع حرّ النهار فأخذ بكظمهم وأشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الأمان فرفق بهم وأمسك عمّا همّ به.

وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كلّه له وتقدم إلى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد ـ وهو الاستاذ الرئيس ـ بقصده واستئصال شأفته، وأمره بالاستقصاء والمبالغة.

فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عُدّة وزينة وخرج ركن الدولة مشيّعاً له وخلع على القواد ووقف حتي اجتاز به العسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة، ورضي العدة والقوة [345] فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد إلى الري.

وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح وكان شابًا قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة وعرف تدبير المملكة وسياسة الجند فهو بذكائه وحدّة ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة وهو مع ذلك لقلّة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الأمور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويحبّ أن يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخلع عليهم خلعا كثيرة ويحمل رؤساءهم وقوّادهم على الخيول الفُره[1]

---

١. الفارهة: النشطة.

بالمراكب الثقال ويريد بجميع ذلك أن يسلموا له الرئاسة حتى لا يأنف أحد من تقبيل الأرض بين يديه والمشي قدّامه إذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الأستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه أنّ ذلك لو كان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق إليه.

ابن العميد يصف الديلم

ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وأنّه ما ملكهم أحد قطّ إلّا بترك الزينة وبذل مالا يبطرهم ولا يخرجهم إلى التحاسد ولا يتكبّر عليهم ولا يكون إلّا في مرتبة أوسطهم حالاً وأنّ من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسد على نعمته [346] والسعي على إزالتها وترقّب أوقات الغرّة في آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت.

وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظنّ أنّه قد ملأ قلبه رعباً وأنّه سيكفّ عن السيرة التي شرع فيها. فما هو إلّا أن يفارق مجلسه ذاك حتى يعاود سيرته تلك فأشفق الاستاذ الرئيس في سفرته هذه أن يتركه بحضرة صاحبه فيلج في هذه الأخلاق ويغترّ بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي إلى ما لا يتلافاه فسيّره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا علىّ محمد بن أحمد المعروف بابن البيع، وكان فاضلاً أديباً ركينا حسن الصورة مقبول الجملة حسن المخبر خلقا وأدبا.

ابن العميد وابنه ابو الفتح

فلمّا كان في بعض الطريق ـ وكان يركب العماريّات ولا يستقلّ على ظهور الدوابّ لإفراط علة النقرس وغيرها عليه ـ التفت حوله فلم ير في

موكبه أحداً وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيرى فسألنى عن الخبر فقلتُ له:

ـ «إنّ الجماعة بأسرهم مالت مع أبى الفتح إلى الصيد.»

فأمسك حتى نزل فى معسكره ثم سأل عمن جرت العادة باستدعائه للطعام وكان يحضره كل يوم عشرة من القوّاد على مائدته التى تخصّه وعدّة من القوّاد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقباؤهم. فلمّا كان فى ذلك اليوم [347] لم يحضره أحد واستقصى فى السؤال فقيل:

ـ «إنّ أبا الفتح أضافهم فى الصحراء.»

فاشتطّ من ذلك وساءه أن يجرى مثل هذا ولا يُستأذن فيه.

وقد كان أنكر خلوّ موكبه وهو فى وجه حرب ولم يأمن أن يستمر هذا التشتت من المعسكر فتتمّ عليه حيله. فدعا أكبر حجّابه ووصّاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وأن يوصى النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته وظنّ أنّ هذا المبلغ من الإنكار سيغضّ منه وينهي العسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثّر كلامه هذا كبير أثر.

وعاد الفتى إلى عادته واتّبعه العسكر ومالوا معه إلى اللعب والصيد والأكل والشرب وكان لا يخليهم[١] من الخلع والالطاف. فشقّ ذلك على الاستاذ الرئيس جدّاً ولم يحبّ أن يخرق هيبة نفسه باظهار ما فى قلبه ولا أن يبالغ[٢] فى الإنكار وهو فى مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوّه. فدارى أمره وتجرّع غيظه. وأدّاه ذلك إلى زيادة فى مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول فى مجلس خلواته:

ـ «ما يُهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الأرض إلّا هذا الصبى.»

---

١. فى مط: يحيلهم.
٢. فى مط: أبالغ.

ـ يعني ابنه ـ ويقول في مرضه:

ـ «ما قتلني إلّا جرع الغيظ التي تجرّعتها منه.»

ومما حصّلته عنه في وجهه هذا وقد سألته عن عاقبة أمر حسنويه معه وهل إلى استئصاله سبيل فقال:

ـ «أمّا بهذه [348] السرعة وفي هذا الزمان فلا، ولكنا سنعود عنه ونحن كما كنّا وزيادة شيء، ويعود حسنويه وهو كما كان ونقصان شيء، ثم يُدبر أمره على الأيّام.»

وفاة ابن العميد بهمذان
وانتصاب ابنه أبي الفتح مكانه

فلمّا حصل بهمذان اشتدّت علته فتوفّي بها ـ رحمه الله ـ وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان العسكر كما ذكرت مائلا إليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنّاهم وبذل لهم طعامه ومنادمته وأكثر من الخلع عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضّه على الطاعة وأومأ إلى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أُنفق على العسكر وتتوفّر بعد ذلك بقيّته على خزانة السلطان ويضمن إصلاح حاله إذا فعل [ذلك][1] مع ركن الدولة.

وكان يشقّ على سهلان بن مسافر لما في نفسه من حسنويه ولأنّه يحبّ الانتقام منه ويكره أن ينصرف مثل ذلك العسكر عنه ولم يؤثّر في أمره أثراً يسمع به وليّه وعدوّه إلاّ أنّ أبا الفتح كان يرى أنّ مقاربة حسنويه والعود إلى صاحبه ببابه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وأن يلحق مكانه من الوزارة قبل أن يُطمع فيه أولى وأشبه بالصواب ـ وقد كان أبو عليّ محمد بن أحمد

---

١. ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل. فزدناه من مط. والعبارة في مط: ويضمن له إذا فعل ذلك اصلاح ركن الدولة.

خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ما عرفه بالكفاية والسداد ـ فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه إلي أن تقرّر أمره على خمسين [349] ألف دينار ينكسر بعضها وجبى كورة الجبل وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينار ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوّى نفسه وشدّ مُنّته وأحمد جميع ما كان دبّره وأمر بالعود إلى الحضرة بالريّ.

وكانت وفاة الأستاذ الرئيس بهمذان في صفر ليلة الخميس السادس منه سنة ستين وثلثمائة ففُقد به الفضل أجمع وعدمت المحاسن التى ما اجتمعت لغيره فى الاسلام.

ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته

كان هذا الرجل قد أدّى من الفضائل والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدوّ وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد فى المعانى التى اجتمعت له وصار كالشمس التى لا تخفى على أحد وكالبحر الذى يُتحدّث عنه بلا حرج ولم أر أحداً قطّ زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره.

فمن ذلك أنّه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة والغريب وتوسّعاً فى النحو والعروض واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام.

ما حدّثنى أبو الحسن علي بن القاسم فى فضائل ابن العميد

ولقد حدثنى أبو الحسن على بن القاسم رحمه الله قال:

ـ «كنت أروّى ابنى أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لأنّ الاستاذ الرئيس كان [350] يستنشده إذا رءاه وكان لا يخلو إذا أنشده من ردّ

عليه في تصحيف[١] أو لحن مما يذهب علينا. فكان ذلك يشق عليّ وأحبّ أن تصح له قصيدة لا يعرفها الاستاذ الرئيس أو لا يردّ عليه فيها شيئاً. فأعياني ذلك حتى وقع إليّ ديوان الكميت وهو مكثر جداً فاخترت له ثلاث قصائد غريبة ظننت أنّها ما وقعت إلى الاستاذ الرئيس وحفّظته إيّاها وتوخّيت الحضور معه. فلما وقع بصره عليه قال:

ـ «هات أبا القاسم أنشدني شيئاً مما حفظته بعدي.»

«فابتدأ ينشده، فلمّا استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له:

ـ «قف، فقد تركت من هذه القصيدة عدّة أبيات.»

«ثم أنشده إيّاها. فخجلت خجلة لم أخجل مثلها. ثم استزاد فأنشده القصيدة الأخرى فأسقط فيها كما أسقط في الأولى واستدركه عليه أيضاً.»

قال: «فعلمت أنّ الرجل بحر لا ينزف ولا يُوَبَّى[٢] ما عنده.»

فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أديباً كاتباً.

ما شاهدتُهُ أنا من ابن العميد من مقدرته العجيبة على الحفظ

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي إيّاه ـ وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلاً ونهاراً ـ أنّه ما أُنشد شعر [اً][٣] قطّ لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غُرّب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق أن يحفظ شعره. ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سألته يوماً وقلت:

ـ «أيها الاستاذ كيف تفرغ [351] زمانك لحفظ شعر هذا الرجل.»

فقال: «وكأنّك تظنّ أنّي أتكلّف حفظ مثل هذا. إنّما ينحفظ لي إذا مرّ

---

١. كذا في الأصل: تصحيف. والمثبت في مد: تصحف.
٢. كذا في الأصل ومط: يُوَبَّى. والمثبت في مد: يؤتى. وَبَأَ المتاعَ: عبّأه.
٣. في الأصل ومط، وكذلك المثبت في مد: شعر. والتصحيح منّا.

بسمعي مرّة.»

وقد صدق رحمه الله فإنّي كنت أنشده لنفسي الأبيات التي تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فيعيدها بعد ذلك مستحسناً وربما سألني عنها ويستنشدني شيئاً منها فلا أقوم بإعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكّرنيها ويعيدها.

وحدّثني غير مرّة أنّه كان في حداثته يخاطر رفقاءه والأدباء الذين يعاشرهم على حفظ ألف بيت في يوم واحد وكان ـ رحمه الله ـ أثقل وزناً وأكثر قدراً من أن يتزيّد فقلت له:

ـ «كيف كان يتأتّى لك ذلك.»

فقال: «كانت لي شريطة، وهي أن يقترح عليّ من شعر لم أسمع به ألف بيت في يوم واحد، يكتب وأحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدتها.»

فقلت: «وما معنى البراءة من عهدتها.»

قال: «لا أكلّف إعادتها بعد ذلك.»

قال: «فكنت أنشدها مرّة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بغيرها حتى أفرغ من الجميع في اليوم الواحد.»

أمّا أدبه وعلمه

وأمّا كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يخف عليه علوّ طبقته فيها، وكذلك شعره الذي جدّ فيه وهزل. فإنّه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازله.

فأمّا تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء

الامصار فكان منه فى أرفع درجة [352] وأعلى(١) رتبة ثم إذا تـرك هـذه العلوم وأخذ فى الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها أحد.

أبو الحسن العامرى يستأنف القراءة على ابن العميد

فأمّا المنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات منها خاصة فما جسـر أحـد فـى زمانه أن يدعيها بحضرته إلّا أن يكون مستفيداً أو قاصداً قصد التـعلم دون المذاكرة.

وقد رأيت بحضرته أبا الحسن العامرى(٢) ـ رحمه الله ـ وكـان ورد مـن خراسان وقصد بغداد وعـاد وعـنده أنّـه فـيلسوف تـامّ وقـد شـرح كـتب أرسطاطاليس وشاخ فيها. فلمّا اطّلع على علوم الأسـتاذ الرئـيس وعـرف اتساعه فيها وتوقّد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك(٣) بين يديه واستأنف القراءة عليه، وكان يعدّ نفسه فى منزلة من يصلح أن يتعلّم منه. فقرأ عـليه عدّة كتب مستغلقة ففتحها عليه ودرّسه ايّاها.

وكان الاستاذ الرئيس ـ رضى الله عنه ـ قليل الكلام نزر الحديث إلّا إذا سئل ووجد من يفهم عنه فإنّه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتحبس فيها ولا يتلعثم(٤).

ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل إليه بضروب من الآداب والعلوم فما أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه فى ذلك الفن الذى قصده به واطلاق القول

---

١. الكلمة ساقطة فى مط.

٢. هو محمد بن يوسف وفى إرشاد الاريب (١: ٤١١) أنّه توفى سنة ٣٨١. فليراجع أيضاً (٣: ١٢٤). (مد)

٣. فى مط: نزل.

٤. فى مط: يتعلم.

بأنّه لم ير مثله ولا ظنّ أنّه يخلق.

ابن العميد وفنّ الإصغاء

وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة [353] أخلاقه ونزاهة نفسه إذا دخل إليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له وأصغى إليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه إلّا قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى إذا طاوله وأتت الشهور والسنون على محاضرته واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجرى بحضرته نبذ منه فرغب إليه في إتمامه، تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه أنّه بارع في ذلك الفن والمعني وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم ولكن بعد أن يمدّ لهم في الميدان ويرخى من أعنّتهم ويمسك عنهم مدة حتى ينفد ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه.

اختصاصه بغرائب العلوم

فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب المعروفة ثم كان يختصّ بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجرّ الثقيل ومعرفة مراكز الأثقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة إلى الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيداً وتؤثر آثارا عظيمة ومرائي[1] تحرق على مسافة بعيدة جدّا ولطف كف لم يسمع بمثله ومعرفة بدقائق علم [354] التصاوير وتعاط له بديع. ولقد رأيته يتناول من مجلسه الذى يخلو فيه بثقاته

١. في مط ومد: مراى.

وأهل مؤانسته[١] التفاحة وما يجرى مجراها فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمّد لها غيره بالآلات المعدة فى الأيام الكثيرة ما استوفي دقائقها ولا تأتّى له مثلها.

شجاعته فى الحرب

فإذا حضر المعارك وباشر الحروب فإنّما هو أسد فى الشجاعة لا يصطلى بناره ولا يدخل فى غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع ثبات جأش وحضور رأى وعلم بمواضع الفرص وبصر بسياسة العساكر والجيوش ومعرفة بمكايد الحروب.

اضطلاعه بتدبير الملك

فأمّا اضطلاعه بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزاز الأموال فقد دلّت عليه رسائله ولاسيما رسالته إلى أبى محمد ابن هندو[٢] التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب أن يتلافى به حتى تعود إلى أحسن أحوالها. فإنّ هذه رسالة يُتعلم منها صناعة الوزارة وكيف تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منعه من بسط العدل فى ممالكه وعمارة ما يدبره منها.

إلّا أنّ صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين يتغنّم[٣] ما يتعجل له ولا يرى النظر فى عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ما لا

---

١. ذا فى الأصل ومط: مؤانسته. والمثبت فى مد: أنسته.

٢. هو على بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته فى إرشاد الاريب ٥: ١٦٨. (مد)

٣. والمثبت فى مط: يتغنم.

يمكن أحدا [355] تلافيه وردّهم عنه. وكان مضطرّاً إلى فعل ذلك لأنّه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يُمتثل جميع أمره، وإنّما يرأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه ومسامحة في أشياء لا يحتملها أمير عن مأمور.

وهذه سيرة إذا عوّدها الجند لم يمكن أن يفطموا[١] عنها بل تزداد على الأيام وتتمادى حتى ينتهي إلى ما انتهى إليه جند عصرنا من تسحّبهم[٢] على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في سوء الادب إلى ما يخرج إليه السباع التي تضرأ ولا تقبل الأدب.

ثم كان الأستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دارى جنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادّعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم. وذلك أنّه لمّا استوزر لركن الدولة كان تقدّمه قوم عجزة وباشروا مع عجزهم أموراً مضطربة وجنداً متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤا لا يمنعهم أحد منها وإنّما أميرهم يسمى بالأمرة مادام يستجيب لهم إلى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به.

وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسعان عليهم في الإقطاعات ويبذلان لهم من الرغائب ما لا يبقى لهم معها حجة ولا موضع طلبة وهم مع ذلك يتحكمون ويبسطون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدبر أن يقيم [356] كل يوم وجهاً لنفقة الأمير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يتهم بيسار كائناً من كان، وربما تعذّر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين. فاما نفقات الحشم وجراياتهم وما يقيم أرماقهم فكانت تتمحّل وربما امتنع عليهم إقامتها أياماً،

---

١. في مط: أن يعظموا. وهو تصحيف.

٢. كذا في الاصل. تسحّبهم. في مط: تشحبهم.تسحّب عليه: تدلّل.

ومع ذلك فإنّ هؤلاء المديّرين كانوا لا يتمكنون من الفكر فى وجوه الحيل لكثرة من يزدحم عليهم من الجند ـ أعنى الديلم والأتراك ـ وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل إلى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا إلى الصحراء ويجتمعون على ظهور دوابّهم ويثنون أرجلهم على أعناقها بقدر ما يُديرون[1] الرأى فى وجه الحيلة واقامة وظيفة ذلك اليوم فإذا تمّ لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفايتهم فى صناعتهم.

فلمّا تولى الأستاذ الرئيس ابن العميد ـ رحمه الله[2] ـ وزارة الأمير ركن الدولة استقام الأمر حتى رأيناه يركب إلى ديوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتّابه ثم يلقى صاحبه فلا يدور بينهما إلّا عوارض المهم الذى لا يخلو[3] من مثله ملك ووزير، وضبطَ أعماله ونظم أموره ورتّب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولاً بالعلم وأهله. وبسط عدله وأقام هيبته فى صدور الجند [357] والرعية حتى كان يكفيه رفع الطرف إلى أحدهم على طريق الإنكار فترتعد الفرائص وتضطرب الأعضاء وتسترخى المفاصل. وقد شاهدتُ من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لأطلت هذا الفصل إطالة تخرج عن غرض الكتاب. ولولا أنّ صاحبه كان لا يستجيب إلى عمارة نواحيه كما حكيته فى أول هذا الجزء خوفا من إخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت ويرى أنّ دولته مقرونة بدولة الأكراد فلذلك لا يمنعهم من العيث ولا يطلق يد حماة الأطراف فى قصدهم ويرضى أن يقال له:

---

١. كذا فى الأصل: يديرون. فى مط: يدبرون. وما فى مد أيضاً: يدبرون (خلافاً للأصل).

٢. فى مط: رضى الله عنه.

٣. فى مط: يخلو. بدل «لا يخلو».

ـ «قُطعت القافلة وسقيت المواشى» فيقول:

ـ «لأنّ هؤلاء أيضاً، يعني الأكراد، يحتاجون إلى القوت».

ولقد قيل مرة:

ـ «إنّ الاكراد وقعوا على بغال له خرجت للعلوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يُلحقون إن طُلبوا.»

فقال في الجواب:

ـ «كم كانت البغال.»

فقيل: «ستة.»

فقال: «وكم كانت عدة الاكراد.»

فقيل: «سبعة.»

فقال: «سيقع بينهم الخلاف. كان يجب أن تكون البغال سبعة بعددهم.»

فإذا كان هذا رأيه فى الإنكار على أهل العيث وذلك رأيه فى توفير العمارات واستغزار الأموال فما حيلة وزيره ومدبّره؟ فتأمل هذه الصورة وانظر إلى سيرة ملك قد عوّد وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايتهم من تمشية [358] أمره يوما بيوم.

ثم آلت الحال إلى النظام الذي ذكرته واطّردت الأمور اطرادها المشهور الذي دبّره الاستاذ الرئيس ابن العميد ـ رحمه الله ـ أى كفاية كانت له وأى سياسة مشت بين يديه ولكنه ـ رحمه الله ـ لما حصل بفارس علّم عضد الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التى هى صناعة الصناعات ولقنه ذلك تلقيناً فصادف منه متعلما لقِنا وتلميذا فهما، حتي سمع من عضد الدولة مراراً كثيرة أنّ أبا الفضل ابن العميد كان أستاذنا، وكان لا يذكره فى حياته الّا بالاستاذ الرئيس، وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس، ولا يُحفظ عليه أنّه ذكره قط بعد موته إلّا بالاستاذ. وكان يعتد

له بجميع ما يتم من تدابيره وسياسته ويرى أنّ جميع ذلك مستفاد منه ومأخوذ عن رأيه وعلمه.

ولعلّنا نذكر منه طرفا إذا انتهينا إلى سيرة عضد الدولة وما تمّ له من حيازة الممالك وحفظ الأطراف وقمع الأعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب وإطفاء نائرة الأكراد والأعراب وإعادة الملك إلى رسومه القديمة، إن أخّر الله في الاجل.

ولعلّ من يطّلع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن أنّا أعرناه شهادة أو ادّعينا له أكثر من قدر علمه [359] ومبلغ فضله. لا والذى أنطقنا بالحقّ وأخذ علينا ألّا نقول إلّا به.

ودخلت سنة ستين وثلاثمائة

عقد المصاهرات بين الأتراك والديلم

وفى هذه السنة رأى بختيار ورئى له أن يعقد بين رؤساء الأتراك ورؤساء الديلم مصاهرات لتزول العداوات التى نشأت بينهم. فابتدئ بعقد مصاهرة بين المرزبان بن عزّ الدولة وبين بختكين المعروف بآزاذرويه مولى معزّ الدولة، وثنّى بمصاهرة بين سالار[1] بن عزّ الدولة وبين بكتيجور مولى معزّ الدولة. وفعل مثل ذلك بجماعة، وأصلح بين الديلم والاتراك، واستحلف كل فريق منهما لصاحبه فحلفوا جميعا على موالاة عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة وسبكتكين الحاجب، وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن.

---

١. كذا فى الأصل: سالار.

غلبة الفالج على المطيع لله

ثمّ غلبت علّة الفالج على المطيع لله[١] فثقل لسانه وجانبه الأيمن وذلك في يوم السبت لليلة خلت من صفر سنة ستّين وثلاثمائة، ثمّ تماثل وتماسك وعاش على هذه الحال إلى الوقت الذى سلّم فيه الأمر الى أمير المؤمنين الطائع لله.

وفى هذه السنة ورد الحاجب لأبى تغلب ابن حمدان وهو عُدّة الدولة. فعقد مصاهرة بين أبى تغلب بإحدى بناته وبين عزّ الدولة بختيار على صداق مائة ألف دينار، وجدد على أبي تغلب عقد [360] أعماله لأربع سنين حساب كل سنة ستة آلاف ألف درهم ومائتا ألف درهم وأنفذت إليه الخلع.

وزارة أبى الفضل العباس الثانية لعزّ الدولة

وفى هذه السنة كانت وزارة أبى الفضل العباس بن الحسين الثانية لعزّ الدولة والقبض على أبى الفرج محمد بن العباس.

ذكر السبب في ذلك

قد كنّا ذكرنا فيما تقدم أنّ معزّ الدولة كتب إلى آزاذرويه بالقبض على أبى الفرج ومن معه في يوم وصولهم إلى الأهواز وأنّه كتب أيضاً إلى أبى قُرّة بمثل ذلك وأنّه قبض على أبى محمد الخازن أخى أبى الفرج فى مجلسه وكان يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه

---

١. وفى الأصل: على سبكتكين. وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام: وفى أول صفر لحق المطيع لله سكتة آل الأمر فيها إلى استرخاء جانبه الأيمن وثقل لسانه. (مط). فى مد أيضاً: سبكتكين.

وخلع عليه للوزارة وذلك يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ستين وثلاثمائة.

فلمّا تمكّن من الوزارة لم تكن له همة إلّا استصلاح سبكتكين وعوّل عليه وعلى كاتبه أبى عمرو ابن أدمى[١] وصاحبه أبى بكر محمد بن عبد الله الاصبهانى وتقرب إليه في مظاهرة أبي قرة ومساعدته.

وقلد أخاه الحسن بن محمد القنائى[٢] خزانة عزّ الدولة مضافاً إلى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبى قرّة على الدواوين، وقلد أبا أحمد ابن حفص ديواناً كانت تجرى فيه نواحٍ اختصها بختيار لنفسه وسماه ديوان الخاص وكتب إلى أبى قرة يستدعيه من الأهواز إلي الحضرة وأمر بإنفاذ أبى الفرج محمد بن العباس [361] إلى البصرة موكّلا به.

فورد أبو قرّة بغداد ومعه أسباب أبى الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير أبو الفضل فى إكرامه كلّ مبلغ وعظّمه وتجددت بينهما معاهدة ومحالفة بأمر عز الدولة وسبكتكين إيّاهما واتفقت كلمة الجماعة.

ثم نظر الوزير أبو الفضل فى أمره وزيادة خرجه على دخله وقلبه ظهراً لبطن، فلم يَرَ وجهاً غير إطماع عزّ الدولة فى أموال عمران فحرّضه عليه وقرّب عليه أمره واتفق ورود أبى قرّة وقد تمت العزيمة.

فشخص بختيار متقدماً وسار فى الجانب الغربى على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قرّة انحدرا فى الماء، واجتمعت الجماعة بواسط وذلك فى شوال سنة ستّين وثلاثمائة.

وفى هذه السنة ارتفع امر ابن بقيّة مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ الوزارة كما سنحكيه بإذن الله.

---

١. فى الأصل غموض وإهمال: أدمى؟ أوبى؟ أقنى؟ كذلك فى مط: أبىّ؟

٢. كذا فى الأصل ومط: القُنّائى.

ذكر ارتفاع ابن بقية

كان هذا الرجل من القرية المعروفة بأوانا وكان أبوه مزارعاً وجدّه بقية واليه كان ينتسب، ونشأ في أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل في غمارهم وانتسب إلى بعض عيّاريهم وكان جرى رسمه بتقلّد المآأصير[1](؟).

واتفق له أن اتصل بصاحب مطبخ معزّ الدولة المعروف بـمَمْلة[2] وكان ضامنا لتكريت [362] وما يجرى معها من المآصير العليا وأبواب المال فلما خدم مملة توجه معه وخفّ على قلبه فتدرج من حال إلى حال حتى استعمله على هذه الأعمال كلها وفوضها إليه. وكان فيه سماحة نفس وخفّة مع إقدام وتهوّر استفادهما من الحال التى نشأ عليها.

واتفق على مملة اتفاق سيئ من علل اتصلت به وإعراض من معزّ الدولة عنه. فشرع أبو طاهر ابن بقية في ضمان أعماله وعُنى به جماعة من الكتّاب لأجل ما كان يبذله لهم فعقدت الأعمال عليه إلاّ أنّه لم ينفق على معزّ الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تتزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبي الفضل وقرب منه وتعلّق منه بعناية.

وتوفى معزّ الدولة فنفق على عزّ الدولة بختيار وبذل له مرفقاً يوصله إليه مما ينظر فيه. فقبل بختيار منه ذلك وردّت إليه الوكالة وقُلد المطبخ فبلّغ بالمرفق الذى بذله لبختيار عشرة آلاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتّاب وأصحاب الدواوين ومنعهم من الاستقصاء عليه ويشدّ

١. كذا في الأصل المآأصير. في مط: الماصير والمثبت في مد: المآصير.

٢. في مط: مهلة. في كلا الموضعين.

على يده فى استيفاء أموال تسبيباته من الوكالة، فوفى له وكان يحمل إليه هذا المرفق الذى ذكرته مشاهرة. ثم أنس به في خلواته ومجالس لهوه وانبسط إليه بأنواع من المزاح [363] كان يستعملها فى مجالسه مع ندمائه. فلطف موقفه ودخل معه كلّ مدخل.

ثم صار يهاديه بالخيل والبغال والجوارح والألطاف والجوارى والعبيد ودخل فى جلالة العزّ فعرض جاهه عنده حتى صار يتوسط بينه وبين كل رافع ظلامة وطالب حاجة. فلمّا أفضت هذه الوزارة الثانية التى نحن فى ذكرها إلى أبي الفضل كان ابن بقية قد استولى غاية الاستيلاء وصار فى مثل منزلة شيرزاد اختصاصا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج[1] الوزير أبو الفضل إليه ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة إلى واسط لحرب عمران.

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس إلى واسط وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأنفذه إلى بغداد ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجرى عليهما ببغداد أمر قبيح يجرى مجرى التشفى من غير ضرب ولا مكروه فى الجسم بل بضروب من الاستخفاف والإهانة والإسماع فتم لهما الهرب واستترا عند بعض أسباب سبكتكين.

فعادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين واتهم بأنّه يسفر له فى العود إلى الوزارة وألجأته الحال إلى مطالبة عزّ الدولة بختيار باليمين الغموس على ألّا يستوزره أبداً ولا يستعين به فى شيء من الأعمال إن لم يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين [364] فحلف له عزّ الدولة بحضرة القوّاد والقضاة والشهود ووجوه الحاشية وكان فى اليمين كل ما يكون فى أيمان البيعة ولقّنه

---

١. كذا فى مط. ومد. وما فى الأصل يمكن أن يقرأ (اجتاح).

بنفسه حرفاً حرفاً وبقى الأمر كذلك وأبو الفرج مستتر، إلى أن عاد عزّ الدولة إلى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولأخيه أمان فظهر بعناية سبكتكين.

وضعف أمر الوزير أبى الفضل وضعفت مُنّته وتأدّى أمره إلى النكبة التى هلك فيها ووفى بختيار باليمين وقلد أبا طاهر ابن بقيّة الوزارة فكفّ عن أبى الفرج لأنّه علم أنّه لا يُستوزر ولا يشرع فى شيء من فساد حاله، ونفى أخاه أبا محمد إلى واسط وأجرى عليه رزقا.

ثم إنّ أبا محمد أصعد إلى بغداد بغير أمره وذلك لإرجاف أُرجف عنده بالقبض على ابن بقيّة فاغتاظ لذلك وقبض عليه ونفاه إلى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أصعد سرّاً واستتر ببغداد فى عُرض الفتن التى كانت تجرى ثم تمكن ابن بقية منه ومن أخيه وطالبهما ثم نفاه ونفى أبا الفرج إلى سرّ من رأى واعتقله بها.

ذكر ما انتهى إليه أمر أبى قُرّة بعد حصوله بواسط وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به

لما أنس أهل واسط بقرب عزّ الدولة منهم وطال مقامه بينهم، تظلموا إليه سرّا ولقيه نفر منهم، فأعلموه أنّه قد أخرب بلادهم وأفقرهم وظلمهم وغشمهم وصادرهم وملك [365] عليهم ضياعهم وأنّه استحلّ منهم ما حرّمه الله وصححوا عنه سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه. فاستعظم بختيار ذلك وغاظه فعله وتمكُّنه من النعم الكثيرة حتى أزالها واستبدّ بها. فصرفه عن واسط وتقدّم إلى ابن بقيّة أن ينظر فيها على سبيل الأمانة.

فاتهم أبو قرّة الوزير أبا الفضل بأنّه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكتب إلى سبكتكين الحاجب يعرفه ما جرى ويحرضه على أبى الفضل ويعلمه أنّه قد حنث فى يمينه وعقوده التى بينهما وعاد إلى أسوأ فعله

واعتقاده.

ثم عطف أبو قرة على أبي طاهر ابن بقية فخاطبه بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطالبه بالحسبانات لما يجرى على يده دخلاً وخرجاً فاستطال عليه ابن بقيّة وانتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قرّة.

واتصل بسهل بن بشر النصراني كاتبِ بختكين آزاذرويه وهو بالأهواز ما جرى على ابى قرة وضعف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب إلى بختيار يضمنه بمال عظيم وساعده ابن بقيّة فقبض على أبي قرّة وأسبابه واستبيح ماله وقبضت ضياعه وغلاّته فسارع إلى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه وأسبابه وبذل بعد ذلك أموالاً عظيمة يثيرها من محاسبات الضمناء، واستمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل [366] واحد منهما ناصراً لصاحبه.

ثم إنّ بختيار مال إلى ما بذله أبو قرة فأمر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التى سبقت إلى سبكتكين فى أمره.

ذكر السبب في انتقاض[1] أمر أبى قرّة بعد تملّكه وبعد إشرافه على الخلاص من النكبة

كانت الخلع أحضرت ليلبسها فكره المنجمون له الوقت وأشاروا عليه بالتوقف ليختار له يوم. فورد للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آزاذرويه صاحبه يسألان تسليم أبى قرة إليه بزيادة بذلها وضمنه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سعايتهم به وأنّه عدوّ لهم يستأصلهم فسعوا إلى ابن بقية به حتى أشار على عزّ الدولة بتسليمه إلى

---

١. في مط: انقباض.

سهل بن بشر وعرفه أنّه إنّما ضمن تلك الأموال حيلة في الخلاص والعود إلى التعزز عليه بسبكتكين. فسلّمه إلى رسل سهل بن بشر وحُمل من ليلته إلى الأهواز وصودر هناك وتُشفى منه وتلف في أنواع المكاره التي جرت عليه وقُلّد ديوانه أبو أحمد ابن حفص[1].

ثم أفضت الوزارة إلى ابن بقية فضعفت يده وقلّ نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان إلّا الاسم.

وفي هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات
ذكر السبب في ذلك والاتفاق الحادث
عن قصد وغير قصد [367]

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه إلى الرحبة وتمام الصلح بينه وبين أخيه أبي تغلب ولم يلبث الأمر بينهما أن عاد إلى فساده فأنفذ أبو تغلب أخاه المكنى بأبي البركات إليه حتي دفعه عن الرحبة فسلك طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة فخلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفاً.

وانتهى حمدان إلى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الإتمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل إلى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام وتهيأ لنفر من غلمانه أن دخلوا البلد من ثلمة في السور غامضة كانوا يهتدون إليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستتر وراء السور وضرب بالبوق فبادر القوم إلى الباب متقطعين متفرقين وليس يعلمون بحصول حمدان من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملي الخراج والمعونة

١. هو محمد، كذا في التكملة.

ووجد فى أيديهم غلات قد وردت فى السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات فى الجانب الشامى إلى قرقيسيا.

واتصل خبره بأبي البركات وهو سائر إلى الموصل فعطف عليه وحاذاه[١] من الجانب الجزرى وتخاطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا البركات [368] المقام لضيق الميرة على عسكره، فرجع يريد الخابور.

فاتفق أن صار إلى حمدان مائتا فارس من بني نمير مستأمنة وكانت عدته ثلاثمائة غلام فصار في خمسمائة فارس فتتبعت نفسه العبور في أثر أخيه والتصلك على عسكره وكان فيه جرأة وإقدام. فخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أدركه بمنزل يقال له ماكسين[٢] وهو راحل مجتاز فنزل منه على فرسخين وبكّر في الغلس فزحف إليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على غير استعداد لأنّه لم يقع فى ظنّه أنّ حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدّتيهما.

فلمّا قيل له إنّه قد وافى، عطف إليه فى طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون فبثّ حمدان أولئك العرب فى الإغارة على سواده ومنع العسكر أن ينتظم شمله وحقق على أبى البركات فى الحملة مع غلمانه فوجده متسرعا في أول الناس فاجتمعا متصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيوف ولم تكن على أبى البركات جُنّة فضربه حمدان على رأسه فسقط إلى الأرض وأخذه أسيراً وبه رمق.

واستباح سواده واستأمن إليه جماعة من أصحابه وأسر جماعة وقتل

١. والمثبت فى مد: حازاه.

٢. ماكِسين: بلد بالخابور وقرية من رحبة مالك بن طوق.

بعض الأسارى واستبقى البعض وانكفأ إلى قرقيسيا ليعالج أخاه من ضربته وظنّ أنّه ينجو فتلف بعد ثلاث [369] فأنفذه فى تابوت إلى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبى تغلب.

واختلف باقى الإخوة وتخاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقين فى أعمالهم. فبلغ أبا تغلب أنّ محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد كاتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستدعاه وأطمعه فى الاحسان والزيادة. فاغترّ محمد وصار إليه فقبض عليه واعتقله في قلعة أَرْدُمُشت[١] وضيّق عليه هناك وثقّله بالحديد حتى أطلقه عضد الدولة لمّا ملك تلك الديار[٢].

وكنت مندوباً لنقل ما فى تلك القلعة من الذخائر مأموناً على ما فيها فجرى ما سأذكره إذا انتهيت إليه.

واستوحش باقى إخوة أبى تغلب لما جرى على أخيهم محمد وأقبل أبو تغلب يستميلهم فخدعهم واحداً واحداً فصاروا إليه بعد أحوال تتقلب بهم سوى أبى طاهر ابراهيم فإنّه لم يسكن إليه ورحل إلى بغداد مستأمناً إلى عزّ الدولة بختيار على طريق دجلة.

وسار أبو تغلب إلى قرقيسيا وأنفذ منها أخاه أبا القاسم هبة الله سريّة فى جيش كثيف إلى الرحبة تقديراً أن يكبس أخاه ويأخذه أسيراً فما أحس به حتى أطلّ عليه فخرج هارباً واتبعه ابنه وطائفة من غلمانه ولحقه هبة الله فابقى عليه حتى نجا.

ثم وقعت [370] عليه سريّة للقرامطة كانت سائرة إلى الشام لقتال صاحب المغرب فأرادوا الايقاع به فتعرف إليهم وكان متعلقاً بينهم بذمام فكفّوا له

---

١. أَرْدُمُشت: قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر شرقيّ دجلة بجانب الجوديّ.

٢. وقصة إطلاقه من القلعة موجودة فى الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦.

وبذلوا له من نفوسهم ما أحبه فسألهم أن يسير معه نفر منهم إلى طريق عانة ففعلوا وعدل إلى مدينة السلام فاستقرّ الأخوان بها في ذى الحجة سنة ستّين وثلاثمائة وكتب بختيار إليهما بالانحدار إليه إلى واسط فانحدرا ووصلا إليه في صفر سنة إحدى وستّين وثلاثمائة وتلقاهما وأكرمهما وأمر بحمل أنزال كثيرة إليهما وردّهما إلى بغداد بعد أن حمل إلى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب والبغال والمراكب.

وسنذكر ما انتهت إليه أحوالهما بعد ذلك إن شاء الله.

ذكر تدبير دبّره الوزير أبو الفضل على سبكتكين لما استوحش منه فانعكس عليه

قد قلنا انّ أبا الفضل اتهم سبكتكين بأنّه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامى عليهما وأنّه يريد أن يسعى لأبى الفرج فى الوزارة وكان سبكتكين اتهم أبا الفضل بأنّه دبر على أبى قرّة حتى قتل بعد ذلك بالعذاب الطويل فشرع أبو الفضل فى استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد إلى ذلك سبيلاً فصبر حينئذ على عداوته وأخذ فى التدبير عليه.

فكان من ذلك أن أشار على بختيار بأن يستدعى آزاذرويه من الأهواز ويزيد في حاله ومحله ويقيمه كالضد لسبكتكين لينجذب الأتراك [371] إلى هذا ويفلّهم عن ذلك فقبل بختيار بما أشار به عليه.

وورد بختكين واسطاً فعظم أتم تعظيم وفخّم أمره أشد تفخيم وعقدت عليه واسط مضافة إلى الأهواز فلم يتم ما قدر من انفضاض[1] الأتراك عن سبكتكين وذاك أنّهم تنبهوا على المقصد وعلموا أنّه إنّما دبر على تفريق

---

١. في مط: انقضاض.

شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة وألّا يتفرقوا.

واشفق بختكين آزاذرويه من أن يعتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر إلى العود إلى بابه والنزول تحت حكمه وطلب سلمه بعد معاتبات ومراسلات.

ولمّا عاد بختيار إلى بغداد زاد في منزلة سبكتكين وأمر بأن يخاطب بالاسفهسلاّر وتموهت الوحشة واندرجت على غير وثيقة. ولما عزم بختيار والوزير على الإصعاد عن واسط قدّما أبا طاهر ابن بقية إلى سبكتكين ليصلح ما تشعث بينه وبين الوزير أبي الفضل ويستعيد له جميل رأيه. فجرى الأمر ايضاً في ذلك على نفاق ووحشة في السر واندمل الجرح على فساد إلى أن تم على الوزير الصَّرف والنكبة واتصل بقتله وإبادته.

هلاك أبي طاهر عامل البصرة وكلّ من اتّصل به

وفي هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة وكل من اتصل به وعفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الأرض نافخ ضرمة. [372]

ذكر السبب في اجتياح الزمان له ولهم

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة. ولما حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل إليه من الأموال حتى اتسعت فيه الظنون.

وكان الوزير أبو الفضل يعلم أنّ ذلك باطل وليس يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع في يسير ماله وكانت البصرة معتدلة الحال مستقيمة الأمور. فأغرى بختيار بالمصير إلى البصرة وأقيم في نفسه أنّه يصل

منها إلى مال كثير ولم يكن وراءها.

فسار إليها ولم يجد بها ما كان مولعاً به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولاطفه هذا العامل بالهدايا والتحف وواقفه على مرفق يرفقه به ومشاهرة يقيمها له وتجاوز ذلك إلى أن ضمن له إثارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والمعاملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه.

ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتّب عساكره على طفوف البطيحة لأنّ المد وافى وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج إلى الانتظار إلى وقت النقصان فأمره بختيار بالخلع على أبي طاهر العامل وتقبّل ما بذله له. ولم يستطب البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فعاد إلى واسط ووصى الوزير بتقوية يد العامل والزيادة في بسطه [373] والرفع منه. فاضطرّ الوزير إلى امتثال ما رسم له وهو لا يختاره ولا يستصوبه.

فبسط أبو طاهر العامل يده في القبض على التجار والعوامّ وتأول عليهم بالمحال واستخرج منهم أموالاً كثيرة وظنّ أنّه قد تمسك من بختيار بعهد يثق به وأنّه ممن يعتمد على قوله وذمامه وحدّث نفسه بمنزلة أبي قرّة وأن يرتقي منها إلى منزلة الوزارة.

فساء رأى الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسعى على دمه فكتب إلى بختيار يعرفه أنّه قد أخرب البصرة وأفسد نيّات أهلها وأنّهم عرب لا يحملون ما يحمله غيرهم ويزعم أنّ أموالهم الآن قد حصلت والصواب يقتضي إرضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرته على مال ينضاف إلى مصادرتهم. ثم دس إلى عزّ الدولة من يغريه به ويعظّم عليه جناياته ويطمعه في ماله إلى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمتصلين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كلّهم.

عقد البصرة على رأس أبي القاسم المشرف

وعقد البصرة علي عليّ بن الحسين المعروف بأبي القاسم المُشرف وسلّمه إليه لعداوة كان يعرفه بينهما، وأخذ خطه بأن يستخرج منه ومن أسبابه مالاً عظيماً وأصعد عن البصرة لاستتمام منازلة عمران بن شاهين.

وكان هذا العامل ـ أعني أبا طاهر ـ من أهل الشر فكثر خصماؤه [374] وطلاب الطوائل عنده فعسفه عليّ بن الحسين وسلّمه إلي مستخرج كان قد وتره، فنالته منه مكاره عظيمة خاف معها أن يسلم فيكون بواره على يده. فأتى على نفسه ثم ألحق به أخاه وأقاربه وزوجته فأتلف الجماعة بأسرها وعفى آثارها.

ثم عطف عليّ بن الحسين على معامليه ومخالطيه[١] وقوم تأول عليهم فصادرهم لصحة المال الذى ضمنه فما صحّ له من جميع الجهات إلّا البعض وانكسر الباقي وانمحت آثار أبي طاهر من الأرض فلم يبق له بقيّة.

ذكر سوء تدبير بختيار لأمر عمران منذ انحدر من بغداد إلى أن خرج عائداً إليها وما تمّ لعمران من الطمع فيه والاستظهار عليه

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنّه يريد الخروج إلى التصيّد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظنّ أنّه يرهقه عن التحرز منه والاستعداد له.

وقد تفعل الملوك مثل هذا ولكن مع إتمام العزائم والصبر على مطاولة

١. كذا في الأصل ومط: مخالطيه. والمثبت في مد: مخاطبيه. وهو سهو.

العدو بالمكايد التى تشبه هذا الابتداء، لا بأن يكون مبدأ التدبير صواباً يشبه الآراء الوثيقة ثم يُتبعه باللعب والاشتغال عنه بالعبث ويترك الاستظهار وإهمال الجند حتى تخرق الهيبة وتزول الحشمة ويظهر للعدو عصيان الجند وقلة النظر فى الحرب والتعويل على الجَدّ[1] دون الجِدّ حتى يطلع على الحيرة والتبلّد ومكان [375] العورة والضرورة الداعية إلى مقاربته فى طلب الصلح منه والجنوح إلى السلم بعد النزاع إلى الحرب. فإنّ بختيار عمل فى المبدء ذلك العمل الواحد ثم أتبعه بجميع ما ذكرته وذلك أنّه استطاب التصيد الذى أظهره مكيدة لعدوّه وأقام بالنعمانية شهراً مع عساكره التى علم معها عمران أنّ قصده بهم إيّاه لا غير.

ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة وطفوف البطيحة وبنى أمره معه على أن يسدّ أفواه الأنهار ومجارى المياه إلى البطيحة ويعدل بها إلى غيره وأن يبنى مسنّاة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشياً إلى معقله وهذا ضد ما بنى عليه أمره فى الابتداء ولا يشبه الحيلة التى تؤدى إلى إرهاق العدوّ ومنعه من الفكر. فإنّ الهجوم والكبس والبيات يتم بالمعاجلة والركض إلى الغاية دون التمهل والأخذ والتدابير البعيدة والأعمال الطويلة.

فلما طالت المدة فى عمل هذه السدود وجرت فى أضعافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج إلى الإمساك عنها والانصراف عن إتمامها إلى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو، لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد فى جميع حروبه أن يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكذ رجاله فإذا أحسّ بالمد ومجىء السيول [376] احتال فى تخريب ما يبنى له من السكور وإنّما يكفيه إيقاع ثلمة

---

١. الجَدّ: الحظ. النصيب.

يسيرة في أحد نواحي السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته في الهدم والتخريب. فربما أفسد في ساعة من الليل أو النهار تعب سنة أو نحوها.

وذلك أنّ هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام في وجوه المياه الجاريه عند ضعف جريانها وغاية نقصانها فإذا وردت المياه القوية ومنعت من حدورها كفى منها اليسير من المعونة حتى تنبعث ويدفع بعضها بعضاً وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة ثم يوسعه الماء وينتهي فيه إلى حيث لا حيلة في سده. ولما عمل بختيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأتى المد كان قصاراهما حفظ ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فعدل عمران عن هدم سكوره إلى الانتقال إلى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل غلاّته وزواريقه وجميع أمتعته إلى هناك. فلما انحسر الماء وجاءت ايام الجفاف من السنة الثانية وجد مكان عمران خالياً منه ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب غلاّته فلم يجد فيها شيئاً فانصرف خائباً.

وضجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذيّة البقّ وحرّ الهواء وانقطاع المواد التي ألفوها[1] فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بألسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والاتراك [377] على التعصب واتفاق الكلمة وأبوا أن يقيموا أكثر مما أقاموا. فاضطر بختيار إلى طلب مصالحته على مال يلتمسه منه ـ وقد كان هابه في أول الأمر فبذل له خمسة آلاف ألف درهم ـ فلمّا طلّب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل ألفي ألف درهم بوساطة سهل بن بشر كاتب بختكين آزاذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجّم عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين أيضاً

١. في مط: ألفوها.

فاضطرّ الوسائط إلى أن يقولوا لبختيار أنّه قد حلف وما حلف. وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عليهم الزلّة.

وحدث للعسكر زيادة على المعهود من سوء الخدمة وقلّة الطاعة والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرّة لاجل مال كان حمله معه فأحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار فى ارتجاع شيء منه، فما أمكنه ذلك.

ذكر الوثوب على الجرجرائى

ثم وثبوا أيضاً على محمد بن أحمد الجرجرائى ـ وكان ينظر فى أمورهم ويخلف الوزير عليهم ـ لأشياء كانوا نقموها عليه وأبوا أن يكون متولياً عليهم فأرضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل إلى مصادرته فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقده حتى صار فى جملة من سعى به ودبر فى هلاكه. [378]

عضد الدولة يندب كوركير لمحاربة سليمان بن محمد بن إلياس

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها فى كرمان والقُفص والبلوص فى طاعته. فضم إليه صاحب خراسان جيشاً وجاء إلى كرمان فاستغوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الأكبر فصارت هذه الطوائف يداً واحدة فى شقّ العصا.

فلقيه كوركير بين جيرفت وبَمّ وجرت بينهما حرب أجلت عن قتل سليمان وبكر والحسين ابنى اليسع أخيه وعدد كثير من قواد خراسان

والرجال المضمومين إليه وحملت رؤسهم إلى شيراز وأنفذها عضد الدولة إلى حضرة أبيه ركن الدولة.

واجتمعت المنوجانيّة[١] وسائر القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضمّ عضد الدولة إلى كوركير عابد بن عليّ فسارا إلى جيرُفْت فيمن معهما من العساكر فوقعت الوقعة يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ستّين وثلاثمائة وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لأبي سعيد البلوصي وحصل المعروف بأبي الفوارس المنوجاني في الأسر وابن أخيه [379] أبو الليث وجماعة يجرون مجراهم.

ثم صمد عابد بن عليّ لقَصّ آثارهم والتولّج إلى مكانهم ليبيد غضراءهم. فتابع الايقاع بهم والاثخان فيهم وانتهى إلى هرموز فملكها واستولى على بلاد التيز[٢] ومكران وحصل في يده بعد من هلك في الحروب ألفا أسير من رجالهم ونسائهم وذراريّهم. فلاذوا بطلب الأمان وبذلوا تسليم المعاقل والجبال على أن يدخلوا في السلم وينزعوا شعار الحرب ويقتنعوا بالأقوات التي تحل وتطيب ويتحلّوا بسيماء المسلمين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويتمسكوا بسائر شروط الإيمان. فعقدوا على أنفسهم بذلك عقدا وثيقاً.

---

١. في مط: المنوجهانيّة.

٢. وفي مط: التبر. والمثبت في مد التيز. وهو خطأ. تيز: بلدة على ساحل مُكران والسند وفي قبالتها من المغرب عمان وبينها وبين كيز مدينة مكران خمس مراحل. (مراصد الإطلاع)

عدول عابد بن عليّ إلى الخرّميّة والجاسكيّة

ثم عدل عابد بن عليّ إلى طوائف أخر من الأمم المخالفة في حال تصاقبهم يعرفون بالخرّمية والجاشكية يُخيفون السبل في البر والبحر وكانوا ضاموا سليمان بن محمد بن الياس فأوقع بهم وقتل كثيراً منهم وحصل في يده رئيسهم أبو علي بن كلاب فضرب عنقه وقبض علي خلق منهم فأنفذهم إلى شيراز فتوطأت تلك الأعمال وصلحت مدّة من الزمان.

عضد الدولة يصير بنفسه إلى كرمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف بأساً وأوعدهم جانباً وأشدهم كفرا أن اشتاقوا إلى عاداتهم من إخافة السبل وسفك الدماء الحرام ونقض [380] ما كانوا تمسكوا به من تلك العهود. فلمّا فعلوا ذلك اعتقد عضد الدولة ألّا حيلة في صلاحهم ويئس منهم فرأى ألّا يبقى عليهم وعزم على المسير بنفسه إلى كرمان فسار في ذي القعدة سنة ستّين وثلاثمائة.

فلمّا انتهى إلى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا في الأعمال وسعوا فيها بالفساد ونصبوا للرئاسة عليهم عليّ بن محمد البارزي[1] ولقي الناس منهم عنتاً شديداً في جميع طرقات كرمان وسجستان وخراسان فجرّد عابد بن عليّ في عسكر كثيف من الديلم والجيل والأتراك والأعراب والأكراد والزطّ والرجال السّيفية وأنفذه إليهم فلمّا أحسّوا بإطلاله عليهم أوغلوا في الهرب وسلكوا طرقا ضيقة شاقة ظنّوا أنّ العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها.

---

١. في مط: الناوري.

ثم إنّ عابداً أنفذ أخاه فى سريّة قوية خلفهم وسار هو فى باقى الجيش من طريق آخر إلى بلادهم التي يأوونها إلى جبال البارز ففتحها[١] عنوة واستنزل عنها محمد بن عليّ البارزى وظفر بصهره أبى دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيونا ليأتيهم بالأخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع إليهم مخبر منهم.

فكانوا ساكنين غارّين إلى أن أطلّ الجيش فى الموضع الذى ظنّوا أنّهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معدلا عن المجاهدة، فثبتوا سحابة [381] يوم الإثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستّين وثلاثمائة، منذ طلوع الشمس إلى غروبها. ثم انجلت الوقعة عن قتل الرجال المقاتلة إلّا القليل وعن الاحاطة بحرمهم وذراريّهم وأملاكهم ونجا فى الوقت رئيسهم المعروف بابن أبى الرجال البلوصى مع جماعة من الوجوه ثم ظُفر بهم من بعد فقتلوا جميعاً ودخل نفر يسير ممن بقى تحت الأمان وتشبثوا بالعهد والذمام فنقلوا عن تلك الجبال. وأسكن عضد الدولة مكانهم الأكرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبّقوا تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال من معرّة أولئك المفسدين.

ثم عاد عابد بن عليّ إلى الامة المعروفة بالجاشكية[٢] ومن يجرى مجراها من الدعّار وكانوا وراء جبال القفص مما يلى التيز ومكران والسواحل إلى حدود عمان ولهم معرّة شديدة وفساد كثير وجنايات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه فى عسكر قوى من الديلم والاتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات فى البرّ وعلى الشذاآت والمراكب فى البحر من سيراف إلى مكلّى هرموز وسواحل كرمان فقطع عدّة مضايق

---

١. فى الاصل «من فتحها». وفى مط: النادر (بدل «البارز») من فتحها.
٢. فى مط: الجاسكية.

حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنّون أنّ أحداً يصل إليهم. فأوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يُبق من طبقات [382] الدعّار فى تلك النواحى أحداً.

وفي هذه السفرة تنكّر عضد الدولة لكوركير فقبض عليه وردّه إلي سيراف واعتقله اعتقالاً جميلاً فيه بقية للصلح.

ودخلت سنة احدي وستين وثلاثمائة

وزارة أبى الفتح ابن أبى الفضل ابن العميد

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبى الفضل ابن العميد رحمهما الله من الوزارة بعد أبيه وفوض إليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكّنه من أعنة الخيل فصار وزيراً وصاحب جيش على رسم والده. إلاّ أنّ والده باشر هذه الأمور فى كمال من أدواته وتمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم، وكان لوفور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيّته والممالك التى يراعيها ويدبر الجميع تدبيراً ملائماً لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة إلّا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك إلى ما يُحسد عليه وينافس، ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به إلى غضاضة تلحقه فى جاهه أو تحطّه عن المنزلة العالية التى يرقى إليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيبته وتمام سياسته متصلة تزيد على الأيام ثناء وثباتا.

ذكر خصائص أبى الفتح فى خُلقه وسياسته

فأما ابنه أبوالفتح فكان فيه[1] مع رجاحته وفضله فى أدب الكتابة وتيقّظه

١. وزاد في مط: انبه (أو ابنه).

وفراسته [383] نزق الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة، فتطلعت نفسه إلى اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشاد[١] في المواكب التي يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التي يلتزم فيها الخلع والحملان على الدواب والمراكب والإسراف في الصلات والنفقات تشبّهاً بوزراء عزّ الدولة بختيار الذين لا خبرة لهم بعواقب الأمور ولا نظر لهم في مصالح الملك وإنّما همة أحدهم في تناول شهواته والوصول إلى لذّاته وإثارة غيظ حسّادهم بإظهار الزينة التي فوق طاقته.

وليس يعلم أنّ أول من ينكر ذلك في نفسه وإن لم يبده له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له في الاستظهار والجمع وتبذير الأموال التي يرى أنّه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند إليه واجماعهم على جوده وسخائه واعتدادهم بما يصل إليهم له دون صاحبهم وولىّ نعمهم.

فكان أبو الفتح ابن العميد يسرف في ركوب هذه الأهواء ويحب أن يبلغ غاية ما يقدر عليه منها فجلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والأقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسة أمور الجند وأحب الراحة والدعة ففوض إليه الأمور ورآه شابًا [384] قد استقبل الدنيا استقبالا فهو يحب التعب الذى قاساه ركن الدولة ثم ملّهُ ويستلذّ فيه الانتصاب للأمر والنهى ومخالطة الجند والركوب إلى الصيد ومشى خواص الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاربتهم[٢] ومؤانستهم والإحسان إليهم بالخلع والحملان.

فأول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة

---

١. كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: الإحتشار.

٢. في مط: مشاورتهم.

وكتّابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظيم ويغشى الدار والديوان فإذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الامارة حتى لا يوجد فيها إلّا المستخدمون من الاتباع والحاشية فقط.

ثم ترقّى أمره في قيادة الجيش والتحقق بها إلى أن نُدب للخروج إلى العراق في جيش كثيف من الريّ والاجماع[١] مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذى وقع بينه وبين الاتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد بإذن الله. فأقام هناك ونظم أمور بختيار وتلقّب بذى الكفايتين من جهة الطائع لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أمور خالف فيها عضد الدولة وأوحشه وتأدّى أمره إلى الهلاك.

وإنّما ذكرنا هاهنا جملة من سوء تدبيره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة فى الأمور التى حدثت في سنة خمس وستّين وثلاثمائة ليعتبر بها المعتبرون [385] ويجرى مجرى تجارب الأمم التى يتكرر مثلها فيتحرّز منها.

فأمّا الآن فإنّا نشرع في الأمور التى حدثت في هذا الزمان الذى نحن فى ذكره ونستقصى أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة إلى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه.

ذكر السبب في تجاسر العامة على السلطان والفتن الثائرة بهم حتى خربت بغداد

وذاك أنّ الكتب وردت عليه بأنّ الروم غزوا نصيبين فملكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين فى المساجد الجامعة والأسواق وحكوا انفتاح

١. في مط: الاجتماع.

الطريق للروم وأنّه لا مانع لهم من تورّد ديارهم وهى متصلة بالعراق.

محاولة الهجوم على دار المطيع لله وإسماعه ما يقبح ذكره

فلمّا تجمّع معهم خلق من أهل بغداد صاروا إلى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقلعوا البعض من شبابيكها فاغلقت الأبواب دونهم بعد أن كانوا يصلون إليه ويأتون عليه فأسمعوه ما كره ونسبوه إلى العجز عمّا أوجب الله على الائمة وتجاوزوا ذلك إلى ما يقبح ذكره.

وكان بختيار فى هذا الوقت بالكوفة مظهراً زيارة المشهد وغرضه التصيّد[١] فخرج إليه وجوه أهل بغداد منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين [386] وانصرافه عن تدبيرهم إلى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة، وإمهاله الروم وهم أعداء الملة، ثمّ تشاغله بالصيد واللهو عن جميع مهمّات المملكة. ووعدهم بالعود إلى واسط ومصالحة عمران والانكفاء إلى الثغور فسكنوا وانصرفوا.

فلمّا عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل، يعلمه فيه أنّه عامل على الغزو ويلزمه أن يعدّ له من الزاد والعلوفة ما يسعه وجنده فى الطريق وأنفذ فى ذلك بعض خواصه فقضى ابن حمدان حقّه وردّه بالإنعام والمسارعة إلى ما سأل وهو يعلم أنّه لا يفى بوعد ولا وعيد وأنّه يقول ولا يفعل.

ثم أنفذ محمد بن بقيّة برسالته إلى سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصلحه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بأن يستنفر من يرغب فى الجهاد. فتقبّل سبكتكين ذلك تقبل المنافق ثم ركب ببغداد فى

١. فى مط: التقيد.

الجيش واستنفر المسلمين فثار من العامة عدد كثير بأصناف السلاح والسيوف والرماح والقسيّ حتى استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لتربيتهم وضمهم إلى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالاً عظيماً وضروا على المحارمات[١] بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الأموال والهجوم [387] على الحرم والفروج وتفاقم الأمر بينهم وبلغ كل المبلغ فى الشر وعجز السلطان عن إصلاحهم وإطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سبباً لخراب بغداد. وسنذكر شرح هذه الأحوال عند دخول سنة ستّ[٢] بعون الله.

بختيار يصالح عمران ويعود إلى بغداد

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع فى مال الصلح واستضعفه. ورجع بختيار إلى بغداد وهى خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها وإغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجمين فيهم حتى حصل فى كل محلة عدة رؤساء من العيّارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الأموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاقدون يغزو بعضهم بعضا نهارا وليلا ويحرق بعضهم دور بعض ويغير كل قوم على أخوانهم وجيرانهم.

تسحّب الأتراك

فأمّا الأتراك فمتسحّبون مقترحون ما لا يُتمكّن[٣] منه متجاوزون حدود

---

١. فى مط: المحاربات.

٢. وفى الأصل ومط: ستّة، كما هو المثبت فى مد.

٣. كذا فى الأصل ومط: يتمكّن. والمثبت فى مد: تمكّن.

العامة في سفك الدماء والطمع في الأموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال له خمار، لشيء حقير كان حقده على بعض أصاغر الأتراك فلقيهم راكبا في موكبه فحملوا عليه وألجأوه إلى الهرب والدخول إلى دار بختكين المعروف بجعدمويه وكان رئيسا معظما في الأتراك فهجموا عليه وأخرجوه وقتلوه قتلة الكلاب خفقا بالسيوف واللتوت [388] ثم سلموا جثته إلى العامة ففصلوه آراباً حتى أخذ كبده بعض السفهاء، وقلبه آخر وكل جارحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار.

وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقلعوا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرة الأتراك فاستدعى الديلم إلى داره فحضروه بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعني خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركت الأحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فتحرزوا واستعدوا وتعصب العامة معهم فسكّن بختيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار.

تعصّب سبكتكين للسنّة على الشيعة

ثم عوّل على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لأن هيبته كانت في نفوسهم أكبر وقلّد سبكتكين الشرطة ببغداد حاجباً له فسكنت الفتنة مدة أيامه إلا أنّه تعصّب للطائفة المنتسبة إلى السنّة على الشيعة فثار أهل التشيع وعادت الحروب والفتن كأعظم ما كانت. فكانت الأموال تنتهب والقتل بين العامة يستمرّ في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه، وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان.

وعطف بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة الأموال وإعطاء الرجال وإرضاء طبقات [389] الجند وكان لا ينظر في دخل ولا

خرج وإنّما يُلزم وزيره تمشية الأمور من حيث لا يعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كلّ ما يفسد حاله وشأنه ويحبّ أن تقضى أوقاته فى الصيد والأكل والشرب والسماع واللهو واللعب بالنرد وتحريش الكلاب والديكة والقباج. فإذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الأمر أن يعود من الالتياث والانحلال إلى أسوأ ما كان.

فلمّا بلغ الأمر بوزيره أبى الفضل هذا المبلغ ولم تبق له حيلة فى درهم يأخذه من وجهه عدل إلى طلب الأموال من الوجوه المذمومة التى تقبّح[١] الأحدوثةُ بها وتحرم ولا تحلّ فى شىء من الأديان.

فبعث بختيار على مطالبة المطيع لله بمال يوهمه أنّه من وراء ثروة ومال وأنّه يحتاج إلى إخراجه فى طريق الغزو وأنّ ذلك واجب على الإمام.

ذكر الرسائل والجوابات التى دارت بين المطيع وبين بختيار وما آل إليه أمر أبى الفضل من الهلاك

أجابه المطيع لله بأنّ:

«الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى والىّ تدبير الأموال والرجال وأمّا الآن وليس لى منها إلّا القوت القاصر عن كفايتى[٢] وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف فما يلزمنى غزو ولا حجّ ولا شىء مما تنظر الائمة فيه وإنّما لكم منّى هذا الاسم الذى يخطب به [390] على منابركم تسكنون به

١. فى مط: تفلج.

٢. كذا فى الأصل ومط: كفايتى. والمثبت فى مد: كفائى.

رعاياكم. فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتكم والأمرَ كلَّه.»

وتردّدت المخاطبات فى ذلك والمراسلات حتى خرجت إلى طرف من أطراف الوعيد واضطر إلى التزام أربعمائة ألف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره.

وشاع الخبر ببغداد بين الخاصّ والعام وعند من ورد من حاجّ خراسان وغيرهم من الواردين عن الأقطار:

- «إنّ الخليفة صودر.»

وكثرت الشناعات.[١]

وعوّل أبو الفضل الوزير فيما يحتاج إليه من مال الجند والإقامات التى تلزمه للأتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالمحال. وابتدأ بأهل الذمّة ثم ترقّى إلى أهل الملّة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل السّتر وبثّ السعاة والغمازين وسمّاهم العمال وأجرى عليهم الأرزاق وكثر الدعاء عليه فى المساجد الجامعة وفى الكنائس والبيع وفي المحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرتُ من حالها فى الإغارة والإقدام على النهب والحرق وأسرفت فى ذلك حتى بطلت الأسواق وانقطعت المعايش وتعذّر على أكثر الناس الوصول إلى ماء دجلة حتى شربوا ماء الآبار وحصلوا[٢] في شبه الحصار.

---

١. زاد صاحب تاريخ الاسلام: فشددوا على المطيع لله حتى باع قماشه وحمل أربعمائة ألف درهم فأنفقها ابن بويه في أغراضه وأهمل الغزو وشاع فى الألسنة أنّ الخليفة صودر كما شاع قبله أنّ القاهر بالله كدي يوم جمعة. فانظر إلي تقلبات الدهر. (مد)

٢. فى مط: وحصروا.

ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذّر عليه حتى أركب إليهم طائفة من الجيش فواقعوهم [391] وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم.

وكان في حجابه رجل يعرف بصافي ذميم الأخلاق دنيّ النفس يتعصب لأهل السنة. فضرب محلة الكرخ وهي مجمع الشيعة ومعظم التجار بالنار فعظم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرّة على الرعية فيما دبّره سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها.

الوزير يصرف نقيب الطالبيين

وكان بين أبي أحمد الموسوى ـ وهو الحسين ابن موسى ويتولى نقابة الطالبيين ـ وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى على الشيعة فأظهر امتعاضا وخرج في المناظرة إلى المهاترة. فصرفه الوزير عن النقابة بأبي محمد بن الناصر وهو الحسن بن أحمد العلوى وحصل أبو أحمد الموسوى من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المتربين عليه وحصل أبو الفضل فريدا لا ناصر له.

سبب عداوة سبكتكين للوزير أبي الفضل

أمّا سبكتكين فيطلب عنده ثأر أبي قرّة وفي نفسه عليه ما كان منه في استدعاء بختكين آزاذرويه من الأهواز إلى واسط ليقيم مقامه ويجعله ضدّاً له، وشيء آخر كان عظيماً عنده قبيحاً وهو أنّ سبكتكين كان يختصّ غلاماً تركياً من غلمانه، فغضب عليه وأمر ببيعه في السوق فنصب الوزير أبو

الفضل من اشتراه له بضعف قيمته وتحظّاه ونزل عنده[١] منزلة من كان في نفسه منه عشق ثم موّله وأعطاه [392] شيئاً كثيراً حتى صار أجلّ وأيسر من غلمان سبكتكين. فلحقت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلمانه الذين فى داره بما وصل إليه هذا الغلام.

فهذه أسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة الجرجرائي له، وعداوة أبي أحمد الموسوى النقيب له، ثم عداوة محمد بن بقية له. وكان ابن بقية قد ملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له أنّ أبا نصر المعروف بابن السراج ـ واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسعاية ـ قد جمع بالمكسب الخبيث مالا عظيما وأعتقد[٢] ضياعا جليلة فشعثها أبو الفضل تشعيثا يسيرا أخرجه به إلى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف بمحمد بن أحمد الجرجرائي كاتب شرمزن الذى قدمنا خبره وسبب عداوته لأبى الفضل، ويداخلان محمد بن بقية ويعرضانه للمكاسب الجليلة والفوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيّرا رأيه فى الوزير أبى الفضل وأوهماه أنّه ساع عليه وأنّه لن يبعد أن يضمنه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك إلى أن أشارا عليه بتقلّد الوزارة وأن يسبقه إلى القبض عليه والراحة منه.

ذكر السبب فى تقلّد ابن بقيّة الوزارة

لم يكن ابن بقية يستقلّ ولا يكمل لحمل دواة بين يدى وزير ولا يطمع فى شيء من هذه المراتب [393] ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ في توفير وفّره، وخدمة فى جملتها تمسخر. وكان مستخرجا عسوفا شديد القسوة جاهلا وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر

---

١. كذا فى الأصل ومط : عنده. والمثبت فى مد : عنه.

٢. كذا فى الأصل ومط : اعتقد. والمثبت فى مد: أعقد.

وهو في هذه السيرة متشبه بأهل الشطارة والفتاك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبي الفضل قبل أن يسبقه إلى ذلك، دهش وعلم أنّه يعجز عمّا أشارا به عليه.

ذكر كلام سديد لابن بقيّة في تلك الحال

إنّه أجابهما بأن قال:

«لا صناعة لي ولا توجّه فيما تدعواني إليه ولي عند صاحبي منزلة كبيرة تحتاج الوزراء إليّ معها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي واتهجّن ويقدح في منزلتي وأُحطّ عنها من غير أن أنتفع بالوزارة.»

فشجّعاه وجسّراه، وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخلفه[1] ويكفيه العمل كله ثم صارا إلى سبكتكين الحاجب وذكراه بأفعال الوزير أبي الفضل وحملاه على الشروع في صرف أبي الفضل ونكبته فقال لهما:

ـ «إنّي لم أزل معتقدا لذلك وإنّما كان توقفي عنه طلبا لمن يقوم مقامه ويسدّ مسدّه. إذ كان محمد بن العباس[2] قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضيّا في وزارته ولا [394] ناهضاً بها وقد حفظت على الأمير بختيار أيمان البيعة بأن لا يقلّده وزارته.»

فخاطباه في تقليد ابن بقيّة وضمنا عنه أن ينهض ويغني ويكفي وأنّهما يعضدانه ويشدّان منه في التدبير والنظر في الأمور. فاستروح سبكتكين إلى ذلك وجمع به التشفي من أبي الفضل وفساد أمر بختيار، وتجشّم احتمالَ الغضاضة في توفية محمد بن بقية حقوق الوزارة بعد أن لم يكن ممن يجوز

---

١. كذا في الأصل ومط: يخلفه. والمثبت في مد: يخففه.

٢. يعني ابن فسانجس الوزير.

أن يعدّه من أصاغر خدمه ولا يطمع في دخول داره وإنّما تجرّع ذلك وطابت به نفسه لعظيم ما كان في قلبه من أبي الفضل. فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار ساء رأيه في أبي الفضل جدّاً فاستجاب إليه.

وقد كان أبو سهل ديزويه العارض مرموقا بمال عظيم ولم يتمكن منه لمصاهرة كانت بينه وبين شيرزاد بن سرخاب. فلما نُفي شيرزاد احتيج إليه في تسكين الجند مديدة فتدافعت نكبته. ثم إنّ أبا الفضل همّ في هذا الوقت بالقبض عليه فأحبّ ابن بقية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج أمواله.

فجرى الأمر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل ديزويه[1] في يوم الخميس وقبض ابن بقية على أبي الفضل يوم الأحد. فكان بينهما ثلاثة أيام واستتمّ القبض على جميع [395] كتّابهما ومن يتصل بهما من أسبابهما وكان ذلك في سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة.

الصلح والمصاهرة بين عضد الدولة وبين منصور بن نوح صاحب خراسان

وفي سنة إحدى وستّين وثلاثمائة وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبي صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بأبنة عضد الدولة ونفذ في ذلك عابد بن علي مع عشرة أنفس مختارين من الأشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكلّف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسل والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قطّ إلى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق

---

١. في مط درويه.

الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم.

ابن معزّ الدولة يلقّب عمدة الدولة

وفى سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة خلع المطيع لله على أبى اسحاق ابراهيم بن معزّ الدولة وكنّاه ولقبه عمدة الدولة.[١]

ذكر وقعة بين الدُّمُستُق وبين هبة الله بن ناصر الدولة

وفى هذه السنة جرت وقعة بين الدُّمُستُق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميّافارقين وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة لكنه اتفق أن لقيه فى مضيق لا تجول فيه العساكر وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامّة فانهزم الروم وأخذ الدمستق أسيراً وتمكن المسلمون منهم وأعزّ الله دينه وكثر القتل والأسر حتى أنفذ إلى بغداد الرؤوس والأيدى وكانت كثيرة فشهرت وكانت [396] هذه الوقعة فى آخر يوم شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة وحبس أبو تغلب الدمستق إلى أن جرح به جراح عظيم فبطّ وتأدت الحال به إلى الموت بعد أن كان أحسن ضيافته واجتهد فى علاجه وقدّر أن يبلغ به من ملك الروم ما يريد.

وزارة محمد بن بقيّة

وفى هذه السنة خلع ثانى يوم قبضه على أبى الفضل وهو يوم الإثنين السابع من ذى الحجة سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة على محمد بن بقيّة وكان

١. زاد صاحب التكملة: خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجبة المطيع لله على رسم أخيه عزّ الدولة فى أيام أبيه. (مد)

إلى هذا اليوم يقدم الطعام إليه ويحمل الغضائر بيده ويتشح[١] بمناديل الغمر ويذوق الألوان عند تقديمه[٢] ايّاها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته. فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار.

وتعجّب الناس من وزارته. كان دنيّاً لا يقع عينه إلّا على من كان فوقه ولا يرى نفسه إلّا دون كلّ أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا وإخلاقاً وتضاحك صغار الناس به قُربا وبعدا.

واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجرائي وناط الأمور به وبالمعروف بأبي نصر السرّاج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة ألف دينار. فلمّا صحّ أكثرها سُلّم إلى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الكوفي على أن يخرجه [397] إلى الكوفة ويحبسه عنده فتسلّمه وعاش عنده مديدة وتلف فلم يشكّ أحد أنّه مات مسموماً.

وقبل ذلك توفّيت زينة بنت أبي محمد المهلّبي ـ رحمه الله ـ وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقرضت[٣] الجماعة ثم تبعهم[٤] جميع من اشترك في دم أبي الفضل قتلا من غير أن طال بهم الأعمار وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

ذكر ما دبّر به ابن بقيّة أمره حتى تماسك مديدة

إنّه جدّ في مطالبة أبي الفضل وأسبابه من خلفائه وحجّابه وغلمانه وكل

---

١. في مط: يمسح، بدل «يتشح».
٢. كذا في مط ومد وفي الأصل طموس.
٣. في مط: وانقضت.
٤. كذا في الأصل ومط: تبعهم. والمثبت في مد: تتبعهم.

من انتسب إليه وإلى ديزويه العارض حتى استصفى أموالهم واتسع بما وصل إليه مديدة ومشت الأمور بين يديه فتبجّح بذلك وادعى حسن الأثر وتوصل إلى أن كنّاه المطيع ولقّبه الناصح فخلع عليه الخلع السلطانية بأمر بختيار وإذنه. وكثر ذمّه لأبي الفضل والطعن عليه وادّعى العدل والإنصاف فلم تمض إلّا أيام حتى ارتكب من الظلم والغشم وإثارة الفتن ما صارت أيام أبي الفضل بالقياس إلى أيّامه جاريةً مجرى أيام العمرَين[1] وكل ذلك لسوء نظر بختيار وإهماله الأمور وإقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة [398] التدبير حتى سقطت الهيبة وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الأهواءُ المختلفة والنيّات المتعادية وفشا القتل حتي كان لا يعدم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قاتلوهم وان عرفوا لم يتمكّن منهم فانقطعت مواد الأموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والأقوات معدومة والجند متهارجون.

ذكر تدبير دبّره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ثم عادت الحال كأسوأ ما كانت

شرع ابن بقيّة في إصلاح ما بين بختيار وسبكتكين وتوسّطه الوجوه والأكابر فتردّدت المراسلات ووجوه الكتّاب والقوّاد وأخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمين مؤكدة على التصافي والتآلف.

فلمّا تمّ الاتفاق بينهما ركب سبكتكين إلى بختيار مع جماعة من الأتراك

---

١. في مط: الغمرين وفي الأصل: الغمرّين.

فلقيه وسلّم عليه وانصرف، ولم يعد إليه ولا اجتمعا إلّا في الموكب وعلى سبيلهما الأولى في التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكرة ووجد الأعداء والمتسوقون[١] طريقا سهلا في الشر فسلكوه فعادا إلى التنافر. [399]

ذكر سبب قويّ في عودهما إلى الحال الأولى من العداوة

اجتاز ديلمى من سقط الجند سكران في فناء[٢] دار سبكتكين الحاجب فيما يلي دجلة وهو نائم فرمي الديلمي أحد صوالجة الروشن بزوبين كان معه فأثبته فيه على سبيل العبث فظنّ سبكتكين أنّه مدسوس عليه ليرميه فتقدم بأخذه فأخذ وسُئل واستُقصي عليه فلم يكن لذلك الظنّ أصل فأمر بإنفاذه إلى بختيار وتعريفه ما كان منه فلمّا حصل بحضرته أمر بقتله فقتل، وتحرك الديلم وأنكروه واستشنعوا فعله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة أيام ثمّ استعطفوا فرجعوا إلى منازلهم والقلوب نافرة.

ودخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

خروج بختيار إلى الموصل

وفيها خرج بختيار إلى الموصل طمعاً في تناول بعض ما في تلك الأعمال والاتّساع به وحرصا على التصيّد في طريقه.

---

١. يعني السعاة. قال أبو العلاء المعري في اللزوميات (١ : ٢١) : ولا تقبلوا من كاذب متسوق (مد).

٢. قال في حواشي مد : «قد سقط شيء.» وليس كذلك، فالعبارة مستقيمة.

شرح هذه الأسباب وذكرها على التفصيل

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الأخيرة أطمع بختيار في الموصل وقدّر أنّ خروجه إليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن نكبته وليتغلّل بما يتناوله من تلك الأعمال غلّة[1] ومالا يستعين بها في القضيم والأقوات. فلمّا تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج، وحرص ابن بقية على الموصل. [400]

ذكر سبب ذلك

وردت كتب أبي تغلب على ابن بقيّة مع عليّ بن عمرو كاتب أبي تغلب ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكاتب به الوزراء قبل ذلك لانحطاط منزلته في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاغتاظ ابن بقيّة من ذلك وذكر عليّ بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبيح وتوعّدهما بالمسير، فتلافاه بالمكاتبة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقيّة عن عزيمته.

وأحب بختيار الخروج إلى الموصل للأمور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو طاهر إبراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح أخيه إبراهيم ولم يطمع في حمدان لوكيد العداوة بينهما فكاتب إبراهيم وأرغبه ليقطعه عن مضامّة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار.

ونظر إبراهيم فإذا أحوال أخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه: «يأتي صائر[2] اليك» واستدعى منه نفراً من الفرسان

---

١. كذا في مط ومد: «ليتغلّل... غلّة». وما في الأصل بالعين المهملة.

٢. كذا في الأصل ومط: صائر. والمثبت في مد: سائر. وللصائر أيضاً وجه من المعنى.

والأعراب ليصحبوه فأنفذهم إلى قرب بغداد على سمت البرية فهرب إليهم وأخذ معه أخاه المسمى ذا القرنين[1] وكان رهينة في يد معزّ الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج مع أخيه. فلمّا كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك سبباً ظاهراً للخروج إلى الموصل والباطن ما تقدّم [401] ذكره.

وكان حمدان ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثا له على الشخوص إلى تلك البلاد وطمعاً في التشفّي من أبي تغلب. فاستحلفه بختيار بغموس الأيمان بعد هرب إبراهيم على الثبات معه والنصيحة له وتمّت العزيمة.

فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب ومحمد بن بقيّة الوزير وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث.

ذكر الحال في هذه الخرجة وما آل إليه الأمر

وقع التدبير على أن يخرج سبكتكين في الجانب الشرقي على المقدمة ويتلوه بختيار سائرا على أثره وبينهما مرحلة واحدة فإذا صاروا بإزاء تكريت عبر بختيار وسار في الجانب الغربي واستمرّ سبكتكين سائرا في الشرقي ففعلا ذلك وسبق بختيار إلى الموصل وقد رحل عنها أبو تغلب إلى سنجار بعسكره كلّه وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومتصرّف، ثمّ توجه من سنجار إلى مدينة السلام وهو من الجانب الغربي.

وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبي تغلب وخروجه إلى بغداد ببختيار فكتب إلى سبكتكين يرسم له العبور إلى الجانب الغربي والمسير في أثر أبي تغلب وأنفذ إليه شطر عسكره وحمدان بن

---

١. هو أبو المطاع وجيه الدولة ولي دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة ٤٠١: كذا في تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩ (مد).

ناصر الدولة وجمهور العسكر وأنفذ محمد ابن بقية فى الطيارات والزبازب راجعاً إلى بغداد بعد أن استخلف [402] بحضرته محمد بن أحمد الجرجرائى.

فسبق أبو تغلب وانتهى إلى قرية تعرف بالفارسية[1] على نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فعسكر بها وعامل من اجتاز به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئاً إلّا بالثمن الوافر وأظهر العدل والانصاف.

وصارت طلائعه ترد إلى بغداد وخرج إليه جماعة من عوامّ الناس وأوباشهم مستقبلين له مظهرين السرور بمقدمه وبرز أبو اسحاق ابن معز الدولة وكان يخلف أخاه بختيار إلى باب الشماسية وانتقل المطيع لله ووالدة بختيار وجماعة الحرم والأولاد إلى القصر الذى بناه معزّ الدولة بباب الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحاق جسرا فى هذا الموضع على دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذى كان معه وأظهر أنّه يريد الحرب والمدافعة من غير عزيمة صحيحة وإنّما أراد التماسك إلى أن يصل سبكتكين الحاجب.

فتعجّل وصول محمد بن بقية سابقا فى آلات الماء فشد من أبى اسحاق وافتتن الجانب الغربى وعاد العوام إلى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر التجار وتعطلت الأسواق وعبر أهل النباهة من الغربى إلى الشرقى ونزل سبكتكين بأوانا بازاء عُكبَرا.

فعدل أبو تغلب من موضعه راجعا إليه فنزل فى قرية بينهما نحو نصف فرسخ [403] وتصافّ العسكران ووقع الطراد بين سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافّا وجنحا إلى الصلح.

١. كذا فى الأصل وهو المثبت فى مد. فى مط : القادسيّة.

ذكر مكيدة جرت في هذه الحرب واجتماع من سبكتكين وأبى تغلب على بختيار وحيلة بينهما لم يتمّمها سبكتكين وضيع فرصته فيها

كانت الموافقة في السرّ تجرى بين أبى تغلب وسبكتكين على الموادعة واظهار الخلاف إلى أن يتمكّن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بختيار وحُرمه ومحمد بن بقيّة وإظهار العصيان عند ذلك ثم يعود إلى بغداد ويعود أبو تغلب إلى الموصل قاصدا بختيار وهو فى عدد قليل فيتمكن منه ويقلب دولته سريعاً. ففكّر سبكتكين فى سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاهُ وعلى الخليفة وخاف عاقبة ذلك.

وبادر محمد بن بقية من بغداد إلى سبكتكين فاجتمع معه وحضرهما رسل أبى تغلب وتقرر الصلح على المبلغ الاول وزيادة ألف كرّ من الحنطة فى كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف كرّ حنطة عوضا عن مؤونة سفره.

وانكفأ أبو تغلب إلى الموصل قاصدا بختيار وهو فى خِفٍّ[1] من عسكره فأيقن الناس أنّ أبا تغلب لم يقدم على القرب من سبكتكين إلّا على ثقة من أنّه لا يحاربه وأنّ ذاك الطراد الذى وقع بين أوائل العسكرين إنّما كان[2] تمويها.

ودخل سبكتكين وجميع [404] العسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بمعاودة المسير واللحاق بصاحبه بختيار فتثاقل عن ذلك واحتجّ بأنّ الرجال لا يستجيبون

---

١. الخِفّ: الجماعة القليلة.

٢. فى مط: هو. بدل «كان».

للعود ثم فكر في العواقب فانكفأ على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان همّ به الا أنّه ما فعل ولو همّ وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يمتنع عليه شيء من التدبير الذي ذكرناه.

ثم جدّ سبكتكين وابن بقيّة وسائر الجند في المسير مصعدين وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع أبي تغلب إليه جمع إليه أطرافه وردّ قواده من النواحي التي كان فرّقهم فيها وخاف خوفا شديدا وعبّى مصافّه في الموضع المعروف بالدير الأعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل أسفل الحصباء[١] على حالة الأهبة والتعبئة ولم يبق بينهما في المسافة إلّا طول قصبة الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الّا أنّ أبا تغلب كان الأظهر لكثرة عدده وتعصّب أهل الموصل له.

وخاض الناس بينهما في حقن الدماء وتتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتطّ أبو تغلب في الحكم والتمس النقصان والحطيطة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار إليه وأن يلقّب لقبا سلطانياً. فأجابه بختيار إلى ذلك كلّه تفاديا من اللقاء.

وجرى كلام في معنى حمدان وأن يفرج عن ضياعه وأملاكه [405] بغلاّتها وعن القلعة المفردة له المسماة وهي قلعة ماردين. وكانت هذه القلعة مسماة لحمدان ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتّب أخاه من أمّه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الأخ حتى رغب في مال يتعجله وخان أخاه وسلّمها.

فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئاً منه وكان غائباً عن هذا الامر وحاصلاً ببغداد مع سبكتكين الحاجب. فضعف بختيار

---

١. والمثبت في مد: الحصبا. (دون الهمزة)

عن الاستيفاء وكان غرضه المغالتة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له: قرن الآثل، على خمسة فراسخ من معسكره في عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يميناً أخذها عليهما أبو أحمد الموسوى وجماعة من السفراء وانحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه باللعن والدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم. وذاك أن محمد بن أحمد الجرجرائي خليفة ابن بقيّة ظلمهم وعسفهم فكان انصراف بختيار عن هزيمة ظاهرة. فلمّا تحرك من موضعه وانحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا إلى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسمل عيونهم[1]. ووجد رجلاً عقيلياً يعرف بابن العجّاج كان استأمن من عسكره إلى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلاً على ما جرى من الصلح فضرب رقبته.

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقيّة وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصلح وأنف محمد بن بقيّة من الحال التي انصرف عليها بختيار واتفقوا على أن يجعلوا ضرب رقبة هذا العقيلى وسمل العمال [406] ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار وأتباعه عذراً في الرجوع وحجّة على أبى تغلب فى الفسخ. فعطفت الجماعة بجميع العسكر إلى الموصل. فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها: تلّ أعفر[2]، وردّ كاتبه المعروف بأبي الحسن على بن عمرو بن ميمون برسالته إلى بختيار يعاتبه فيها على النقض وينسبه إلى الغدر فقبض محمد بن بقيّة عليه واعتقله وامتهنه واحتجّ عليه بما ذكرنا فجحد أن يكون ما جرى من القتل والسمل بأمر أبى تغلب وأحال فيه على بعض غلمانه.

ثم تقرّر الأمر بعد خطوب جرت على إتمام الصلح وقوّمت الغلة وردّت

---

١. فى مط : فسمل على عيونهم.
٢. فى مط : تلّ أعفر.

إلى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجم الباقى على تعجيل وتأجيل وشرط الإفراج عن ضياع حمدان خاصّة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وأن يسلّم القوم الذين قتلوا العقيلى وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه. فأنفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بأنه لا يسيء اليهم لعلمهم جميعاً أنهم مأمورون فعفا عنهم بختيار ـ وعلى أن يلقّب أبو تغلب ويزفّ إليه زوجته وجدّدت الأيمان والعهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل فى طريقه بالتصيّد وكان وروده مدينة السلام لعشر خلون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبى تغلب فأنجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله فى تلقيبه فلقّب عُدّة الدولة، وأنفذ اليه [407] خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال.

وفى هذه السنة هلك محمّد بن أحمد الجرجرائى وتلف فى المصادرة

ذكر السبب فى ذلك

كان ابن بقيّة لا يبقى على أحد يتّهمه أو يسبق إلى قلبه منه شيء بل يعاجله قبل التأمّل ويقتله من غير تثبّت. وكان أهلك قوماً من أهل الكفاية والكتابة بالظنّ والتهمة وأنهم سيصلحون لمكانه. ولما أفضت إليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازى المعروف بأبى القاسم المشرف[1] وكان يعاديه ويعتقد أنه ذو كفاية فأراد القبض عليه واستصفاء ماله وإتلافه فتدافع ذلك إلى أن عاد من الموصل فعمل على أن ينفذ محمد بن أحمد الجرجرائى فى ذلك طلباً لإبعاده عن الحضرة ولأن حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدّمه على ابن بقية فى الكتابة ولأنه عقد بينه وبين

---

١. فى مط : المشرق.

قهرمانة بختيار التى يقال لها: تحفة. فكانت تحامى عليه وتتعصب له وكان مع ذلك يتكلّم بالفارسية، وابن بقيّة لا يعرف منها شيأ. فتطاول بهذه الأشياء على ابن بقية واستهان ببعض ما كان يأمره به، ثم بلغه أنّه مهد لنفسه حالاً عند بختيار أيام تفرُّده بخدمته بالموصل.

فلما اجتمعت عليه هذه الأشياء أراد إبعاده عن الحضرة وإخراجه فى القبض على على بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه. فلما خاطبه فى ذلك نفر منه وأحس بتغيّر نيّته له واجتهد [408] فى أن يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كلّ واحد منهما عن صاحبه. ولو صبر على أن يكون عامل البصرة لما خرج به ابن بقيّة إلى ما خرج ولكنّه لما رءاه يأبي[1] إلا التشبّث بالحضرة والتمسك بما كان ناظراً فيه دون ما سواه اتهمه وازداد شكّاً فيه.

وكان ابن بقية قدّم كتابةُ إلى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له: عبدالعزيز بن محمد الكُراعى، وهو من الأوغاد الأصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يعرّفه نيّته في على بن الحسين ويأمره بالقبض عليه. فانحدر الجرجرائى على أن يصادره وينصب مكانه ضامناً له أو عاملاً غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق على بن الحسين على مال التزمه وأضافه إلى أصل ضمان البصرة وجدد إيقاع العهد عليه وردّه إلى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقيّة وكتب إليه بأنّ الصواب أوجب ذلك عنده وأنه مصعد إلى الحضرة فاغتاظ من فعله ورءآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبدالعزيز بن محمد الكراعى بالقبض عليه وعلى علىّ بن الحسين ففعل ذلك.

فأما علىّ بن الحسين فإنّه قرّر أمره على بعض المقاربة وردّه إلى العمل

---

١. فى مط: يأتى.

بعد خطوب جرت فيه. وأمّا الجرجرائي فإنّه أخذ خطّه بمال ثقيل فصحّ له بالبصرة شيء يسير واشترط لنفسه أن يحمل إلى بغداد ليصحّ المال إذ كان وطنُه بها وفيها نعمته وإنّما كان غرضه[١] [409] بالقهرمانة التي كانت تَعَزّه. فسابقه محمد بن بقيّة إليها فاشتراه بخمسين ألف درهم منها فأسلمته وخلّت بينه وبينه. وكتب بحمله وتقدّم إلى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفيني، بأن يتسلّمه حتى يصل إليه ويتولّى من أمره ما الله مسائلهُ عنه. فتسلّمه أبو غالب ومكث في يده أياماً وأظهر أنّه اعتلّ ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل.

وفي هذه السنة بدأت فتنة الأتراك بالأهواز ثمّ عمّت جميع العراق
ذكر السبب في هذه الفتنة كيف نشأت

قد كانت الإضاقة في المال والتسحّب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذّر عليه الإستقرار. فكان وزراؤه وكتّابه يحتالون له فلا يجدون طريقاً لمصلحة ولا يتّجه لهم وجه الصواب. وكلما أمّلوا أملاً خابوا، أو قصدوا عدوّاً نكبوا ونكصوا. لأنّ الأبنية كانت تُوضع على أصول غير مستقرّة وقواعد غير قويّة فلا يبعد أن يتقوّض فيعتاص عليهم المذاهب.

فاعتقد بختيار ومحمد بن بقية عند منصرفهم من الموصل بالخيبة أن يخرجا الى الأهواز فيستقصيا على بُختكين آزاذرويه ويصرفاه عن البلد ويعملا له أعمالاً ويطالباه بمال ويمرّا عليه النكبة ثم يفرّقا الأتراك عن سبكتكين ويخفّفا عدد من يبقى منهم ببغداد [410] ويحتالا عليه من البعد ليستريحا منه ويُحصّلا أمواله واقطاعه ونعمته ويتّسعا بذلك.

---

١. كذا في مط. قال في حواشي مد: لعله سقط مثل «الاجتماع».

فانحدرا إلى الأهواز في شعبان سنة ثلاث وستّين. فلما صارا بواسط أنفذ إليهما بُختكين ثلاثمائة ألف درهم ثم نزلا الأهواز فحمل إليهما ما يحمل إلى الأصحاب وخدمهما وبذل من نفسه الطاعة في المحاسبة والموافقة. فلم تمض على ذلك أيام حتى ثارت فتنة بين الأتراك والديلم في سبب صغير قد كان يجوز أن يستدرك قبل أن يستفحل ويستصعب. فاغتنماه وجعلاه ذريعة إلى إتمام ما كانا همّا به، وأجرياه على تخليط وفساد من غير تحرّز ولا احتياط.

ذكر الخطأ الفاحش والتخليط الذى استعمل في التدبير حتى انعكس وعاد وبالاً

إنّ بختيار خلف ببغداد والدته وإخوته وأولاده وحُرمه وخزائنه وأكثر سلاحه وقطعة من خيله في قبضة سبكتكين عدوّه الذى هو في طريق التدبير عليه ومكاشفته بالعداوة. ثمّ أخذ يتطلّب عورة الأتراك الذين معه وينتهز الفرصة الضعيفة فيهم ليفسدهم على نفسه وينبّه سبكتكين على تدبيره عليه.

فكان مبدأ هذا الفساد أنّ غلاماً من الأتراك نزل بسوق الأهواز داراً تجاور بعض الديلم وكان على بابها لَبِنٌ مشرَّج فأراد أن يبني به معلفاً لدوابّه. واحتاج ذلك الديلمى أيضاً إلى شيء منه فوجّه غلامه ليأخذه فمنعه غلام التركى فلم يمتنع وخرجا [411] إلى التنازع والتهاتر فخرج التركىّ من داره لينصر صاحبه ويمنع صاحب الديلمى. وخرج ايضاً الديلمىّ لنصرة غلامه فأربى على التركي واستطال عليه فركب في الوقت واستنهض الأتراك. فثاروا بالديلم وتبادر الديلم وحملوا السلاح واجتمعوا على باب بختيار وبالباب ساحة واسعة قد ضرب فيها وجه من وجوه الأتراك مضاربه وذلك

لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على أن يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشتمه فثنّى عنانه إليه وهو بغير جبّة فرماه الديلمي فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الأتراك بثأر صاحبهم هذا ورموا الديلم بنشّاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدّة، وبرزوا بأسرهم عن البلد إلى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القوّاد والأكابر فى منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة.

واجتهد بختيار فى تسكين النائرة[1] فلم يمكنه ذلك بعد التهابها[2] فاستدعى قوّاد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده فى سبكتكين الحاجب والأتراك فقالوا:

ـ «هذا أمر قد انتشر وفى نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الأتراك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التى كانت فى يد بختكين وتنهض إلى بغداد لتقلع عنها [412] سبكتكين وتستريح منه ومن الأتراك.»

وكانت عادة بختيار أن يسمع من كل مخاطب ويتحدّث مع كل كاذب. فتسرّع إلى قبول ما رأوه ووجّه إلى بختكين آزاذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسباشى الخوارزمى وبكتيجور وكان حماً لسبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيّدهم وأدخل يده فى إقطاعات سبكتكين بالأهواز وصرف أسبابه عنها وكتب إلى البصرة بالنداء فى الاتراك والإيقاع بهم فنودى فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها.

ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتمّ له

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تُظهر عند بعده عن بغداد إلى

---

١. كذا فى الأصل ومط: النائرة. والمثبت فى مد: الثائرة.

٢. كذا فى الأصل ومط: التهابها. والمثبت فى مد: انتهائها.

الأهواز وخفّة الأتراك المقيمين بحضرة سبكتكين أنّ بختيار قد توفى ليصير سبكتكين إليها معزّيا ومشاركاً في المصيبة ووافق أخاه أيضاً على مثل ذلك، فإذا حضر أوقعا به وقبضا عليه. فكتب إليهما ساعة قبض على رؤساء الأتراك على الأطيار بالعمل على ذلك الاتفاق. فأشاعا ورود نعيه وظنّا أنّ سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير إليهما ولو صار إليهما لما حضر إلّا على نهاية الاستظهار. فإنّ غلمان داره المماليك أربعمائة سوى أتباعهم وسوى الديلم برسمه وسوى حجّابه ومن في جملتهم. [413]

وكان هذا الرأى من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالإنتفاض. فاقتصر سبكتكين على مراسلتهم بالمسألة عن الخبر ومن أين صحّ، وتوقّف عن الركوب إلى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته. فجمع حينئذ الأتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وأنّ الستر قد انخرق وانهتك وأنّ دماءهم قد أحلّت وأبيحت. فدعوه إلى أن يتأمّر عليهم ليطيعوه، فتوقف عن ذلك وراسل أبا أسحاق ابن معزّ الدولة يعلمه أنّ الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انفراجا لا التئام له وأنّ أكثر الجيش نافر عنه وأنّه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة مواليه وإنّ عقّوه وباينوه وأنّه يعقد الأمر له ويجمع الأتراك على متابعته وينقل الديلم عن بختيار إليه ويتكفل له بالأمر حتى يستقرّ عليه.

ذكر انتقاض[1] هذا التدبير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى

لما قبل أبو اسحاق ابن معزّ الدولة هذا الرأى ودخل تحته، علم أنّ بختيار

---

١. في مط: انقباض.

إمّا أن يصير جالسا فى بيته مُزاح العلل فيما يحتاج إليه أو يصير إلى حضرة عمه ركن الدولة. فذهب إلي والدته وقصّ عليها القصة فمنعته من هذه الحال وأشفقت من أن يؤول إلى هلاك أحد ولديها. وصار إليها من كان مقيما بمدينة السلام من الديلم فأطمعوها فى الاستقلال بمحاربة سبكتكين [414] ومن معه من الأتراك، فجمعتهم إلى دارها بالسلاح وأصبح سبكتكين وقد نقض عليه إبراهيم ذلك الإتفاق.

فركب فى يوم الجمعة لثمان خلون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الأتراك قاصدا الحرب وناصبا لها فبقى يومين يحاربهم تباعا، فلمّا كان فى الثالث أحرق جوانب الدار بعد أن حاصرها ونفد زاد من كان فيها واستسلم إبراهيم ووالدته وكذلك أبو طاهر ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا إلى واسط ولا يفضح حرم مولاه وأولاده فاستحيا وتذمّم فاجتمعوا جميعا فى حديدىّ وانحدروا وتفرّق الديلم هاربين فى مرقعات إلى بختيار وأقامت منهم شرذمة في طاعة سبكتكين.

وكان المطيع لله أعدّ لنفسه حديدياً استظهر به عند حدوث الفتنة فانحدر مع المنحدرين فأنفذ سبكتكين عدّة من الزبازب حتى ردّوه إلى داره ووكل به فيها توكيلا جميلا. واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح والدواب والآلات والمنازل[1] فنزل الأتراك فى دور الديلم وتتبعوا حرمهم وودائعهم وسائر أسبابهم.

وثارت العامّة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين فقوّد من رؤسائهم القوّاد وعرّف العرفاء ونقّب النقباء وخلع عليهم وحملهم على الدواب [415] واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند.

---

١. في مط : المتارك. بدل «المنازل».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خلافة الطائع لله

ذكر خلع المطيع وتسليم الأمر إلى ولده

كان المطيع لله بعقب علّة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتعذّرت الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه إلى تسليم الأمر إلى ولده الطائع[1] لله ففعل وعهد إليه فبرئ من الخلافة وخلعها وأشهد على نفسه سنة ثلاث وستّين يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة.[2]

ذكر اسباب الفتن الهائجة بين العامة حتى أدّت إلى بوار بغداد

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاموا الشيعة وناصبوهم لحرب وتحزّب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصّنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربى واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الأول فى وزارة أبى الفضل.

---

١. في مط : الوالي لله. بدل « الطائع لله ».

٢. وفى تاريخ الاسلام . فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبرى : كان المطيع لله بعد أن خلع يسمى الشيخ الفاضل. (مد)

فافتقر التجار وغلبهم العيارون على أموالهم وبضائعهم وحرمهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفّروا منهم وأى فريق كان الخفارة له قصد الفريق الآخر.

وانتثر(١) النظام وانخزل السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين فى أمر الدين والدنيا بعد أن كانت فى أمر الدين خاصة وذلك أنّ الشيعة ثاروا بشعار بختيار والديلم وأهل السنة ثاروا بشعار سبكتكين والأتراك. [416]

شرح الحال فيما تأدّى إليه أمر بختيار بالأهواز وما دبر به أمره

أدخل يده فى إقطاعات جماعة الأتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آزاذرويه بجنديسابور واجتمع الاتراك المشغّبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتلافى بختيار بعضهم.

ذكر السبب فى ضرورة بختيار إلى استصلاح الأتراك بعد استفسادهم

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الاتراك الذين هربوا من البصرة وعاتبوه على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم:

ـ «إنّه لابدّ لنا فى الحرب من فرسان وأتراك.»

فاضطرب بختيار فى الرأى وترجح فيه ثم قرّره على أن أطلق بختيار آزاذرويه وجعله فى موضع سبكتكين وسمّاه حاجب الحجاب وقدّر أنّ الاتراك يأنسون به ويعدلون عن سبكتكين إليه وكتب إلى البصرة بإيقاع النداء بانهم آمنون وألّا يعرض لهم وان يُرَدّ ما أخذ منهم. وأطلق سباشى

---

١. كذا فى مط: وما فى الأصل: انتشر.

الخوارزمى وأقرّ بكتيجور على حمله[1] الاعتقال لمصاهرته سبكتكين. وبلغه خبر والدته واخوته وعياله فى انحدارهم إلي واسط فسار إليها.

وكتب إلى الحضرتين بفارس والريّ يشكو ما نزل به ويسئل أن يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد فى تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب إلى أبى تغلب ابن حمدان فسأله إنجاده بنفسه وعسكره وعمل على أن يعتصم بعمران بن شاهين فانفذ إليه خلعا وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط ما بقي عليه من مال الصلح الذى كان صالحهُ عليه [417] وخطب إليه احدى بناته وسأله أن ينفذ إليه عسكراً فى الماء يستعين به على حرب الأتراك وترسّل إليه فى ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسماعيل. فلما أدّى اليه الرسالة قال له:

ـ «يا هذا قد جئتنا فى أمور غير متوجهة عندنا ولا لائقة بأحوالنا.»

جواب عمران بن شاهين عن رسالته وإتْباعه إيّاه بكلام وافق قدرا فجرى كما قال وقدَّر

ـ «أما هذا الدّين المتروك فالتحمد علينا به مع علمنا بأنّه ساقط باطل لا يحسن لكنّا نقبل ذلك.

«وأما الوصلة فأنا رجل لا أواصل[2] أحدا من خلق الله إلّا أن يكون الذكر من عندى والأنثى من عنده وقد خطب إليّ الطالبيون مع أنّهم مَوالٍ فما أجبتُ أحدا منهم الي ذلك لأنّ نفسي لا تسمح له وهؤلاء أولاد أخى هم أكفاء بناتي ما واصلت أحداً منهم ولكن إن شاء أن نتصاهر على السبيل الأخرى فعلتُ.

ـ «وأما الخلعة والفرس فلست ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لأنّ

---

١. حملة: كذا فى الأصل ومط. ولا نوافق مد فى احتمال كونه «حالة».

٢. كذا فى الأصل: أواصل. فى مط: أوصل. والمثبت فى مد: أداخل.

دوابيّ هذه السفن لكن أبا محمد ابنى يقبل ذلك ولا يردّه.

ـ «وأما عسكرى وإنفاذه فليس تسكن رجالى الى مخالطتكم لكثرة من قَتلوا من رجالكم على مرّ السنين والوقائع.»

ثم قال للرسول:

ـ «قل له: ينبغي أن تتوقّر[١] وتترزّن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتنى محاربا لى فرجعت عنى منهزما وقصدت الأهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة [418] وأنا أعلم أنّ أمرك سيتأدّى الى أن تجيئنى وتلوذ بى وتحصل عندى وسأذكّرك هذا وتعلم حينئذ أنّى أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتنى به أنت وأبوك قبلك.»

فتعجّب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور[٢] الكائن فإنّ الحال ببختيار آلت إلى المصير اليه والحصول عنده مستجيرا به ومستذمّا على ما سنذكره إن شاء الله.

جواب ركن الدولة عن رسالته إليه

فأمّا ركن الدولة فإنّه أجاب بجواب صدر عن نيّة صحيحة وشفقة عليه وهو أن قال:

ـ «إنّ الفتق الذى انفتق عليه عظيم يحتاج إلى رجال ومال وسلاح وتدبير وهيبة وطاعة وإنّه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وإنّه بازاء أشغال عائقة وأمور قاطعة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة إذ كانت تلك الادوات التى عددتها مجتمعة له وحاصلة عنده وإنّه سائر من فارس إليه مع جيش كثيف ويخرج إلى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح ابن أبى

---

١. كذا في الأصل ومط. وهو صحيح. والمثبت في مد: تتوفر.

٢. في مط: المقدر.

الفضل ابن العميد.

وإنّما بنى ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان يكاتبه به ابنه عضد الدولة فإنّه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع أن يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الأمور [419] هناك بسوء تأتّى الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الحيل وفساد الرعية وكان مع ذلك فاسد الرأى فى بختيار مضطغنا أشياء كان تقدّم[1] بينهما من مناقشة جرت في وقت ومنافسة فى مرتبة ومنع مما كان يلتمسه عضد الدولة منه خاصة من دفاتر عزيزة وكان يضنّ بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويحبّ أن يستبدّ بها من البادية وكانت هذه الأشياء مجتمعة فى نفس عضد الدولة فهو يحبّ أن تستحكم الفتن ويستشرى البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه وخيله وأمواله ويدبّر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمّها إلى ممالكه.

فراسل أباه ركن الدولة: «بأنّك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك. وعندى منه كيت وكيت فى القلاع والخزائن». وعظّم عليه ما جمعه.

ولعمرى لقد كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة فى أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه أحبّ أن يبذلها فى خاصة نفسه لا فى معاونة ابن عمه الذى يتصوره بصورة التخلّف[2] وتضييع الأمور وإهمالها وتفويض الوزارة وتدابير المملكة إلى من لا يُرجع منه إلى رؤية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو [420] مع ذلك يظهر له المنافسة ويمنعه من مطالبه ويغضّ[3] من أقدار أصحابه الواردين عليه فى مهمّاته.

---

١. يريد كانت تقدمت. (مد)

٢. كذا فى الأصل ومط: التخلف. والمثبت فى مد: التجلّف. ولكيهما وجه، وللتصحيف دور.

٣. كذا فى الأصل: يغضّ. وفى مط: بعض. والمثبت فى مد: يغض.

وكان يكاتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذى يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتفديته بنفسه ورجاله فى نصرة ابن أخيه الذى هو ابن عمه وباطن رأيه إنّ ذلك الأمر سيضطرب اضطرابا لا تبقى معه بقية إلا باستصلاحه لنفسه دون غيره.

جواب عضد الدولة عن رسالته إليه

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه فى النيابة عنه وكفايته هذا الشغل فأجاب بختيار يشير عليه بأن يقف حيث انتهى وإلّا يزيد الأمر فسادا ولا يبرح من واسط حتي يلحقه ويدبّر نواحيه وأقبل يماطله بالمسير وزحف إليه الأتراك ومن انحاز إليهم من سائر أنواع الجند فحوصر وبلغ منه كل جهد.

ولعمرى لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابرة من يحتشمه عدوّه ويُبقى عليه وذلك أنّه لما اشتدّ به الحصار وكان نازلا بين النخيل لا مجال لخيل الاتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون إلي النخيل ويراوغون فيه ولا يخلو فى خلال ذلك من مواقف يصل إليه فيها التركى المداخل المصالت فإذا علم أنّه قد تمكن منه عدوّه يذكّره بالله وبالنعمة [421] وأنّه صنيعته وصنيعة أبيه ويخاطبه بما يرقّ له القلب وتستحى منه العين فينصرف عنه التركى بعد التمكن منه ويحبّ أن يجرى قتله علي يد غيره.

فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والعري ونفاد السلاح والخوف من إقدام من لا يقبله ولا يحتشمه عليه ويكاتب عمه وابن عمه، وعضد الدولة يتوقف ويعده بالمسير مدافعة المماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضجّ من ذلك ويبعث ابنه ويستبطئه إلى أن لم يجد عضد الدولة من المسير بدّا. فسار من فارس وسار أبو الفتح ابن العميد من الريّ وكانت عدّة أبى

الفتح الوزير التى استصحبها يسيرة بالإضافة إلى ما استظهر به عضد الدولة كثرةً وقوة ومددا وذلك أنّه بالغ جدًا ولم تبق بقية فى الإحتشاد ولم تكن صورته في ذلك صورة من ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والإنجاد ثم الانصراف، بل صورة من يجاهد ويدافع ويقيم بعد الظفر.

ولم تخف على الناس هذه الحال منه لكثرة ما استصحبه من آلات خيم المقيم التى يريد أن يستقرّ بها ويتمكن فى كل بلد بالآلات المعدّة لها من الفرش الكثير والزينة التامّة التى لا يستعملها المتوجّه[١] الى معاونة[٢] المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته.

جواب أبى تغلب

فأمّا جواب أبي تغلب ابن حمدان عن رسالته [422]

فإنّه أجاب بالمسارعة والإنعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة إلى تكريت فى جمع من جيشه فأقام بها مدة طويلة انتظاراً بما يكون من انحدار الاتراك عن بغداد إلى محاربة بختيار فيردّها. ولمّا تمادى الأمر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما سنحكيه، سار أبو تغلب بجميع جيشه إلى مدينة السلام ليوجب على بختيار الحجة فيما بذل له خطّه من إبطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه إن شاء الله.

ذكر الرسائل التي تردّدت بين سبكتكين وبختيار

ثم إنّ سبكتكين راسل بختيار بـ:

ـ «انّك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبته ودبّرته وإنّ كل ما

١. في مط : المتوجهة.
٢. كذا في الأصل ومط ومد.

تعمله وتتصرف فيه خطأ وغلط وإنّ الأمر الآن قد خرج عن اليد فاخرج لي عن واسط حتى تكون هي وبغداد في يدى بإزاء أموال الاتراك التي قد حصلتْ عليّ وتكون البصرة والأهواز ونواحيها في يدك بإزاء أموال الديلم واجعل أمرى وأمرك واحداً ولا تدخلنّ بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق عليك. حافظ وصيّة مولاى فيك التي ما حفظت مثلها فيّ.»

فعرض بختيار هذه الرسالة على الديلم فأنكروها وأكبروها واستخفّوا بقائلها والمتحمّل[١] [423] لها وردّوه بالخيبة والمنابذة فجدّ سبكتكين واستعدّ للحرب وقدم كتابا من الخليفة إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا الكتاب إلى الطائع لله وإلى سبكتكين وقد انحدرا عن بغداد وانتهيا إلى دير العاقول ومع وصوله توفّى المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله وحدث بسبكتكين علّة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفّى فحمل إلى مدينة السلام.

اجتماع الأتراك على ألفتكين بعد موت سبكتكين

وتماسك الأتراك وثبتوا واجتمعوا على ألفتكين مولى معزّ الدولة وكان يتلو سبكتكين عند معزّ الدولة وله رئاسة في الأتراك وحشمة قديمة[٢] ولقاء في الحروب للأعداء فعقدوا له الرئاسة عليهم وعمل على إتمام العزيمة في اللقاء. وكان عبر بختيار إلى جانب واسط الغربى وأخلى الشرقى وجمع السفن والزواريق إليه ولم يترك من آلات الماء شيئاً في الجانب الشرقى ونقل الثّنّاء وطبقات الناس إليه وضرب مصافّه في منازل واسط وعمل على

١. كذا في الأصل ومط: المتحمّل. والمثبت في مد: التحمل.
٢. كذا في مط. وفي الأصل: وقديمة (بزيادة الواو).

مناجزة الاتراك ولقائهم بالديلم إمّا مناجزة ان ثبتوا له وإمّا مصابرة الى أن يأتيه الغوث من الريّ وشيراز. وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت زعيمهم وقدّر أنّهم يضطربون وينتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف [424] عن الإصعاد.

واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسراً بسفن كانت معهم من بغداد وكانت معهم أيضاً زبازب كثيرة وجيش للماء وعلى مقدمتهم حمدان بن ناصر الدولة فاستأمن حمدان إلى بختيار بكلّ من معه وعبر من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى فأكرمه بختيار ووصله.

ذكر السبب فى تسييرهم حمدان مقدمة والسبب فى استئمانه إلى بختيار

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة. فدعاه سبكتكين إلى طاعته فأجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالنصيحة والموالاة وإنّما سكن إليه للعداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولأنّ أبا تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فأنفذه سبكتكين على مقدمته.

فلمّا توفى سبكتكين كتب إليه ألفتكين يعرفه وفاته وانتصابه فى موضعه ويستدعيه إليه ليستأنفا إيقاع التدبير ويتفقا على المسير.

فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أنّ أمر الاتراك قد اختلّ نظامه بوفاة سبكتكين وعزم على المصير إلى بختيار وكان عرف أيضاً مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة. فأنفذ كتابَ ألفتكين الوارد عليه إلى بختيار وأعلمه أنّه سيعود إلى ألفتكين ثم ينحدر إليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات. فورد ذلك على بختيار وقد عبر إلى الجانب الغربى ولمّا اجتمع حمدان مع ألفتكين ردّه [425] على مقدّمته كما كان فى أيام سبكتكين.

فوافى بمن معه من غلمانه وأسبابه وعير مستأمناً إلى بختيار فتلقّاه وأكرمه وحمل إليه مالاً كثيرا وثيابا فاخرة وعدّة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال. وضعفت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا بأسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا على جسرهم وتقدموا إلى مصاف بختيار فكانوا يواقعونه بنوائب[1] واتصل ذلك نحو خمسين يوما.

وتجاسر العوامّ من الجانبين علي استعمال المشاتمة الفاحشة والمسابّة المقذعة. واتفق على حمدان أنّه حمل على الاتراك فى بعض هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم فى سماخ[2] فرسه فرمى به ونهض ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه بالدبابيس حتى أثخنوه وكاد يتلف. ثم أخذوه أسيرا لا فضل فيه فعولج وبرأ إلاّ أنّه لحقه عرج ظاهر من وركه الأيمن وبقي على ذلك بقية عمره ثم منّ عليه ألفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعاده إلى حاله فشهد معه الحرب يوم ديالى إلى أن انهزم الاتراك وانحاز إلى عضد الدولة.

ولم تزل الحرب بين الديلم والتراك متصلة بواسط والاستظهار للاتراك [426] وأشرف الديلم على الانكسار والهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جننهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بختيار الحصار وأحدق به وصار فى مثل كفّة الحابل[3] وأحاط به الاتراك من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم.

واتصلت كتبه إلى أبي تغلب يسأله الانحدار، وإلى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه أنّ مملكته قد خرجت من يده وأنّه أحق بها ممن غلب عليها

---

١. فى مط : بتوائب.

٢. بسماخ : كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد : صماخ. السّماخ : الصّماخ، وهو خرق الأذن.

٣. فى مط : الحايل.

حتى إنّه كتب إليه في بعض كتبه البيت الذى كتب به عثمان إلى أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه:[١]

فإنْ كنتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ   وإلّا فأدْرِكْني ولَمّا أُمَزَّقِ

فأمّا أبو تغلب فسار بجميع عسكره بعد أن كان قدّم أخاه الحسين كما كتبنا خبره فيما تقدّم، وصار إلى مدينة السلام فألفاها مفتتنة بالعيارين فقمعهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد إلى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع.

وأمّا عضد الدولة فإنّه سار بعدما ذكرتهُ من التوقف والإبطاء، واجتمع مع أبي الفتح ابن العميد بالأهواز.

ذكر السبب في رجوع ألفتكين إلى بغداد وهرب أبي تغلب عنها إلى الموصل

لما سمع ألفتكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالأهواز نخب قلبه ورأى أن يحصل ببغداد ويجعلها [427] وراء ظهره وتكون حربه على ديالى.

قال صاحب هذا الكتاب:

كنت في جملة السائرين من الريّ في صحبة أبي الفتح ابن العميد وما كان إشفاقنا ولا حذرنا كلّه إلّا من سبق الأتراك إيانا إلى أسفل واسط إلى الموضع المعروف بباذبين وأن يجعلوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وأن يتركونا حتى نقطع إليهم مفازة بنج وبنج[٢] ونلقاهم على إعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما ننزل عليه فإن طاولونا أياما كان الهلاك وإن ناجزونا حين ورودنا كانوا جامّين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف

---

١. راجع كتاب الإمامة والسياسة ١: ٥٨. (مد)

٢. ما في مط مهملة تماماً.

وكنّا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم.

فلم يوفّق الاتراك لذلك وانصرفوا إلى بغداد ورأوا من الصواب لهم أن يملكوا بغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على ديالى فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسطا بغير مانع. وقد كان بختيار وأخواه ومحمد بن بقيّة تلقّوا عضد الدولة لما انصرف الأتراك عنهم وترجّلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرقي وتقدم إلى بختيار أن يسير بإزائه من الغربي ممتدين إلى بغداد.

فأمّا ألفتكين فإنّه لما توسط في مسيره إلى بغداد أنفذ سرية في أربعمائة غلام من الأتراك لكبس أبي تغلب فأرهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه فهرب [428] إلى الموصل هربا قبيحا وتقطع عسكره. وحصل ألفتكين ببغداد في حصار شديد قد أحدقت به الخيول من كل وجه وذاك أن بختيار كاتب[1] ضبّة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير العشائر وقد جرت عادته بالتبسط بأن يشنّ الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة إليها ففعل ووجد الطريق إلى بغيته فنهب السواد وقطع السبل.

ثم أنفذ في الجانب الشرقي ابن أخ لمحمد بن بقية وزيره يعرف بأبي الحمراء وهو لقب غلب عليه، مع طائفة من بني شيبان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والريّ وبختيار متوجهين إليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ إليه سراياه ورجاله. فاشتد الحصار به وعزّت الميرة وانحسمت موادّها وثارت الرعية فنهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة أن يتسوقوا أو يتعيشوا[2] وأعيت ألفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج إليه وصار يتتبع

---

١. في مط : كاتبت.

٢. العبارة مطابقة لما في مط.

المواطن التى يظن فيها قوتا أو بذرا أو عدة يتناول ذلك حتى انتهى به الأمر إلى أن ركب بنفسه إلى منزل بعض الأشراف فكبسه وأخذ ما فيه.

وسار عضد الدولة كما حكينا فى الجانب الشرقي وبختيار بازائه فى الغربى فلما صار بدَير [429] العاقول عبّى عسكره تعبئة اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الرى وفى ميسرته أبا اسحاق ابراهيم بن معزّ الدولة ومحمد بن بقية وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب. وورد خبر الفتكين بأنه برز إلى ديالى ونزل عليه مستعدا للحرب وعقد عليه جسورا ليعبر عليها واعتقد أن يلقى العساكر فى فضاء بين ديالى والمدائن وظن أنّه يتمكن بالجولان فيه مما يريده وذلك فى سنة أربع وستين وثلاثمائة.

وعبر ألفتكين تلك الجسور ولم يقع فى الظن أنّه يعبر ديالى ولا أنّه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبئة وهيئة حتى انتهى إلى قرية هناك وتراءت مواكب ألفتكين وقد عبّاها كراديس واعترض نهر صغير فى هذه القرية فوقع التشاغل به إلى أن عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس فى أرض واحدة[١].

ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش بختيار الذين كانوا فى ميسرة عضد الدولة فكانوا يكسرون العسكر

تقدم الجيش البختيارى المرتب فى الميسرة مع أبى اسحاق وابن بقية زحفا بغير أمر وفارق المصافّ وخرج عن النظام حرصا على إظهار فضل

١. واحدة: الكلمة ساقطة في مط.

وغناء، وتشوّقا إلى اللقاء فراسلهم عضد [430] الدولة ونهاهم فلم ينتهوا على ما اعتادوه من الاستبداد حتى لحّجوا[١] واستجرّهم الاتراك حتى صاروا بالبعد من العسكر فعطف الاتراك عليهم وقتلوا خلقا منهم وتابعوا[٢] الحملات عليهم وأكثروا النكاية فيهم فحينئذ عرفوا الخطأ الذى ركبوه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال إليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا فى مثل حالهم.

فلمّا رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد أن أشرفوا على الهلاك. فلمّا قرب من جمرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم السيف فى الباقى فقتل خلق منهم وألجأتهم الهزيمة إلى تلك الجسور التى عقدوها على ديالى فازدحموا عليها وأرهقهم الأمر فهلك منهم ومن العيّارين الذين وازروهم بالقتل والغرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم وألقوا النار فى خيمهم وخركاهاتهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب أولئك لا يلوى أحدهم على صاحبه.

وأنفذ عضد الدولة فى ساعة الفتح بشيرا إلى بختيار وذلك يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة أربع وستّين وثلاثمائة وأقام على ظاهر [431] المدينة إلى أن عرف خبر الأتراك ثم دخل المدينة فى أحسن زىّ وعدّة وطواه متجاوزا إلى باب الشماسية وبختيار يسير بإزائه ويعسكر بحياله وأقام بموضعه إلى أن بعُد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وأنّهم وصلوا إليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى النزول فى داره. واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرُّفه على ما يحبون والتنقل معهم فبث إليه رُسله وقد كان راسله

---

١. لحّجوا: النقطه غير واضحة فى الأصل، وواضحة فى مط.
٢. وتابعوا: الكلمة ساقطة فى مط.

قبل ذلك ولم يزل معه بالتلطف والرفق حتى ردّه إلي دار الخلافة ومواطن الائمة.

ذكر ما جري بين بختيار وبين جيشه
وما كان من اعتزاله إياهم وما كان من إنكار ركن الدولة لذلك
وما تمّ من الحيلة عليه من انتقاضه وعوده
إلى منزلته[١] وحالته

لما تمّ هذا الفتح لعضد الدولة لم يشكّ أحد ممن دنا وبعُد في أنّه يستولى على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف بختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والاتراك عليه. ففكّر في حديث الناس وعلم أنّ أباه ركن الدولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله له. فاتخذ دعوة دعا إليها بختيار وإخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر [432] الرحيل إلى فارس وأمر بإعداد الميرة في المنازل.

ووافق في السر رؤساء الجند أن يثوروا ببختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بأن يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحسن[٢] مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الاتراك دونه. ففعلوا ذلك وبالغوا في الشغب والاقتراحات وبختيار صفرُ اليد لا يملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن إلى درهم واحد.

فراسله عضد الدولة سرّا وواقفه على مقابلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانّه لا يعدهم بما لا يقدر عليه وأن يفصح لهم بالاستعفاء عن

---

١. في مط: منزله.
٢. في الأصل ومط: يحس. وهو المثبت في مد. والصحيح ما أثبتناه: يحسن.

الرئاسة وأنّه قد برئ إليهم منها ووعده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يحب.

فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولا عرف وجه حيلة سوى ما أشار به عليه فبادر إليه واستعفاهم من رئاسته وأغلق أبوابه وصرف كتّابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتدبيرهم فأجابه: بأنّي لست أميراً عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لأنفسهم وليعقدوا لمن شاءوا.

واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد إلى أن أعلنوا بالقبيح وكادوا يزحفون إليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به [433] من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعدهم بالنظر في أمرهم.

ثم استدعى بختيار إلى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعى أخويه على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علما للفتنة فيفتحوا به باباً إلى الفرقة وراسلهما بختيار أيضاً بمثل ذلك حتى حضرا جميعا.

ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أنّ استيفاء بختيار من النظر واعتزاله إيّاهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم إلى نفسه وأنّه يخلطهم بعسكره ويشملهم بإحسانه وأنّه المتولي للأمر وأنّ بختيار إنّما كان خليفة له ولركن الدولة وأنّه الآن قد استعفى فاعفي وبرئ فأبرى. فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وأنّه من وراء ذلك. وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقاته وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وستّين وثلاثمائة وجمع بينهم وبين الوالدة.

فأمّا الخليفة الطائع لله فإنّه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولأنّ انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيّامه وسكن إلى عضد الدولة وذمامه.

فلمّا اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلع سكنت نفسه وهو حينئذ مع الاتراك وعند ألفتكين بتكريت [434] فجرت بينه وبينهم مناظرات فى الرجوع الى بغداد فسألوه الإمتداد معهم إلى الشام فلم يمكن ذلك لأنّ القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه إذا ثبتت أقدامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتال لهم ويعود إليهم أو يدبر لهم فى الاجتماع معهم. فاتفقوا على ذلك وانكفأ الطائع لله إلى داره ورحل الاتراك الى الشام[١].

عضد الدولة يأمر بعمارة دار الخلافة

وتقدم عضد الدولة بعمارة دار الخلافة وتطرئتها وتجديد فرشها وآلتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم فى ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش إليه متلقّين واستقبله بنفسه يوم الخميس لثمان خلون من رجب سنة أربع وستّين وكان أول اجتماعهما وانحدر معه فى حديدىّ كان أنفذه إليه ودخلا بغداد.

وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسىّ وقد كان قبّل عضد الدولة الأرض له وجلس على الكرسىّ وأطافت بهما الزبازب والطيارات فى الماء وسار الجيش على شاطئ دجلة ودخل الخليفة داره واستقرّ على سريره.

وأنفذ عضد الدولة إلى خزائنه مالاً كثيراً وثياباً وفرشاً جليلاً من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق[٢] والآلات وقرّر يده فى ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت مُتشذبة قد تحيفها أسباب [435] معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من تغلب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم ينصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فردّ عضد الدولة ذلك كله إلى حقّه.

---

١. ليراجع تاريخ أبى يعلى حمزة ابن القلانسي ص ١١.

٢. فى مد : الرفيق.

فأمر الطائع لله بانشاء الكتب عنه إلى النواحي باستقامة أحوال السلطان وتعفّي آثار الفتنة وتألف الشمل وكتبت وفرّقت في الممالك كلها.

خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة وعصيان ابن بقية بواسط

أما المرزبان فإنّ عضد الدولة سام بختيار أن يكاتبه بالاصعاد وكان متولياً البصرة ليرضى بما رضى به أبوه من خلوّ الذرع من تدبير الجند والرعية فكاتب وأنفذ كتابه على يد ثقة من ثقاته يعرف بعلى بن محمد الجوهرى وكان صحبه من شيراز ووصّاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهسلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم في جيش عضد الدولة.

ولم يقع في نفس أحد أنّ المرزبان يمتنع ويحدث نفسه بالعصيان لصباه وصغر سنه ولأنّ جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذى ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه.

فلقى على بن محمد الجوهرى في طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له: عيسى بن الفضل الطبرى، قد كان أصعد عن البصرة فعرّفه الصورة واستعمل في إخراج هذا الحديث إليه غير الحزم والصواب [436] فثنى وجهه عائداً إليه إلى البصرة وسبق إلى المرزبان بالخبر فأشعره الوحشة وأعلمه أن أتاه مكرهة ولقّنه العصيان.

فلمّا ورد الجوهرى على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب إليه فصار به وبها إلى المرزبان وعندهما أنّه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكاتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما جرى على أبيه بختيار وعسومته وأنّ جميع ما

يكاتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبى الفتح ابن العميد عن بختيار إنّما هو تمويه وأنّ الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض على أبيه وأنّه امتنع ثقة بتداركه إياه ومعه وأنفذ قاصدين عدّة بكتب متوالية.

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالأهواز من جنسه فى الانسلاخ من صناعة الكتابة[١] يقال له محمد بن عبدان الاهوازى. فلمّا بلغه ما جرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الى البصرة داخلا فى سواد[٢] أهل العصبية فغلب على المرزبان وشحذ بصيرته فى العصيان ودخل فى وزارته ووعده الكفاية.

وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله فى البعد من كل فضيلة وكان يتموّه أمره فى أيام بختيار فأما فى دولة عضد الدولة فما كان أبعده من أن يكون عريفا من عرفاء الرجالة ببابه فضلا عن أن يختلط بوزرائه وكتّابه. ولكن أظهر مساعدة كثيرة [437] لعضد الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه، وإنما فعل ذلك حذرا علي نفسه وخوفا أن يُردّ الى مرتبته وعلماً بأن بختيار إن عادت يده فى التدبير قبض عليه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراءه الكفاة عند حاجته إلى المال وكره عضد الدولة أن يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هارون وكان معه فى هذه الوقعة وهو شيخ الكتّاب قد سُلّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الى قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لأهل السابقة والتقدم فى الكفاية وكره أيضا أن يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيّب ظنه وأكذب تأميله فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء أن يتقلده من الاعمال فاختار واسطا وتكريت وعكبرا وأوانا وقاطع على هذه الأعمال ووفّر على ما كان العمال

١. زاد فى مد بين المعقوفتين : ومن كلّ فضيلة. وهو مأخوذ من الأسطر الآتية.
٢. كذا فى الأصل ومط : سواد. والمثبت فى مد : سوّار، وهو خطأ.

يدخلون فيه زيادة عظيمة، فأمر عضد الدولة أن يعقد عليه جميع ذلك.

واقترح ابن بقية إقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه. فأجيب الى ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته إلّا اسم الوزارة لأنّه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فأظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على دخَل[١] [438] وغلّ قد أضمره وانحدر الى واسط.

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فأحبّ أن يتعلق مع تجدد ملك عضد الدولة بذمام، فأنفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا، فأجيب إلى ذلك.

والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذى كان يحمله قديما إلى بختيار فأجابه عضد الدولة الى ما سأل وأعفاه من حمل المال لمكاتبة قديمة كانت بينهما ومودة سالفة، وعقدت أعمال الأهواز على سهل بن بشر النصرانى وخلع عليه فشخص إليها وكان محبوسا فى يد بختيار وقد جازفه وصادره. وفرقت أعمال السواد على العمال ودبر الأمور كلّها أبو منصور نصر بن هارون.

ولم يبق فى نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه إلّا انتزاع البصرة من يد المرزبان. فلمّا حصل ابن بقية بواسط خلع الطاعة وأظهر الخلاف وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر أنّه امتعض لصاحبه بختيار وكان هو المشير[٢] بجميع ما جرى متابعة لرأى عضد الدولة.

ثم كاتب عمران بن شاهين يستدعي منه المعاضدة ويحذّره تدابير

---

١. كذا في الأصل: دخل. وهى ساقطة فى مط. والمثبت في مد: دَخل. والدخَل: الخديعة.

٢. فى مط: المسير.

عضد الدولة وأنّه ليس ممن يصبر له[١] على محاورته بتلك الحال فأجابه عمران الى ما سأل.

وكاتب المرزبان ابن بختيار يلتمس منه أن يمدّه بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يحبّ، لتهمته بالانحراف عنه وعن أبيه [439] وعلم أنّه يريد أن يقيم سوقا لنفسه وأحجم ابن بقية عن المصير إليه لتقلد الاهوازى وزارته فبنى أمره على أنّه متي وقع الطلب له هرب إلى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فيتغلب عليها. وكتب إلى سهل بن بشر ما أغواه حتى استجاب له وسلك سبيل إرادته. وقد كان عضد الدولة عزم على إنفاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلمّا عصى ابن بقية جعل همّه كله واسطا فأنفذ إليه عسكرا قويا فخرج إليه في آلات الماء فيمن أمدّه بهم عمران من رجاله.

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بأن يتماسك بالبصرة وشجّعه على مقاومة عضد الدولة ووعده بالمصير إلى بغداد بنفسه لإزعاجه وتمكين بختيار وكذلك فعل في مكاتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه النواحى على عضد الدولة وضاق به الأمر وتجاسر عليه الأعداء من كل وجه وانقطعت عنه موادّ فارس والبحر ولم يبق في يده إلّا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيحة.

فرأى أن ينفذ أبا الفتح ابن العميد إلى أبيه ركن الدولة متحملا [440] رسالة عنه يصدقه فيها عما جرى ويُعلمه فيه بعده عن ممالكه وتضييعه الأموال التي أنفقها، وأنّه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده، وأنّه قد هذّب[٢] مملكة العراق واستعاد الخلافة إلى ممالكه، وأنّ بختيار ليس ممن تستقر بنظره دولة ولا تعتدل على يده مملكة،

١. له: ساقطة في مط.

٢. في مط: هدب. (بالدال المهملة)

وأنّه إن خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد أن تضطرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيها، ويسأله المدد والأمساك عن نصرة من تفسد على يده مملكته وممالكنا معا وقال لأبي الفتح ابن العميد:

- «انظر فإن تيقظ للأمر ونجع فيه هذا القول وأشباهه فاقتصر عليه، وإن رأيته مقيما على رأيه فزد في الرسالة وقل له: إنّي أقاطعك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين ألف ألف درهم وأنت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال إن عادت إليك وأنا أعجل لك من جملتها عشرة آلاف ألف درهم وأبعث بختيار وأخوته إليك لتجعلهم بالخيار فإن شاؤا أقاموا في أوساط ممالكك ومكّنتهم من أي البلدان اختاروه، وإن شاءوا أن يصيروا إلى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه إلى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا ولم تركه في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته [441] فيها وانّ الخلافة تخرج عن يده وأيدينا وهو يضعف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده مالاً يقع موقعاً من حاجته ثم يضطر إلى نكبته واعتماد غيره. على أنّ هذا الباب أيضا قد انسدّ ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الأمر. وان أحببت أن تحضر بنفسك العراق لتلي التدبير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الأمر وتردّ بختيار الى الرّي فأنصرفَ الى فارس، كان ذلك وجها من الرأي صحيحا.»

وقال لابن العميد:

- «وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فإنّك تجد فيه مقالا واسعاً فإن لانَ لك وعرف صواب قولك وإلّا فزد في الرسالة فصلا ثالثاً تجبهه به وهو: إنّك أيّها الوالد السيد مقبول القول والرأي والحكم، ولكن لا سبيل الى إطلاق

القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم وإظهار العداوة لهم. فإنّهم لا يصلحون لى أبداً ولا تنقى جيوبهم ولا تصحّ نياتهم وسيقابلونني بغاية ما يقدرون عليه فيضطرب الحبل وتنتشر كلمة أهل هذا البيت أبداً. وإن أبيت أن تقبل أحدى الخصال التى عددتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هذه الجملة فإنّي سأضرب أعناق هؤلاء [442] الثلاثة الأخوة ـ يعني بختيار وأخويه ـ وأقبض على من أتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له.»

فقال له أبو الفتح ابن العميد:

ـ «هذه رسائل صعبة لا يمكنني أن أتلقى ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدبر أمره فإنّي أعرف نصرته لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف لبنى[1] أخيه! ولكن الصواب أن يتقدمنى إليه من يُفرغ جميع ذلك فى أذنه من جهتك ثم أتلوه شافعا له ومتمما ومشيراً.»

فتقرر الأمر على ذلك ونفذ فيه من جهة عضد الدولة [ونفذ فيه][2] ومن جهة أبى الفتح ابن العميد أبو العباس ابن بندار وكان الأمير ركن الدولة يأنس به قديما فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جمازات عددها مائة يتلوهما.

فلمّا بلغ الرسولان الاولان إلى ركن الدولة وشرعا فى تأدية الرسالة وعرف الغرض الأخير منهما لم يمكنهما من إتمام الرسالة ووثب إلى الحربة التى تلى مجلسه فتناولها وهزّها وهرب الرسولان إحضاراً من بين يديه.

فلمّا سكن غضبه استعادهما وقال:

ـ «قولا لفلان ـ يعني عضد الدولة وسمّاه بغير اسمه ـ: خرجت إلى نصرة

---

١. كذا فى الأصل: لبني أخيه. فى مط: يبنى أخيه (= يبني أخيه). والمثبت فى مد: ابنى اخيه.

٢. بياض فى الاصل وما أثبتناه مكانه بين المعقوفتين هو من مط.

ابن أخى أو الطمع فى مملكته ؟ أما عرفت أنى نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب منى مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن [443] ملكى وأخاطر بنفسى وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى إذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلّمتها إليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوّة ؟ أتريد أن تمتنّ أنت علىّ بدرهمين انفقتهما علىّ وعلى أولاد أخى ثم تطمع فى ممالكهم !»

وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون أرواحهم إشفاقاً مما رأوا منه ومما ظهر من غيظه وغضبه.

ابن العميد يُحجب عن دار الإمارة

وبلغ ابن العميد الرىّ وهو الوزير المقرب والأمين المتمكن وعند نفسه أنّ صورته كما كانت فحُجب عن دار الامارة ورُدّ عنها أقبح رَدّ وروسل ب:

ـ « إنّك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومدبراً عسكرنا وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخي ثم تأتينى الآن فى صورة فيج[1] تتحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخي وأولاده ويطمع منّي في أن أرخص له فى القبض عليهم وإزالة نعمهم ويتهددنى بالعصيان ! أمّا أنت فقد عرفت أنّك اخترته علىّ وسوّلت لك نفسك وزارة العراق ونزهة دجلة ! ارجع اليه على حالك فوالله لأصلبن أمّك وأهلك على باب دارك ولأبيدنّ عشيرتك ومن يتصل بك عن وجه الأرض ولأتركنّك وذلك الفاعل (يعنى ابنه) تجتهدان ثم لا أخرج إليكم إلّا بنفسى فى ثلاثمائة جمّازة لا يصحبنى إلّا من عليها [444] من الرجال ثم اثبتوا لى إن شئتم.»

---

١. فيج : كذا في الأصل وهو الصحيح. فى مط ومد : قيح، وهو خطأ. وفيج فارسى معرّب أصله پيك. أى الرسول والبريد. (= Page بالإنجليزية) كما مرّ سابقاً.

وحلف ركن الدولة محلوفة:

ـ «إنّي إذا بلغت بعض طريقي في قصدى إياكم لا يبقى معكم رجل واحد إلّا تلقّاني وحصل عندي وإنّه لا يتقرب بك وبعضد الدولة إلّا أخص أوليائكما وأوثق عبيدكما في أنفسكما وإنّما أتركك الآن وأنت في يدي لتعود إلى موضعك وتعيد رسالتي وكلامي وتنتظر صحة وعدي ووعيدي.»

وأمرّ من هذا الكلام ما هذا جملته وإن كان أكثر من هذا وأشنع.

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من القبض عليهم رمى بنفسه عن سريره وأقبل يتمرّغ ويُزبد[١] ويمتنع من الأكل والشرب أياماً ومرض من ذلك مرضا لم يستقل[٢] منه باقي حياته وكان يقول:

ـ «إنّي أرى أخي معز الدولة متمثلا إزائي يعضّ عليّ أنامله ويقول: يا أخي هكذا ضمنت لي أن تخلفني في أهلي وولدي!».»

وكان ركن الدولة يعزّ أخاه عزّا شديداً فيراه بصورة الولد لأنّه ربّاه ومكّنه مما تمكّن منه.

وتوسط الناس بينه وبين أبي الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون:

ـ «إنّه لم يرد فيما ظننته وإنما احتال في الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته، وغرضه أن يجتمع معك لتدبير الأمر بما تراه و [هو] يضمن ضمانا يدخل في تبعته أنّه يقرر الأمر على رضاك بعد أن تسمع كلامه وتمضي له بما يعمل به في هواك.»

فأذن له [445] حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على أن يعود ويفرج عن بختيار وإخوته ويقرر الملك في أيديهم وينصرف كل واحد من

---

١. في مط: يزيد.

٢. في مط: لم يستقبل.

عسكر الريّ وعسكر فارس إلى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن أن يعمل من الحيلة فى مثل هذه الحال.

فأذن له حينئذ ورجع إلى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرّفه حقيقة الأمر وأنّه ليس ممن يُطمع فى اصلاحه من جهة ركن الدولة. فلمّا رأى عضد الدولة انخراق الأمر عليه من كل وجه ونفد ما صحبه من الأموال ولم يصل إليه شيء من ممالكه اضطر إلى الخروج إلى فارس والافراج عن بختيار وأخويه ففعل ذلك.

وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضد الدولة بعد أن خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه أن يخلفه فى تلك الأعمال ويخطب له وخلع على أبى اسحاق ابن معزّ الدولة على أن يلى أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تدبيره لهم وزوال هيبته مرة بعد أخرى عن قلوبهم. فلمّا خرجوا من داره وأصعدوا إلى منازلهم فى طيّاره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة.

واجتمع الى بختيار جيشه وعوامّ البلد والعيّارون وأثاروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة حفظ[١] عليهم خزائنهم وجميع ما وجد [446] لهم من الدواب والأثاث فما شذّ منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها.

وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة أربع وستّين وثلاثمائة عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير فى أثره وألّا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام.

---

١. حفظ. فى الأصل غموض، وما أثبتناه هو من مط، وهو المثبت فى مد بين الهلالين.

ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره إلى الهلاك

لما خرج عضد الدولة إلى فارس طابت بغداد لأبى الفتح ابن العميد وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار فى أفانين لهوه ولعبه ووجد خلوّ[١] ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستّارات غناء محسنات وتمكن من اللذات.

وعرف بختيار له ما صنع من الجميل فى بابه وأنّه خلصه من مخاليب السبع بعد أن افترسه وأن سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذى ردّ عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه وألّا يعارضه فى شيء يدبره ويراه فلم يجبه إلى ذلك وقال:

ـ «لى والدة وأهل وولد ونعمة قد رُبّيت منذ خمسين سنة وهى كلها فى يد ركن الدولة ولا أستطيع مفارقته ولا يحسن بى أن يتحدث عنى بمخالفته ولا يتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكنى [447] أعاهدك إذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير إليك مع قطعة عظيمة من عسكره فإنّهم لا يخالفوننى وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره.»

واستقر بينهما ذلك سراً لا يطّلع عليه إلّا محمد بن عمر العلوى فإنّه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لأحد حتى حدثنى به محمد بن عمر بعد هلاك أبى الفتح ابن العميد.

ولكن الغلط القبيح من أبى الفتح كان أنّه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع فى

---

١. فى مد: خلق، بدل «خلوّ».

أملاك اقتناها هناك وإقطاعات حصّلها وأصول أصّلها على العود إليها. ثم التمس لقبا من السلطان وخلعا وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التنّاء بشيراز يعرف بأبي الحسين ابن أبي شجاع الأرجاني من غير اختبار له ولا خلطة قديمة تكشف له أمره فلمّا خرج كانت تلك الاسرار التي بينه وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدى إلى عضد الدولة جميعها ويتقرب إليه بها.

فلمّا عرف عضد الدولة حقيقة الأمر ومخالفة أبي الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصّله وهو ذو الكفايتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخلع عرف مكاشفته إياه بالعداوة [448] وكتم ذلك في نفسه إلى أن تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه إن شاء الله.

ذكر ما جرى عليه أمر ابن بقيّة

كان محمد ابن بقية مستوحشاً من بختيار لما يعرف من سوء معتقده له، فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد أبي الحسن محمد ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج. فاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه فأصعد حينئذ وامتنّ على بختيار بأنّه إنّما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن أجله. فقبل منه وزاد في إكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبي الفتح ابن العميد مودة ومعاهدة.

ألقاب جديدة

وفي هذه السنة لُقّب أبو الحسن علي بن ركن الدولة: فخر الدولة، ولقب

المرزبان بن بختيار: إعزاز الدولة[1]، ولقب عمران بن شاهين: معين الدولة، ولقب محمد بن بقية: نصير الدولة، مضافاً إلى لقبه الأول ولقب أبو الفتح ابن العميد: ذا الكفايتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت الخلع إلى من غاب.

وبنى محمد بن بقية أمره على تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوّق والتنفُّق والبذخ والتبجح، وأطلق لسانه إطلاق من لا يترك للصلح موضعاً، وثارت الفتن بين العامة وزالت السياسة التي أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية بالمعروف بابن [أبي][2] عقيل صاحب الشرطة الذي كان من قبل سبكتكين [449] وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة، فأمر بقتله فقتل في وسط الكرخ بين العامة، فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف التجار على أنفسهم وأموالهم. وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار.

وتجددت لبختيار نية في الخروج إلى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة المشهد بالغريّ والباطن التصيد، فشخص إليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب ومحمد بن عمر العلوي وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكّر لمحمد بن عمر وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه في يده إلّا ساعة من النهار حتى انتزعه منه. فلمّا دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفي ضيافته فخدمه ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقية وقيل له:

ـ «قد سعى بك ووافق بختيار على نكبتك».

---

١. في مط: عزاز الدولة.

٢. ما بين المعقوفتين زيادة في مط ومد.

فاستوحش ابن بقية واستعدّ للانحدار إلى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في إصلاح الحال وكوتب بختيار بالصورة فثنى وجهه مبادراً إلى بغداد وقدم أمامه كتبه ورسائله مع الحسين بن موسى الموسوي بالتلافي وإنكار كل شيء بلغه عنه وأخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافي والتراضي فخرج حينئذ محمد بن بقية متلقياً له عائدا إلى طاعته.

واتصل [450] بمحمد بن بقية وبختيار أنّ عضد الدولة يريد العود إلى العراق فخرج ابن بقية إلى واسط لجمع المال وإعداد زاد وعتاد واستعمل ضروباً من القبيح في الكلام والهجر ومنع شذاآت كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع إجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصبوب[1] عليه حتى تأدى أمره إلى أقبح صورة في الهلاك بأنواع العذاب والمثلة كما سنذكره في موضعه إن شاء الله.

تجدّد الوحشة بين ابن بقيّة وبين بختيار

وتجددت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده إلى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصراني ضامن الأهواز ونكبته التي تأدت إلى القتل.

ذكر السبب في ذلك

كان ابن بقية لا يثق ببختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العيون عليه وأشدّ ما يكون نفوراً منه إذا حلف ووثق له فانهمك في

---

١. في مط: والشفاء المصوب.

استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلات لهم ونصب الموائد وعمل الدعوات وأمر أن يحمل المال إلى خزائنه.

ووافق بختيار على شيء يُقيمه له وصار كالحاجر عليه فمتى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه. فضاق ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده فى تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ فى عمله بالأهواز فأخرج إليه جماعة من كبار قوّاده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار[1] الجيلى [451] وجماعة مثلهم وراسله على أيديهم بإيقاع الحيلة عليه.

فلمّا وصل إليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأى على أن يفلّ[2] الجيش عنه الذين ببغداد ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشغب عليه وترك الرضا به.

وورد الخبر بذلك إلى بغداد وقد ضعف بختيار عن إمضاء تلك العزيمة وقد استصلح ابن بقية الجند وملك الأمر فأظهر حينئذ ما فى نفسه وعاتب بختيار ووبخه وذكّره الأيمان التى لا زال يحلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتثاقل عنه فرق بختيار فى يده وأنكر أن يكون ما أجرى إليه الأهوازيون بأمره وعلمه فقال:

ـ «فأطلق يدى فيهم.»

فأجابه إلى ذلك وأمضى حكمه عليهم فألزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه إليه وأن ينفى القواد الذين أظهروا ما أظهروه ففعله وأنفذ ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب إلى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى

---

١. فى الأصل هنا: تكيدار وفى المواطن الآتية: تكيدار.

٢. فى مط: نقأ.

يقبض عليه ويبادر به إلى الحضرة فمضى مسرعا ووصل إلى الاهواز واحتال حتى حضر سهل بن بشر فى منزل أحد القواد فقبض عليه وعرّفه فساد جميع الأمر الذى كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه إلى ابن بقية.

وقد كان الحسن بن فيلسار سبق إلى مدينة السلام فتلافى محمد بن بقية واستصلح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكيدار فإنّه استدعاهما، فلمّا قربا من بغداد طردا ونُفيا[١] عن [452] العسكر. فعاد الحسن إلى بلده ولحق تكيدار بعضد الدولة. وجد محمد بن بقية فى مطالبة سهل بن بشر بالأموال وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة من الناس سنذكرهم.

وفى أثر القبض على سهل بن بشر قلّد بختيار أخاه أبا اسحاق أعمال الأهواز وأنفذه إليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقية لأنّه كان استعان بأبى إسحاق ووالدته على بختيار فأعاناه وبلّغاه ما أحب فقضى حقهما بهذا التقليد.

وقبض ابن بقية على صاحبه أبي نصر السرّاج وعذّبه حتى قتله ذكر السبب في ذلك

هجمت على ابن بقية علة من حرارة ففصد منها في اليوم الثانى فما أمسى إلّا ذاهب العقل مسجًّى يخور خوار الثور ولا يسيغ طعاماً ولا شراباً ولا يسمع كلاماً ولا يحير جواباً وظهرت في فمه رغوة واختلج وجهه وعلا نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التى لا رجاء معها.

وقد كانت لأبى نصر السراج نعمة فاتسعت فى أيامه وعظمت بالدخول

١. كذا في الأصل ومط: نُفيا. والمثبت في مد: بقيا، وهو خطأ.

فى الأمور المنكرة وضروب الشر والسعايات وأعداؤه كثيرون.

وكان ابن بقية اصطنع رجلا يقال له: الحسن بن بشر الراعى، وكان فى الاصل نصرانيا من رأس عين، فصحب بني حمدان بالموصل فدخل فى الاسلام لشيء ظهر منه وخاف فأسلم ثم خاف خوفاً ثانياً فهرب إلى بغداد واتصل بمحمد بن بقية وحظى عنده فقرب [453] منه ورفعه من حال إلى حال حتى قلّده واسطا. ثم استدعاه إلى بغداد فقلّده خلافته، وتولدت بينه وبين أبى نصر السرّاج منافسة ومضاغنة. فلمّا وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعى وبادر أبو نصر ابن السراج إلى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالا عظيمة وكتب أسماء أقاربه وأصحابه وكتّابه وسائر أسبابه، فركب بختيار إلى ابن بقية حتى شاهده فى علّته.

ذكر اتفاق طريف[١] فى سلامة ابن بقية من علته[٢] ثم من قبض بختيار عليه

إنّ بختيار أدركته رقّة شديدة له مع اجتهاده كان في هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالأموال والعساكر. فأشار عليه ابن السرّاج بالقبض على الجماعة قبل أن يستتروا فتوقف عن ذلك وألحّ عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحسّ عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السرّاج فحذروا منه. ثم تماسك محمد بن بقية فى اليوم الرابع من علته بعد أن تردد إليه بختيار دفعتين فى كل يوم فى مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورُجى رجاء[٣] ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء إلى أن أفاق وهو ساكت ومضت أيام يسيرة فنهض وتراجع إلى

١. فى مط ومد: ظريف.
٢. فى مط: امن عليه. بدل «من علّته».
٣. فى مط: رجاءً عظيما ضعيفا!

عاداته.

وظهر ابن الراعي صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السرّاج وضمنه ابن الراعي منه بمائة ألف دينار فقبض عليه فصح من أمواله وودائعه وأثمان غلاته والمأخوذ من [454] أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعي ثم بسطت عليه المكاره وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومُنع الطعام حتى مات أقبح ميتة.

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

ذكر السبب في ذلك

كان في أعمال كرمان خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له: طاهر بن الصِمّة، وكان واسع الحال والمعاملة، فدخل في ضمانات ضمنها وثمار ابتاعها فحصلت عليه أموال طمع فيها وشره إلى كسرها.

وكان عضد الدولة قد سار إلى العراق للايقاع بالأتراك وخرج وزيره أبو القاسم المطهر بن عبد الله إلى عمان فلم يبق بفارس من العساكر إلّا شيء يسير فخلع طاهر بن الصمّة الطاعة وجمع إلى نفسه هؤلاء الرجالة بالاسلحة التامة واستكثر من عددهم.

واتفق أن كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الأتراك السامانية يقال له يوزتمر[1] عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة وقد استوحش من محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان ونفر منه فكاتبه طاهر ابن الصمّة وأطمعه في أعمال كرمان فسار إليه وصار يداً واحدة

---

١. في مط: بوزتمر.

في الاستيلاء إلاّ أنّ الإمارة ليوزتمر.

فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم طاهر أنّه [455] بعثهم على الهيج ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا قتالاً شديداً فظفر به يوزتمر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله. واتصل ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو في بعض أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار إليها وانضمّ هؤلاء الرجال الجرومية إليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعّار.

وقد كان المطهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشراة وانكفأ راجعاً إلى أرجان عاملا على المسير إلى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الأمر بالمسير إلى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد إلى شيراز وبرز عنها لتسع ليال بقين من رجب سنة أربع وستّين وسار لِطِيَّته[١] مسير السرايا لا يلوي ولا ينثني فأوقع بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمل العيون ومثل بكلّ مثلة وبالغ في القسوة إقامةً للهيبة وأسرع المسير حتى انقضّ على يوزتمر فلم يعرف خبره إلّا مع وصوله فبرز إليه وواقعه فانهزم إلى البلدة وهو ببمّ وتحصّن في قلعة وسطها حصينة فحاصره فيها مطهّر إلى أن أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً فتسلمه المطهر ثم أمر به فشهر ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأعناق [456] جماعة يجرون مجراه وأنفذ يوزتمر إلى بعض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به.

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد[٢] بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أسلحة تامة مستعدين للقتال فلمّا أشرف عليهم

١. الطِّيَّة : الحاجة والوطر. الضمير والنيّة. ما في مط مهمل تماماً.

٢. في الاصل ومط : علي. وقد مرّ الإسم آنفاً.

استكثر عدّتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بداً. فناصبهم الحرب على باب جيرفت فحملوا عليه حملة ثبت لها ثم حملت ميمنته فأثرت فيهم وألجأتهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب العسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطُلب فجيءَ به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرمان منه.

ودخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكينا انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التى وصفناها واستيحاشه من أبيه لما كان منه فى مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيبته فى صدور أوليائه ولم يأمن أن يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر ملكه ولا يجتمع له ما يحب.

فراسل أبا الفتح ابن العميد وكان قطع مكاتبة أبيه استيحاشاً منه وتجنّياً[1] عليه وسأله أن يتوسط بينه وبين أبيه حتى يعود له كما كان وتلطف مع ذلك فى أن يجتمعا ويعهد إليه ويشهر ذلك فى ممالكه وبين [457] وجوه الديلم والجند.

وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن الدولة ومن الجند أيضاً فكان يحبّ أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان منه إليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده. فخاطب ركن الدولة وأعلمه ما يخشى من اضطراب الحبل وفساد ما بين أهل بيته باستيحاش عضد الدولة وحذّره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتتمكن من النيات والقلوب ولم يزل به حتى

---

١. كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد: تجيا، وهو خطأ.

رقّ ولان وعرف صلاح حال أولاده وممالكه وممالك بنى أخيه فيما دعاه إليه.

ثم أشار عليه بأن يأذن له في الورود عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صبياً ويشاهده الجند بحضرته ويزول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله وليّ عهده إذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسعهم مملكة وأكثرهم مالاً وعدة ورجالا.

فأجابه ركن الدولة: بأنّ هذا رأى صواب ولكن ليس فى خزائنه ما يتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والغلمان وإن لم يلاطف الجماعة بإقامة الأنزال واتخاذ الدعوات وإفاضة الخلع والحملانات والهدايا على الجماعة افتضح وتهجّن[١]. فقال له أبو الفتح:

ـ «فتسير أنت إليه لتجدد النظر في تلك الممالك التى طال عهدك بها وتشاهد أولئك العسكر [458] الذين رتّبتَهم قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجندك وجميع حاشيتك ما أشفقت من التزامه لهم وتقيم السياسة التى لابدّ لك من إقامتها بين أولادك وممالكك.»

فقال له:

ـ «هذا يقبح فى الأحدوثة وعند ملوك الأطراف وفيمن يأتى بعدنا من الأمم أن يتحدث الناس أنّ فلاناً أوحش ابنه فى أمر رأى إيحاشه وتأديبه فيه ثم قصده يترضّاه.»

فكوتب عضد الدولة بجميع هذه الفصول فكتب:

«إنّ هاهنا خَلّة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التى ينكرها وهو أن يقصد اصبهان فإنّها من أعماله وأنهض أنا من فارس فأقصده لخدمته

---

١. فى مط: تهجر.

وعيادته من مرضه ويلزمني حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لي ولا لأحد ممن يصحبني شيء، ولا يتحدث بأنّه قصدني أو زارني.»

فتقرر الرأى على ذلك وتشمّر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمّت العزيمة ونهض ركن الدولة مع ضعفه ومرضه وحضر اصبهان واستدعى الأمير فخر الدولة وهو ابنه عليّ وكان مؤيد الدولة في ولايته مقيماً باصبهان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة في تلقّيه.

فلمّا قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجّل له عضد الدولة ابنه وقبّل الأرض مرات ثم تقدم إليه فقبل يده [459] ثم تتابع القواد والأمراء وكبار الحاشية بتقبيل الارض والخضوع له. فرأى لنفسه منظراً يسر مثله الآباء في أولادهم. ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة.

ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع أولاده ووجوه الأمراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة وليّ عهده وخليفته على ممالكه وأنّ مؤيد الدولة وفخر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها.

ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل إلى كل واحد من ركن الدولة والأمراء من أولاده وقوّاده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلع على الخواص من الديلم ومن يجري مجراهم ألف قباء وألف كساء.

تقرّر الرئاسة على عضد الدولة

وانصرف القوم وقد تقررت الرئاسة من بين أولاد ركن الدولة على عضد الدولة، واعترف له مؤيد الدولة وفخر الدولة به وخدماه بالريحان على الرسم

المعروف لهم، وخدمه بعدهما كل أمير وقائد ممن حضر، وكتب بذلك عهد قرئ وكتب فيه القوم خطوطهم.

وكان بختيار سيئ الظن شديد الحذر مما تقدم له ولجنده من مكاشفة عضد الدولة فهو يحب أن يصلح أمره معه فتتابع كتبه إلى ركن الدولة ويسأله أن يعصمه من الحال التي خافها [460] وأنفذ إليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبهان فتكلم ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الإغضاء عنه وشرط عليه أن يقلع عما يوحشه من بعد ولا يعاود شيئاً مما ذمّه منه فعلا وقولا.

وكان بختيار سكن قليلا إلى ذلك إلاّ انّ محمد بن بقية مقيم على خوفه وحذره ويحمل بختيار على مكاتبة سهلان بن مسافر وكان وجه عسكر فخر الدولة وحسنويه بن الحسين البرزيكاني[1] وكان مجاوراً لأعماله ومصاهراً له ويحمله أيضاً على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في منابذة أخيه عضد الدولة. فترددت الرسل بينهم فتأكدت العهود بينهم واستعدوا جميعاً للمعاونة واتفقوا على التعاضد والتوازر إن نابت أحداً منهم نائبة.

وحضر كتّاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الأعمال رئاسة من قبل السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان: عصمة الدولة وكنّى وأنفذت الخلع الي الجهتين ووُعد حسنويه بمثل ذلك إذا سار. فلمّا وردت عليهم هذه الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن إظهار المنابذة لعضد الدولة فمكثت الخلع على الرسل مطّرحاً لا يلبس[2] ولا يتلقّب سهلان ولا يتكنّى وجرى

---

١. ما في الأصل مهمل في الأول وفي مط: البرزيكاى. والمثبت في مد: البرزيكاني.
٢. يريد مطرحة لا تلبس.

الأمر على غاية الأخلوقة والفضيحة.

وواصل بختيار وابن بقية عدّة الدولة [461] أبا تغلب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أنّ الرئاسة له بعد ركن الدولة.

وشرع ابن بقية في تلقيب ثان مضاف إلى لقبه الأول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة في المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعظُم بختيار وأُنزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنّه يلتمس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه المراتب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عنده واسراراً للبراءة منه واسلامه.

وكان يظن أنّه، عنده إن بلغ ما يحبّ بالتدبير الذي دبّره، فقد فاز وإن انعكس عليه كان بختيار الهالك وهو الناجي فيظن ظنّا خطأ لأنّ من سلك مسلكه لم ينج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه.[١]

ودخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

تحرك عضد الدولة نحو العراق من فارس

وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس فوجد محمد بن بقية وبختيار في مكاتبة الجماعة المذكورة.

وكان حسنويه بن الحسين الكردي خاصة يغرّ بختيار من نفسه ويطمعه في أنّه سائر إليه لمعاونته [462] بنفسه وأهل بيته ومن يطيعه من الأكراد وكان يحب أن يشتت الألفة ويفرق الكلمة، لأنّ نظام أمره كان في انتشار أمر

١. وقال صاحب تاريخ الاسلام: وفي رجب عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابن معروف وحكم لأنّ عزّ الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف فيها هو. (مد)

هؤلاء الملوك.

وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين لليلة بقيت من جمادى الأولى يريدان الزيارة والتصيد ثم الانقلاب إلى واسط قاصدين الأهواز على نية المحاربة. فانتهيا إلى واسط فى انسلاخ جمادى الآخرة ووقعت بينهما وبين عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار.

وفى هذا الوقت أهلك ابن الراعى بأمر ابن بقية خلقا ممن كان يتهمهم فيهم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبى قرّة وكان ممن وجوه العمال وفيهم عليّ بن محمد الزُّطّي وكان إليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي وكان أيضاً إليه الشرطة بواسط وجماعة يجرون مجراهم وهمّ بقتل صاعد بن ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولكنه سلم من القتل.

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يسئلانه الانحدار اليهما والمسير معهما فامتنع من ذلك وترددت المكاتبات فى ذلك إلى أن قرر عنده أنّه إنّما يسأل تجشم العناء للصلح والألفة فحينئذ انحدر إلى واسط وسارت الجماعة عنها إلى الأهواز والمكاتبات تتردد فى خلال ذلك [463] بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يَعِدُ بالمسير. فبينا هم كذلك إذ ورد خبر عضد الدولة فى نزوله أرجان فى جميع عساكره فاضطربت القلوب وكتب عن الخليفة كتاب فى معنى الدعاء إلى السلم والكفّ عن الحرب وأنفذ الكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنّه من خدم الخليفة.[1] وكان الطمع فى الصلح فى هذا الوقت محالاً.

فاستقرّ الرأى بعد مناظرات بين بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة

---

١. زاد فيه صاحب التكملة: فقال عضد الدولة للخادم. قل لمولانا أمير المؤمنين «لا يمكنني الجواب إلّا إذا مثلت بحضرتك» ولم يجب على الكتاب. (مد)

بالأهواز [شاطئ شوراب][1] والتحصن بالنهر المعروف بسوراب[2] والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطئ سوراب ونفذ أبو اسحاق ابن معزّ الدولة في طائفة من الجيش إلى عسكر مكرم لضبطها وحفظت المعابر على المسرقان وجردت العساكر من الأعراب والأكراد وغيرهم إلى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو الحسن بن يوسف استأمن إلى عضد الدولة.

إفضاء الحال إلى الحرب بين عضد الدولة وبختيار

ولما رأى الطائع لله أنّ الحال أفضت إلى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجهاً إلى بغداد. فاجتهد بختيار وابن بقية الجهد كله في أن يقيم فأبى ذلك وسار إلي دجلة البصرة وأصعد فيها إلى مدينة السلام مجتازاً في أعمال البطيحة.

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي نفذ إليها فزاد قلوب القوم ضعفا وانتقض [464] عليهم رأيهم في لزوم شاطئ نهر سوراب فرجعوا منهزمين إلى أفنية سوق الأهواز وقطعوا قنطرة اربُق وكوتب ابراهيم بن معزّ الدولة بالعود من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم.

واتصل ببختيار أن سلار بن باعبد الله شُرخ هو مع جماعة من وجوه قوّاده وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويفضّوا عسكره وأشير عليه بالقبض عليهم وتقيدهم وحمله إلى واسط فضعفت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب باقي عسكره وضعف عن المحاربة بالأهواز وعمل على أن يرجع إلى واسط موفوراً فيجعل الحرب فيها، فمنعه ابن بقية وجميع القوّاد عليه

---

١. ما بين المعقوفتين زيادة من مط.

٢. في مط : شوراب. ما في الأصل : سوراب (بالسين المهملة) والإعجام من مط.

وألزموه المقام. وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاقته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل البلد وكسر بختيار أوانى الذهب والفضة من الحلى والمراكب وضربت عينا وورقا فضعفت آمال جنده. وعقد على دجيل جسراً ضيقاً ضعيفاً فى أسفل البلد وعلى طريق لا يصلح للعساكر عُدّة للهرب.

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح وجمال موقرة بالأزواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان جماعة من البختيارية إليه منهم سلار سُرخ الذى ذكرناه وذلك أنّ كتبه وصلاته كانت متصلة إليهم.

وقدم عضد الدولة أمامه أبا الوفاء طاهر بن محمد بن ابراهيم وضم إليه جماعة فيهم المعروف [465] بالكاروى الاهوازى مع جيش من رجاله القفص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السفن وصاروا بها إلى الناحية المعروفة ...[١] فعقدوا جسراً.

وورد عضد الدولة فعبر عليه وجميع عساكره والأخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل للممانعة عن العبور ويشبتان ثبات التحيين وذلك أنّ من عجز عن ردّ بعض العساكر عن العبور والزحف فى المواضع التى يمكن فيها الممانعة كيف يثبت لجميع العساكر فى الفضاء!

وتمسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطئ النهر لأنّ الوقت كان مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الأحد لأحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ستّ وستّين وثلاثمائة على تعبئة ونظام وعدّة واستظهار واحتياط وصافّهُ بختيار مصافّة مضطربة وجعل الفرسان أمام الرجالة وهذا شيء ما فعله أحد قطّ ولا تجهله عوام الناس حتى لعّاب

---

١. بياض فى الاصل وفى التكملة: كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من أعمال الباسيان. (مد) وليس فى مط ما يملأ البياض الموجود فى الأصل.

الشطرنج!

فاستأمن سلار سُرخ والحسن بن خرامذ ونيباك بن شيرك وهو من أشد الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان دبيس بن عفيف رئيس بادية بنى أسد فى ميسرة بختيار فاستأمن وانهزم جيش بختيار وتبعتهم الأعراب والأكراد بالنهب والسلب والقتل والأسر [466] واستأمن تحت السيف خلق وانهزم الفلّ يطلبون الجسر الذى وصفناه فغرق أكثرهم بالمضايقة والمزاحمة.

إفلات بختيار وأخيه

وأفلت بختيار وأخوه أبو اسحاق ووزيره ابن بقية وعبروا دجيلاً واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التقوا بمطارا وكان بختيار ألقى سلاحه عن نفسه وتلثم وفيه عدة طعنات بالزوبينات فأمّا أخوه وابن بقية وجماعة من كبار قوّاده فإنّهم وردوا الحويزة نصف الليل فى نحو خمسمائة رجل وباتوا فلحق بهم تمام الألف على صورة قبيحة من الاختلاف ولما أمسوا ساروا نحو نهر الأمير ومن هناك إلى مطارا واجتمعوا مع بختيار.

وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزانته وخزانة بختيار وعُدّة كانت معه إلى المأمونية التى بإزاء سوق الأهواز وعوّل فى حفظه على بعض بنى أسد فنهب جميعه.

فأنفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقوّاده فى عدّة زواريق وآلات إلى بختيار وحمل إليه وإلى ابن بقية مالاً وثياباً وحمل المرزبان بن بختيار إلى أبيه من الأُبلّة وقد كان برز إليها مالاً وثياباً وصارت الجماعة إلى الأُبلّة فى الماء بعد أن تأثثوا وتزوّدوا إلى واسط.

وصادف بختيار وابن بقية البصرة مفتتنة بالحروب بين ربيعة ومضر[١] فإنّ مضر كانت [467] داخلة في طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأما ربيعة فأقامت على طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاغنة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن ودامت الثورة وأحرقت المحالّ وانتهبت البضائع[٢] ودخل ابن بقية إلى البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالاً وفساداً وأحرق بعض خطط المضريين وانصرف والشرّ[٣] باق.

واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة إلى واسط فيحصل بها فيفوتهم الهرب إن أرادوه فأصعدوا في الماء واخترقوا البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين في عسكره وآلاته وقبّل يد بختيار وتطاول بختيار له وعطف به إلى دار ابنه الأكبر وهو أبو محمد الحسن فأنزله فيها للوصلة بينهما ولأنّها كانت أحسن دار بالبطيحة وأنزل محمد بن بقية عليه فأقاموا عنده أضيافاً ثلاثة أيام فعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق إليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم. ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم إلى واسط.

هرب المرزبان بن بختيار

وفي هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة إلى واسط لاحقاً بأبيه في الشذاآت والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه.

---

١. روى الطبري (٢ : ٤٥٠) أنّ مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة.

٢. زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في ألف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل لعضد الدولة. (مد)

٣. في مط : والسر.

ذكر السبب في ذلك

ظهرت مضر على [468] ربيعة وضعفت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار وانخزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر إلى واسط موفوراً وحينئذ كتب وجوه البصريين إلى عضد الدولة بإنفاذ من يتسلم البصرة فأنفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخلها.

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن بقية وذمّ مشورته وندم على قبوله منه وقال:

ـ «قد كنت عملت على الانصراف عن الأهواز قبل الحرب بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فإن تمكنت من المقام بواسط أو ببغداد ولحقتنى المعونات التى أنتظرها من سائر الجهات وإلّا كان أقل ما في يدى أن أنصرف عن هذه البلاد بعسكر لم يثلم ولم ينكب فلم يتعذر علىّ أن أغلب على غيرها فابيتَ إلّا إخراجى من جميع نعمتى ومملكتى وإفساد ما بينى وبين أجلّ أهلى.»

فثبت ابن بقية وقال:

ـ «قد ينال الملوك مثل ما نالك وأعظم منه فيتماسكون وعلىّ أن أصلح أمورك وأبذل نفسى دونك ومساعدة الجند على ذلك.»

وتراجع إلى بختيار كثير من الديلم والأتراك واستدعى كراعا كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيماً وخركاهات وصار إليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامّة فصار فى عسكر قوىّ.

ووردت عليه كتب حسنويه بن الحسين الكردى يغرّه غرورا ثانيا ويعتذر إليه في [469] التأخر عنه ويعده بأن ينفذ إليه أولاده واحدا بعد آخر ثم يصير إليه بنفسه فى جميع رجاله.

وعادت المكاتبة بينه وبين فخر الدولة على بن ركن الدولة وأبى تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية إلى ذخيرة كانت له بواسط فتأثّث منها وجرى على عادته فى استمالة الجند وبذل الخلع حتى مالوا إليه وآثروه على بختيار.

ذكر بلوى بُلى بها بختيار فى تلك الحال حتى أسلم بقيّة ملكه

من عجائب ما اتفق على بختيار فى تلك الحال أنّه كان أسر له فى الوقعة بالأهواز غلام تركى يعرف ببايتكين[1] لم يكن[2] من قبل يميل إليه ولا تظهر منه محبة له فجنّ عليه جنونا وتسلى عن كل شىء خرج عن يده إلّا عنه وحدث له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار والسكون وانقطع إلى النحيب والشهيق والعويل واحتجب عن الناس إخلاداً إلى البكاء وتضجّر بالجيش وتبرّم بحضورهم واطّرح التدبير وزعم أنّ فجيعته بهذا الغلام فوق فجيعته بالمملكة والانسلاخ منها ومن النعمة. ثم إذا كان وصل إليه وزيره وكتّابه وقوّاده وخواصه فى المهمّ قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حلّ به والبوح بما فى نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه بهذا [470] الخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس فى الدست ومن استعمال التمهد بالمخادّ وما أشبه ذلك فخفّ ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم فلم يبال بذلك. وصار القوّاد يجتمعون إلى ابن بقية ويقولون:

ـ «دبّر أنت أمورنا فإنّا معك ومطيعون.»

فاستهان به ابن بقيّة واستعجزه وجاهر بذلك بعد أن كان يستره وعدل إلى

---

١. فى مط: ببابكز.

٢. فى مط: لم يتمكن، بدل «لم يكن».

الأخذ بالحزم لنفسه.

وأمّا بختيار فإنّه أسقط التجمل[١] في أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب إلى عضد الدولة والحرب قائمة بينهما وهو يطلب ملكه ونفسه يسأله ردّ هذا الغلام عليه وكتب إلى جماعة خواصه المطيفين به وبخدمته يسألهم معاونته فيما رغب فيه إليه.

فاستزاد بذلك فضيحةً في العساكر والأمصار وعاتبه الأقارب والأباعد فما ارعوى، بل تمادى. وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى رسولاً إليه في هذا الباب وبذل له على يده في فدية الغلام جاريتين عوّادتين محسنتين كانتا عنده ولم يكن لهما نظير في الحذق والبراعة وقد كان أبو تغلب ابن حمدان بذل بإحديهما مائة ألف درهم فأبى أن يبيعها. وقال له:

- «إن وقف عليه الأمر في هذا الفداء فزد أبدا ولا تفكر في شيء مما بيني وبينه فقد رضيت [471] أن آخذه وأمضي إلى أقصى الأرض وأسلّم إليه ما في يدى.»

فشخص وأدّى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقائه المأسورين يوم الوقعة ولم يُر له فضل ولا ميَز[٢] من بينهم. وأنفذوا إلى شيرزاد هدية للأمير أبي الفوارس ابن عضد الدولة. فلمّا أديت الرسالة وعرف الملك ما عند بختيار من الفجيعة به عجب كل العجب وأمر بردّ الغلام إلى حضرته فرُدّ. ثم أعاد أبا أحمد الموسوى بجواب الرسالة وضم إليه أبا سعد بهرام بن أردشير الكاتب رسولا وأعلمه أنّه مجيب له إلى ما سأل وأرشده مع ذلك إلى بعثه على الطاعة وحمّله رسائل أخر أمرهما أن يؤديها إلى بختيار سرّاً عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد.

١. وفي الأصل ومط: التحمل. وكلاهما بمعنى واحد.
٢. ميَز: الشدّة من الأصل.

فلمّا وردا امتثلا الأمر وطويا عنه ما حضرا فيه وأدّياه إلى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن بقية استيحاشا شديدا واتهم أنّه التمس القبض عليه وتسليمه إليه عوضا عن الغلام وأنّ بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهمّ بالقبض على الرسولين جميعاً ومكاشفة بختيار وأن يظهر العصيان.

وكان نازلا من واسط في الجانب الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به [472] وبختيار في الجانب الشرقي خال من ذلك كلّه وإنّما كان ابن بقية يُجرى عليه قوته ويعوله كما يعال من لا أمر له وعمل على أن يراسله باعتزال التدبير وأن يصعد إلى بغداد ويخلّى بينه وبين الحرب فإن فعل وإلّا جاهره وطرده وكان ذلك ممكناً منه لو أمضاه. فعدل بختيار إلى تلافيه والرفق به وأظهره على الرسالة المطوية عنه وسكّن[1] نفسه وطيّب قلبه وأراه أنّه راجع إلى رأيه ومتدبر بتدبيره وغير خارج عن إرادته إلى أن تمّ له القبض عليه.

ذكر السبب في قبض بختيار على ابن بقيّة

كان ابراهيم بن اسماعيل صاحب بختيار تمكن منه ووثق به صاحبه وكان تقيباً خاملا فتقدم عنده إلى أن استحجبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة إلى فارس. ولما اطّلع على الحال التي عليها ابن بقية من التنكر أعلم بختيار أنّه على خطر من وثبة يثبها عليه إشفاقا على نفسه وانتهازا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال فقال له بختيار:

ـ «إنّي أخاف شغب الجند وأن يستنقذوه من يدى ويطالبوني بالأموال.»

فتضمن له ألّا يجرى شيء من ذلك وإن جرى كان عليه أن يسكنهم

---

١. في مط أيضاً: سكّن. ما في الأصل: سكنت/ سكّن (كلمةً واحدة) بتغيير من الكاتب. والمثبت في مد: سكنت.

ويرضيهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطمعه في كثرتها وفي أن تسفر الحال في القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذاك طريقا إلى انعطافه وصلاح رأيه وأشار عليه ألّا يستوزر وزيرا بعده [473] وأن يقرّ الكتّاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعد بن ثابت[١] من محبسه فيردّ إليه استخراج الأموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة.

فقبل بختيار مشورته وأطلع بختكين آزاذرويه عليها فاستصوبها وكان في ضنك شديد حتى إنّه احتاج إلى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل إليه ثلاثين رطلا ووجد في خزانة شرابه يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدّها لسماط يتخذه للجند.

فلمّا كان وقت العصر من ذي الحجة سنة ستّ وستّين وثلاثمائة عبر ابن بقية في زبزبه إلى بختيار فوجه في الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف][٢] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير أن يصل إليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعي بقتله في الليلة المقبلة فكفاه الأجل والمقدار. ووُجد في حبس ابن بقية صاحبه المعروف بالكراعي وكان صادره ولم يُبق فيه بقية. فأطلقه بختيار وسلّم إليه ابن الراعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب إلى البطيحة.

فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بقية وطالبوا بأموالهم وعرّضوا بذكره والتأسف عليه فهمّ [474] بختيار بقتله في الوقت فلمّا تفرق الجند عنه أنفذه في الليل مقيّداً إلى بغداد موكّلا به وأخرج معه أبا العلاء

١. وزاد في مد: النصراني (بين المعقوفتين).
٢. في الأصل ومط: ابن الراعي. وما بين المعقوفتين اقتراح من مد، لتكرّر الكلمة فيما بعد.

صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لأنّ بختيار عاجله كما حكيت. ثم كتب على الاطيار إلى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج إلى أسباب ابن بقية على الرسم في خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم إلى بنى شيبان ثم إلى بنى عقيل وأقاموا فى البادية.

تمام خبر بختيار وما عمله بواسط إلى أن صاعد إلى بغداد

كان قبضه على ابن بقية قبل ردّه أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين إلى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنفذهما وأنفذ الجاريتين ليفتدى بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوى على أن يبذل جميع ملكه إن دعته إلى ذلك حاجة.

فجرت خطوب استقرت على أن سلّم الجاريتين وتسلّم(١) الغلام وتواترت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وأنّه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر أنّ نعمته قد عادت إليه وهمّ بالعود [475] إلى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة.

وجاء ابراهيم بن اسماعيل حاجبه وأشرف عليه فى اللوم والتقريع وأشار عليه أن يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه فى نحو ألف فارس ووردت كتب حسنويه بأنّه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسط على مباينة عضد الدولة.

---

١. كذا فى الأصل ومط: أن سلّم الجاريتين وتسلّم الغلام والمثبت المقترح فى مد: أن تُسلم الجاريتان ويُسلم الغلام.

فاتصل ذلك به وأنّه نقض الشرط فبادر برسله إلى أبى أحمد النقيب [العلوى] يرسم له أن يتوقف بالبصرة مع الغلام إلى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التى شرطت عليه فوردت كتب العلوى بذلك فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلمّا لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم أنّه قد رأى أن تكون الحرب ببغداد لأنّ أبا تغلب ابن حمدان صائر إليه لمعاونته وسألهما الاصعاد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأى فيه وقد كانا اطّلعا على حديث هذا الغلام فكتبا إلى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل عبد الرزاق بجَرْجَرايا رحل منصرفاً وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذمّم والحياء. وتلوّم بختيار فى طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوى وبهرام بن أردشير [476] ومعهما بايتكين فسلماه إليه فتمم المسير إلى بغداد.

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعى أظهرا التبلّح فى المطالبة بعد مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الأمانات لأهله الهاربين فكتبت وحضروا.

ابن بقيّة يطمع في الوزارة

وتجدد لابن بقية طمع فى أن يخطب الوزارة ويبذل لبختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححها من جهات كتّابه وأسبابه وذويه ومن البقايا فى النواحي وأن يردّ إلى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا إلى بختيار وأعلموه أنّه إنّما يحتال لما يبذله للخلاص وأن يتمكن من الانسلال ثم يثير الفتن التى لا تتلافى.

وفي هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بالريّ ذكر السبب في ذلك

... ... (١)

[477] ودخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة

ذكر السبب في المثلة بابن بقية وابن الراعي وسمل عيونهما

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار في تسليم ابن بقية إليه ليحمله إلى عضد الدولة ويعوضه عنه مالا من خزانته واتصل ذلك بهؤلاء القوم أعني القواد فحضروا عند بختيار وأقاموا في نفسه أنّه إن سلّمه إليه صحيحاً لم يؤمن أن يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدوٌّ من قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فتقرر الرأى على سمله وتسليمه مسمولا.

فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وستّين، وجدّ أبو اسحاق ابن معزّ الدولة في إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعي به لشيء كان في نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره [478] الناس فسمل أيضاً.

---

١. بياض في الأصل ومط أقلّ من صفحة من الأصل. هذا، وتجد ذكر نكبة أبي الفتح ابن العميد في إرشاد الأريب ٥: ٣٥٦ـ٣٥٨.

بختيار يدخل فى طاعة عضد الدولة

وترجح الرأى ببختيار بين الدخول فى طاعة عضد الدولة وبين المقام على معصيته ومحاربته وكان الرسولان مع جماعة من نصحائه يشيرون عليه بطريق السلامة ويعرّفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الأمر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة. فدخل فى الطاعة وحلف عليها وأعطى صفقة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر إلى الجانب الغربى على أن يسير إلى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقيم الخطبة له فى أى بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه آيساً منه ولحق بأبيه.

وبذل له عضد الدولة مالا جليلا على أن يقيم فى كنفه ويلقاه ثم يسير إلى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن إليه فاشترط عليه شروطاً كثيرة كان فيها ألّا ينابذ أبا تغلب ولا يعرض له إلّا بقدر الاجتياز فى أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولمقامه على العهد القديم، وأطلق لبختيار مالا وقاد إليه جمالا ودوابّ معونة له على نهضته [479] ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه إلى طاعة عضد الدولة وأنّه سِلْم غير محارب وخرج نحو الموصل.

بختيار ينقض الشرط

فأول ما نقض من شروط عضد الدولة أن اعترض على أبى تغلب ابن حمدان وعمل على لقائه ومحاربته ودفعه عن الديار.

ذكر السبب في ذلك

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلمّا صار إلى عُكْبَرا ذكّره أمر نفسه ووعده بأموال ابنى ناصر الدولة وما جمعه فى القلاع وما خلّفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم أنّه لا يلابس مملكة هى أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وأنّه يتولى حربه ويثق بمصير خلق من رجاله إليه وكذلك من إخوته وأسبابه. فعاهد حمدان على أنّه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذبّاً وحماية وحلف له بأيمان البيعة وجرت بينهما شروط والتزماها ودخلا فيها.

فلمّا صار بتكريت صار إليه عليّ بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وأنزال من قضيم وطعام وسار معه إلى الحديثة وخلا به ودعاه إلى القبض على حمدان وتسليمه إلى أبي تغلب على أن يجتمع معه وينفق أمواله ويبذل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه إلى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة.

فالتوى بختيار واضطرب وذكر أنّه لا يستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان في عنقه [480] من اليمين الغموس ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يعاوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحاق وحاجبه ابراهيم بن اسماعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه.

واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعنى أبا الحسن عليّ بن عمرو على بختيار وتسمّى بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه. واجتهد في أمر[1] حمدان وإسلامه وذلك أنّ أبا تغلب وأخته

---

١. في مط: إمرة.

المسماة جميلة كانا طالبين عنده بثأر أخيهما أبي البركات.

وأقام بختيار على الامتناع إلى أن صار أبو اسحاق إلى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الأمر بينهما على القبض على حمدان من حيث لا يدخل بختيار في ذلك لئلا يحنث في يمينه فرجع إلى الحديثة.

وعسف بختيار في المخاطبة وأعلمه أنّه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وأنّه إن ساعده صافاه وواخاه وأعاده إلى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال إلى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله.

فضعف بختيار في يده على رسمه في ضعف العزيمة ولين العريكة فقُبض على حمدان وأسلم إلى خصومه وحبس في قلعة وهرب ابنه المكنى أبا السرايا إلى عضد الدولة.

وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعه واجتهد وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفا وتعاهدا. فلمّا فرغا من الاستعداد انحدرا من الموصل وكانت عدّة أصناف [481] الرجال معهما خمسة وعشرين ألف رجل.

وبلغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً بيوم، فبرز عن مدينة السلام في جيوشه المنصورة وقدّم مقدّمته مع أبي القاسم سعد بن محمد الحاجب إلى تكريت. وكان أولئك أنفذوا إليها جيشاً مع ابراهيم بن اسماعيل حاجب بختيار فأوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً إلّا أنّه نجا إلى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه.

وفي هذا الوقت قتل ابن بقية وصلب ببغداد
ذكر الحال في ذلك

كان حمل مسمولا على ما ذكرناه إلى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية فتقدّم بأن يشهر فى العسكر على جمل ثم طولب بالمال فلم يذعن بشىء منه فطُرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضريت عليه فقتلته شر قتلة وصلب لوقته على شاطئ دجلة فى رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستّين وثلاثمائة، ثم نقل إلى الجانب الغربى فصلب بإزاء ذلك الموضع من الشرقى وبقى فيه.

وعاد الحديث إلى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع
وبين عضد الدولة بقصر الجص [482]

اتصل بعضد الدولة أنّ القوم أجمعوا على أنّ يتفرقوا بعد عبور النهر المعروف بالإسحاقى ويأخذوا فى عدّة وجوه إلى بغداد فسار بجميع عساكره إلى قصر الجصّ حتى نزل فوق الغاية التى عزموا على أن يتفرقوا منها وذلك بعد أن استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله فى جيش كثيف ببغداد والتقى القوم غداة يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدّت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على الهزيمة فمنعه أصحابه وخاف من الحصول فى الأسر أو القتل، فلمّا تحققت الهزيمة ظفر به بعض الأكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لا يعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له: ارسلان كورموش، فضربه بلتٌ وأراد أن يثنّي عليه فتعرّف إليه باسمه واستأسر له وقال:

ـ «احملني إلى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك.»

ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه إلى القرب واستأذناه فتوقف، وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقاءه فألحّ عليه أبو الوفاء وقال:

ـ «ما تنتظر به أن يعود ثالثاً وإلى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاه في بعضها [483] افرغ منه!»

وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصّر فيه لجاز.

فرفع عضد الدولة [يده] إلى عينه يمسحها من الدموع وقال:

ـ «أنتم أعلم.»

وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر إليه مع صاحب له واحتزّ رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتي عليه الموت لو ترك لحظة.

وقتل في هذه الوقعة خلق كثير من القواد والامراء ومن واساه[1] بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسماعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل. ولحقت أبا تغلب ضربة في منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل طلب تلعة بالقرب فوقف عليها وكان دبّر عسكره بأن يقفوا كراديس. فكلما حمل منها كردوس وأبلي وتعب، عاد وحمل كردوس آخر، وغرّه كثرة القوم وكان بختيار عبّى خيله تعبئة الديلم ليلقى بنفسه ويباشر الحرب وتلحقه المعونة من كل وجه فجرى الأمر على ما ذكرت.

---

١. في مط: ساواه.

أمر عجيب

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك أنّ أحد الأمراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألّا يخرج عنها ولا يسلمها إلّا بحرب وإبلاء كثير، فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهروان مع طائفة كانوا يرون رأيه. فلمّا اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدّث نفسه بالمسير إلى جهة شعبانا [484] أو طرف من الأطراف. فبلغ عضد الدولة خبره فلما بلغ إلى القرب من بغداد جرّد خلفه خيلا فلحقوه ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر كثير من أصحابه وانفضّ ذلك الجمع.

عضد الدولة يتمّم المسير إلى الموصل

فأمّا عضد الدولة فإنّه لمّا فرغ من وقعة قصر الجص تمم المسير إلى الموصل فملكها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب أنّه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر إلى العود إلى بغداد على سيرة من كان قبله. وذلك أنّ رسم الحمدانية إذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم أن ينقلوا الغلاّت والميرة وسائر الأموال والذخائر إلى قلاعهم، وينقلون الكتّاب والدواوين أيضاً إليها ويخرجون فى أصحابهم إلى حول الموصل متفرقين فى أعمالها فإذا حصل بالموصل عدوّهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيئاً غير ما عند الرعية فيضطرون إلى العلوفات والمير ويخرج من يخرج فى طلبهم وينقضّون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يعرفها الغرباء من العساكر فيأخذون بغالهم وجمالهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم، فإذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة

وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا معيناً من كاتب بلديّ[١] ولا غيره طلبوا الصلح وقاربوهم للضرورة التى ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون إلى ممالكهم.

ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتّابها الموجودين [485] ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام إلى أن صار أبو تغلب إلى الشام بعد نوائب نابته وقُتل هناك كما سنشرح أمره إن شاء الله.

خروج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب

وفي هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدّمنا ذكرهم أعنى بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة إلى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شوال سنة سبع وستّين، وبرز الطائع لله يوم الخميس لخمس خلون منه. فلمّا انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بحضرة قصر الجص عاد الطائع لله إلى منزله ببغداد وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل إلى الموصل. فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة ودخل الدار يوم الجمعة الثانى عشر.

أبو تغلب يلتمس الصلح

وترددت الرسل من أبى تغلب إلى عضد الدولة فى التماس الصلح وحمل

---

١. كذا في مط أيضاً: من كاتب بلديّ.

مال فامتنع عضد الدولة وقال:

ـ «إنّا إذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها.»

وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأنّ الموصل وديار ربيعة أحبّ إليه من العراق وأنّه ليس يبيعها أبداً.

وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لأبى محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التّناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم إلى البيع ويشترى [486] أملاكهم بأوكس الأثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا ومُلكاً.

فلما صار جميع ذلك فى قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطلب أبو تغلب وأسريت إليه السرايا فلم يمكنه المطاولة ولا أن يسير بسيرته التى حكيناها فيما تقدم. فسار إلى نصيبين وسيّر عضد الدولة خلفه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار.

كان فى جملة من انهزم معه المرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجصّ. فلمّا لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين إلى ميافارقين ثم افترقوا.

فأمّا والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والأتراك المرسومين بهم فإنّهم ساروا إلى دمشق لائذين بألفتكين المعزى[1] وهو الذى حارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه. فلمّا بلغه مسير أولاد مولاه وحرمه وأسبابه إليه تلقّاهم وقضى حقوقهم، وظنّ أنّه يتكثر بهم ويزيد فى عدته بمكانهم ويتقوى بهم، فجرى الأمر بالضد وذاك أنّه لما انهزم

١. في الأصل ومط: المغربيّ، بدل «المعزّى»، والتصحيح من مد.

من العراق إلى دمشق وتغلّب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لعساكر صاحب مصر التى جهّزها إليه واستولى استيلاء قويا وهابهُ العرب وطار اسمه هناك. فلمّا صار إليه هؤلاء المنهزمون قصدته عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التى تقدمت، فسار إليها إلى الرملة ومعه الجماعة للحرب [487] والمقارعة فحين توافت الفرقتان استأمن المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على ألفتكين وكثروه بعددهم فانهزم وقتل أبو طاهر ابن معزّ الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معزّ الدولة فى آخر الأمر. ووقع الطلب على ألفتكين فلحقه المفرج بن دغفل[١] بن الجرّاح الطائي وجاء به أسيراً.

وكان صاحب مصر عرف منه ومن الاتراك الذين معه على طول الممارسة بأساً وشدّة فأبقى عليهم وعليه وأحسن إليه واليهم واتخذهم عدّة وصاحبه ثم اشترى منه ولاءه وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم[٢].

وأمّا أبو تغلب فإنّه أقام بميّافارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له فى الأمر والنهى وسائر أخواته الباقيات وحرمه وعياله معه. فلمّا بلغه مسير أبى الوفاء إليه قدّم الحرم والعيال والأموال والسواد إلى حصن بَذْلِيس[٣] وتوجه بنفسه لاحقا بأسبابه ووصل أبو الوفاء إلى ميّافارقين وهى مغلقة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يعمل فيها الحديد وهى من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالبا أبا تغلب وانتهى أبو تغلب إلى أرزن ونزل على نهر يعرف بخُوَيْبور ثم عدل من هناك إلى ناحية

---

١. فى مط : دعقيل.

٢. ليراجع تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ ـ ٢١. (مد)

٣. كذا فى الأصل ومط وهو المثبت فى مد. وبَذْلِيس بلدة من نواحي ارمينية (مراصد الإطلاع).

الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة، فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميافارقين لمنازلتها وافتتاحها.

واتصل بعضد الدولة مخالفة [488] أبي تغلب إلى قلاعه وأخذه ما أخذ منها فنهض من الموصل بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان رجاله مستأمنين إلى عضد الدولة منهم بختكين آزاذرويه وبقايا الغلمان المعزيّة والغلمان السيفية فعاد إلى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة والعُدّة.

وسلك أبو تغلب في هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرّد عضد الدولة في أثره أبا حرب طُغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتنكب أبو تغلب الطريق وتعسف الرجوع إلى بَذْلِيس[١] وظنّ أنّه لا يتتبّع فكوتب طغان باتباعه وجُرّد أبو سعد بهرام بن أردشير في عسكر مددا له فسار خلفهُ فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بوَرد الرومي[٢] وهذا رجل تملّك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب والمنازعات بين الفريقين وكان وَرْد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد به على خصومه فانعكست الحال بأن صار أبو تغلب هو اللاجئ إليه.

واتفق لأبي تغلب أن كان مسيره في مضايق بين جبال ولحقه عسكر عضد الدولة هناك.

---

١. بَذْليس : كذا في الأصل ومد. وفي مط : تدليس.

٢. هو المعروف بالسقلاروس والملكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس وأمهما هي تلوفانو. (مد)

ذكر غلط اتّفق بجناية جناها أبو سعد بهرام على العسكر حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبى تغلب والظفر به وبمن معه [489]

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبى تغلب واشتدّ طمعهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت[1] الذى أخرجه من القلعة وأنّه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو درّ ثمين أو متاع أو عين يخفّ محمله إلّا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التى وصفت لهم أنّها محمولة من القلعة. فحمل الاتراك وفرسان العسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه متسرعين إلى غنيمة تلك الأموال فناداهم أبو سعد بهرام:

ـ «يا فتيان العسكر احفظوا تلك الصناديق فإنّها لمولانا.»

وكرر ذلك وتابعه فانكسر القوم ففتروا فى الطلب ونظر إليهم أعداؤهم منخزلين وهم لا يعرفون السبب. فحمل عليهم أبو تغلب فى عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم خلق كثير. وضُرب طغان ضربات تعطّل منها كثير من أعضائه وأفلت مع أبى سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد أن أشرفوا على الغنيمة والظفر.

وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلاثمائة

ثم إنّ أبا تغلب بعد كسره طغان وأبا سعد أمن وصار إلى حصن زياد وأقام. وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت إلى وَرْد فشغل عنه بنفسه وأنفذ إليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعا على حرب خصومه فإذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره.

---

١. أى كان هناك أموال تنطق.

ولم تسكن نفس أبى تغلب إلى أن يلقاه[١] فأنفذ [490] إليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام بحصن زياد ينتظر. فالتقى الجيشان من الروم وانهزم ورد واتصل ذلك بأبي تغلب فيئس منه وعاد إلى بلاد الإسلام ونزل بآمد شهرين إلى أن فتحت ميافارقين.

شرح الحال في ميّافارقين وفتحها

قد كنّا ذكرنا تجاوز أبى الوفاء ميافارقين طالبا لأبى تغلب فلما هرب إلى بلاد الروم وتفرّد أبو حرب طغان الحاجب بطلبه والمسير فى أثره عاد إليها فبرز إليه هَزارْمَرْد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة[٢] فعاد إلى التحصن فى المدينة.

فاقتضى الرأى عند أبي الوفاء أن كرّ إلى أرزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا فى أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون المقاربة لها حتى استغرقها وانكفأ حينئذ إلى ميافارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البردُ عليه وسقطت الثلوج فاحتمله وصبر. ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنيقات فثبت لها وقابلها بمنجنيقات مثلها ورماهم بالنار والحجارة وهو فى خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأمن أهلها ومن فيها من غلمان أبى تغلب المرتبين حتى قضى الله وفاة هَزارْمَرْد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما إليه يقال له مونس.

وكان بالبلد قاض جاهل متهور ليس [491] فيه من أدوات القضاء شيء يقال له : أبو الحسين المبارك بن ميمون، ويعرف بابن أبي ادريس. فاستولى

---

١. كذا فى الأصل ومط : يلقاه. والمثبت في مد : تلقاه.

٢. في مط : طاعة.

على تدبير أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوّعة وحملة السلاح على الثبات والمدافعة. فكاتبه أبو الوفاء ودعاه إلى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى إلّا العناد. وكان يصعد إلى برج من أبراج السور فينادى العسكر ويسمى القواد[١] وصاحب العسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ فى ذكرهم بالقبيح ويتجاوز ذلك إلى مالا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه إلى مكاتبة شيخ من ميّافارقين كان وجهَها[٢] ومطاعاً فيها يقال له: أبو الحسين أحمد بن عبيد الله.

ذكر الحيلة التى تمّت لأبى الوفاء فى فتح ميّافارقين

وجد أبو الوفاء لأبي الحسين أحمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما في ضيعة له فراسله به ورفق بالغلام ووصله ثم جعله وليجة إلى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرّاً، فنمى خبره إلى القاضى الذى ذكرناه فسعى فى الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أنّ أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمرهُ يقوى وأهل البلد يجتمعون إليه وقد ملّوا الحصار والضيق حتى استظهر بهم.

فلمّا كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ثمان وستّين وثلاثمائة ثاروا مشغبين [492] على أصحاب أبى تغلب فالتجأ مونس ومن معه إلى منازلهم وقبض أحمد بن عبيد الله على القاضى ابن أبى ادريس وعلى جميع من كان فى حصن ميّافارقين من أصحاب بختيار وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار على طريق

١. في مط: القود.
٢. كذا في الأصل: وجهها، وفي مط: وجها، والمثبت في مد: وجيهاً.

المنادمة التي تليق بمثله يعرف بابن الطبري، فساعد القاضي على سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجّه إلى مونس الحمداني يلتمس مفاتيح الباب منه ويتهدده متى أخرها وساعدته الجماعة على ذلك فأنفذها والتمس الأمان.

فكتب أحمد بن عبيد الله إلى أبي الوفاء يعرفه ما عمله ويلتمس الأمان لمونس ومن معه من الحمدانية فآمنه واستثنى بهذا القاضي وبالمعروف بابن الطبري وأنفذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب في قطعة من الجيش فدخل إلى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء إلى أهله وفرّق فيهم أموالا وتصدق على ضعفائهم بأمر عضد الدولة إياه. وحمل إلى حضرته القاضي وابن الطبري فأمر بضرب رقابهما، وقلبهما وصلبهما من السور على البرج الذى كان يظهر منه ويسيء أدبه فيه[١].

فتح آمِد

كان أبو الوفاء أنفذ إليها في أول الأمر أبا على التميمي الحاجب لافتتاحها فتعذرت[٢] عليه لحصانتها ووثاقة سورها الذى هو أشد من سور ميّافارقين، فرجع عنها ثم عاد إليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما [493] ذكرنا وظنّ أنّه يقيم فيها ويمتنع بها.

فلمّا فتحت ميّافارقين علم أنّ الجيش سائر إليه وأنّه لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأنفذ أخواته سوى جميلة مستأمنات إلى أبى الوفاء وتبيّن أصحابه ضعفه فالتاثوا عليه فهرب إلى الرحبة ومعه أخته جميلة ومن يمسه أمره من حرمه.

---

١. في مط : فيهم.

٢. في مط : فيغرب، بدل «فتعذرت».

وقعد عنه المعروف بأنجوتكين وهو من نجباء الاتراك المعروفين بالشدة والثبات في المعارك وله قوة على حمل لتٍّ له ثقيل يعجز عنه غيره وإذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الاتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين إليه. ثم تتابع الناس الذين كانوا مع أبى تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاة والأتباع. وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبى تغلب عنها سبيل أهل ميافارقين ففتحوها سلماً وطوعاً.

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد إلى الموصل ومعه الأسارى بعد أن رتّب فى الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتّب فى البلدان عمال الخراج والمعاون.

ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمِد

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقعيدى وهو من كبار الحمدانية إلى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل إلى الرحبة [494] وأقام بها على انتظار الجواب.

فورد أبو عبد الله وسلامة البَرْقَعيدى الموصل وأدّى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصّله وبذل له إقطاعا وفضلا على أن يطأ بساطه ويدخل فى ذمامه. وتبيّن أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذاك أنّه مع إحسانه إليه وتوسعته عليه منع [الناس][1] من الوصول إليه فلم يشاهد بعينه إلّا الموكلين به فقط وعرف من أخيه أنّه لا يستجيب لما دعاه إليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتعلق بعصمة باطنة اختص بها واعتقد أن

---

١. ما بين المعقوفتين هو من مط. في الأصل: منع أحداً. وهو المثبت فى مد أيضاً.

يفارق أخاه ويعود إلى حضرة عضد الدولة فمضى إليه فأعاد الجواب عليه.

فكان الأمر على ما ظنّه من مخالفة أخيه لمرسوم عضد الدولة فتوجه إلى الشام لاجئاً إلى صاحب المغرب وسار معه أخوه الحسين إلى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمُر على غير استئذان فأنفذ خلفه من يتتبعه فشعّث[١] سواده ولم يلحقه في نفسه فنجا وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة.

فتح ديار مضر

كان الوالى عليها سلامة البَرْقَعيدى فأنفذ إليه سعد الدولة وهو ابن سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب. وكان سعد الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه [495] وتعلّق منه بعصمة، فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوى النقيب إليها فسلّمها بعد حرب ودخل أهلها فى الطاعة. ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفى منها الرقّة وأعمالها خاصة وفوّض باقيها إلى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما فى يده من أطراف الشام.

فتح الرحبة

ثم فتح الرحبة فتفرّغ لفتح قلاع أبي تغلب. وهذه القلاع هى فى جانب دجلة الشرقى وهى عدّة كثيرة:

فمنها أرْدَمُشت، ومنها الشعبانى وقلعة أهرور[٢] وقلعة مليصى[٣] وقلعة

---

١. كذا في الأصل: فشعُث. وهو المثبت في مد. وفى مط: يلحق، بدل «سواده»!

٢. فى مط: أهرون.

٣. فى مط: بلنصى.

برقى.

وكانت أردمشت خاصة مملوءة بالأمتعة الفاخرة من أصناف الثياب والفرش والجواهر والصياغات والحلي وسائر أصناف العُدد. وكان أبو تغلب رتب فيها رجلا من الأكراد بينه وبينه قربى من جهة والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضمّ إليه مملوكا له كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتُم. فأنفذ إليه عضد الدولة أبا العلاء عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازلة القلعة والإحتيال في فتحها. وأنفذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب إلى الشعباني وأنفذ صاحبا لابي نصر خرشيد يَزْديار الخازن إلى أهرور، فعرف أبو العلاء حال أقارب لأبن بادويه الكردى خارج القلعة فدعاهم إلى خدمة عضد الدولة [496] ورغّبهم فيها وعرّفهم اضمحلال أمر أبي تغلب ووقوع اليأس منه. وكاتبهم عضد الدولة بمشورة أبي العلاء فرغبوا في الخدمة وصاروا على ثقة مما وُعدوا به ثم حُملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه بالقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك أنّ طاشتم كان شديد الطمع في عود صاحبه ويحب أن تظهر أمانته عنده ففعل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكّموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصلت القلعة بما فيها[1] وظهرت نجابة أبي العلاء واجتهاده وحسن تلطفه وكان قيمة ما في القلعة على ما حررناه ـ وكنت[2] فيمن أخرج إليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزانة ـ ومع ما يباع وتبقية ما يبقى في القلعة نحو عشرين ألف ألف درهم.

قال صاحب هذا الكتاب:

---

١. وفي طاشتم هذا ليراجع ما في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦ (مد).

٢. في مط : كتب.

كان عضد الدولة أمرنى أن أصير مع خواشاذه(١) الى هذه القلعة وأحضر إحصاء ما فيها ثم أتسلّم طاشتم مقيدا وأحمله على بغل بإكاف مجردا لا وطاء عليه ومعه أصحابه الذين قيدوه وسلّموا القلعة بالخلع والدواب والمراكب التى حملوا عليها وبين أيديهم البدَر والثياب التى حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتنعة التى لم تفتح بعد لينظر من فيها إلى حال طاشتُم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقين فيطمعوا فى مثلها [497] ففعلت ذلك وتحملت رسائل إلى أصحاب تلك القلاع.

وجرت أحوال يطول شرحها إلاّ أنّ جملتها أنّ القوم لما نظروا إلى هيئة طاشتُم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب، وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بأنّ هذه القلعة التى كان فيها طاشتُم فتحت. فلمّا رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبى تغلب وقوة عضد الدولة وسلّموا القلاع بعد مدة.

ورأيت أنا من طاشتُم هذا فى طريقى حصافة وإقبالا على الصلوات ودعاء كثيراً وقد كان أومن على روحه فقط فسألنى فى الطريق المعونة وحسن المحضر عند عضد الدولة. فلما عدنا(٢) إلى الموصل وفرغنا من استقراء القلاع على ما وصفت نُبتُّ عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة(٣) وعرّفتهُ سداده وأنّه يصلح لخدمته فقال:

ـ «هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب اصطناعه.»

---

١. وفى خواشاذه هذا قال ياقوت فى معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت فى كتاب بغداد تصنيف هلال بن المحسن الصابى : حدثنى خواشاذه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة (يعنى بغداد) عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان مثل شيراز. (مد)

٢. فى مط : عمدنا، بدل «عدنا».

٣. من هنا سقط من مط عدة صفحات أي إلى قوله : ولحقته نكسة فى طريقه فمات (على الصفحة [501] من الأصل.

فقلتُ: «وكيف؟»

قال: «لأنّه مانعنا ثم تقرب به إلينا غيره، فإن وقع إحسان إليه سوّينا بينه وبين من خدمّنا بالقبض عليه فخبثت نيّات من يخدمنا في أعدائنا وظنّوا أنّا لا نميّز في الاحسان بين الوليّ والعدوّ وبين المجيب والممتنع، ومع ذلك فإنّ بين أيدينا قلاعا ما فتحت بعد وإن بلغ أصحابها الممتنعين فيها إحساننا إلى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل عاقبة هذا بعد حصولهم [498] في أيدينا إن حصلوا وسلامتهم في مواضعهم إن سلموا.»

ثم قال:

ـ «ولأنّ لي فيه رأيا وهو أن أنفذه إلى صاحبه أبي تغلب فإنّه سيُموّه على صاحب مصر[1] به وبقلعته ويدّعي أنّها في يده وفيها ذخائره وثقاته وأنّ ماله في هذه القلاع يفي بمؤونته إن أمدّ بالرجال ولا تزال مخاريقه مشتبهة وجائزة هناك إلى أن يطلع عليه هذا وتتقدمه الأخبار بما جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وأنّه طريد سيوفنا وإنّما أفلت بحشاشته وليس وراءه عُدّة ولا ذخيرة ولا قلعة.»

فلمّا سمعت هذا الجواب علمت أنّه صواب في سياسة الوقت وأنّ معارضته فيه خطأ فأمسكت.

وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسييره إلى صاحبه مقيداً بحالته تلك فقلق جدّاً وراسلني يسئلني المصير إلى محبسه فصرت إليه تذمما فوجدتهُ كثير البكاء لا يستقرّ على الأرض قلقا فقلتُ:

ـ «ما شأنك؟»

فقال: «إنّ الملك كان آمنني على نفسي وأراهُ الآن قد بذلني لمن لا يُبقي

---

١. مصر: كذا في الأصل، وهو المثبت في مد.

عليّ.»

وأطال هذا المعنى وسألنى معاودة عضد الدولة ومخاطبته فى الأمان الذى معه فحملت نفسى على معاودته فلم يرجع عن رأيه الأول وقال:

ـ «إنّما آمنته على نفسه منى وألّا أصيبه بمكروه وأنا له على ذلك ولستُ أضمن ألّا يصيبه صاحبه بمكروه.»

وتبرّأ مما يجرى عليه من صاحبه وتقدم [499] بالإسراع به. فلمّا بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقّاه بمن قتله. والله أعلم بصحة ذلك إلّا أنّ موته شاع بعد زمان قليل.

ذكر ما دبّره عضد الدولة من أمر هذه الممالك وعوده إلى بغداد

خلف أبا الوفاء بالموصل لتهذيب المعاملات وترتيب العمال فى الأعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد إلى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذى القعدة سنة ثمانٍ وستّين وثلاثمائة.

وخرج الطائع لله فى تلقّيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخواصّ والعوامّ ودخل يوم الأحد لليلة خلت من ذى الحجة واجتاز فى الجانب الغربى على تعبئة من الجيش وبعد أن ضُربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذى ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمى وعبر فى يوم الاثنين له إلى داره فاستقرّ فيها.

ما أكرم به عضد الدولة من جهة الطائع لله

خرج أمر الطائع لله إلى خلفائه على الصلاة فى جوامع مدينة السلام بأن

يقيموا لعضد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب إليهم ورسم أن يضرب على بابه بالدبادب في أوقات الصلوات.

وهذان الأمران من الأمور التي بلغها عضد الدولة واختصّ بها دون من مضى من الملوك على [500] قديم الأيام وحديثها.(١)

ودخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

ومن مآثر عضد الدولة

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ لسقلاروس الرومي المعروف بوَرد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية. وكان صار إلى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا إلى عضد الدولة مستنصرا ومستنجدا وباذلا من نفسه الطاعة والمعاهدة ولما كان الملكان الأخوان اللذان بقسطنطينية عرفا ما فعله أنفذا رسولا وجيها إلى عضد الدولة لنقض ما شرع فيه وردٌ، واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان في التقرب إليه ويستبقان إلى التماس الذمام منه ولم ينصرفا إلى أن انسلخت سنة تسع وذلك ما لم يكن مثله قطّ وهو من مآثر عضد الدولة.

موت عمران بن شاهين

وفيها توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة فجأة يوم الخميس لثلث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان ركب في غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له فلما عاد إلى داره تشكّى دون ساعة وفاظت(٢) نفسه بعد أن نصبت

---

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: وقد كان معز الدولة أحب أن يضرب له الدبادب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قلت: وماذاك إلاّ لضعف أمر الخلافة. (مد)

٢. كذا في الأصل ومط، وهو لغة في فاضت.

له الأرصاد أربعين سنة وأنفقت على حروبه الحرائب وبعد أن أذلّ الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدّمهم أمامه على غصص يتجرعونها وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصّن الساحة محمى من غوائلهم ومكايدهم، فلمّا أطرَقهُ [501] الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر.

عضد الدولة يجرّد جيشاً لطلب بني شيبان

وفيها جرّد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبي القاسم على بن جعفر الواذارى وضم إليه أبا العلاء النصرانى لطلب بنى شيبان.

ذكر السبب في ذلك

كانت هذه القبيلة أعني بني شيبان مستعصين قد تعوّدوا النهب والغارة والتلصص وأعيت الحيلة فى طلبهم. وذاك أنّ لهم خيولا جيادا يعوّلون عليها فى الهرب إذا طُلبوا فكانت سراياهم تبلغ فى الليلة الواحدة ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه المسافة البعيدة وكذلك يصبحون فى مكان ويمسون منه على مثل ذلك، ولا يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم.

وكان لهم رئيس يعرف ... [1] وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها مصاهرات وأذمّة. وشهرزور هذه لم تزل ممتنعة على السلطان لا يذعن أهلها لحصانة المدينة ولأنّهم فى أنفسهم عتاة ذوو بأس وجلد.

فأراد عضد الدولة أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين أعراب بنى شيبان

١. بياض بالاصل وليس موجودا فى مط ما يملؤه.

وأكرادها. فاتفق شخوص أبي القاسم الواذاري وهو عقيب علّة طالت عليه ولحقته نكسة في طريقه فمات.[١]

وورد خبره على عضد الدولة وكاتب أبا العلاء وأقامه مقامه وأمره باستكمال الخدمة فيما توجّه له[٢]. ففعل ووفي وظهرت نجابته المعروفة منه ونهض نهوضا كفى المهم به وشفي الصدور. ولما وصل إلى شهرزور وعسكر علي [502] ظاهرها فتحت له فدخلها في عدة يسيرة على موادعة لأهلها وقبول الطاعة منهم ولم يكن القصد الأول إليهم ولا المراد بلدهم. فهرب بنو شيبان في البرّ مصعدين إلى نواحي الزوابي على رسمهم في الإجفال إذا طلبوا.

ذكر ما دبّره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفر بهم

سار أبو العلاء إلى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الحيل والمكايد والمكاتبات المتصلة بضروب من الإستمالة والرفق والإطماع حتى سكنوا إليه وأنسوا به ولم يعجل مع ذلك حتى قربوا بأحيائهم منه فأسرى حينئذ إليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة أتت على نفوسهم وأموالهم وذراريّهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى وثمانمائة رجل من الأسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم.

فدخل بغداد يوم الخميس لثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الأسارى على الجمال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لاربع عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمَطابق وتفرق أولئك الذين نجوا منهم في الاطراف

---

١. نهاية ما سقط من مط.

٢. كذا في الأصل ومط مع شيء من الغموض في الأصل، ولذلك أُثبت في مد: توخّاه.

البعيدة وطفئت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرّتهم.

القبض على نقيب الطالبيين

وفيها قبض على أبى أحمد الموسوى نقيب الطالبيين وعلى أخيه أبى عبد الله وعلى قاضي القضاة أبى محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، وأنفدوا إلى فارس وقلّد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أرباع بغداد وهم: أبو بكر محمد بن عبد الله [503] المعروف بابن صبر[١] وكان خليفته على الجانب الشرقى من حد المخرّم وإلى الطرف الاعلى منه، وأبو الحسين عبد العزيز بن أحمد الخرزى وصيّر خليفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حدّ المخرّم وإلى الطرف الأسفل، وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الأكفانى خليفته على مدينة أبى جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربى إلى طرفه الاعلى، وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العمانى خليفته على المدينة التى تعرف بالشرقية وهي على غربى دجلة الى طرفه الأسفل. وقسمت نواحى السواد على هذه الحصص بينهم.

وفى هذه السنة ورد الخبر بقتل أبى تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بالرملة
ذكر شرح الحال فى قتله وحرقه[٢]

كنا قد ذكرنا خبره في توجهه من الرحبة إلى دمشق وكان بلغه أنّ عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البوادى هناك من بنى كلاب وغيرهم بمعارضته فى مسيره وأخذه وحمله إلي حضرته. فاستوحش وعدل

---

١. في مط: بابى صرد.
٢. في مط: وحربه.

عن نهج الطريق وأوغل فى البرية فنالته مشقة عظيمة ووصل إلى دمشق من ورائها فوجد فيها من أهلها رجلا يقال له: قسّام، قد تحصن بها وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل فى ظاهرها وأنفذ كاتبه علىّ بن عمرو الى مصر يستدعى من صاحب المغرب النجدة.

ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب [504] قسام هذا ثورة، فرحل إلى موضع يقال له نُوي وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الغطريف مستأمنا إلى عضد الدولة وعيّد عيد الفطر بنوى.

وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بأنّ صاحب المغرب تقبله ووعدهُ بكل ما أحبّه وأنّه التمس منه أن يسير إليه زائرا. فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما. فرحل عن نُوى إلى منزل يقال له: كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمنا إلى عضد الدولة.

وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجوه غلمانه يقال له: الفضل، إلى دمشق ليحتال على قسام ويفتتح البلاد. فصار الى طبرية وقرُب من أبى تغلب وتراسلا فى الاجتماع فسار الفضل إليه وتلقّاه أبو تغلب وتفاوضا فى الموكب ووعده عن صاحب المغرب بكلّ ما أحبّ وبذل له أبو تغلب المسير معه إلى دمشق لفتحها.

فكره ذلك للنفرة التى كانت جرت بينه وبين قسام لئلا يوحشه وكان يسلك فى أمره اللطف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فافترقا وعاد كل واحد منهما إلى موضعه.

ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتمّ له ما قدّره فيها.

وكان بالرملة دغفل بن المفرّج بن الجرّاح الطائى وهو رجل بدوى استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير أن يتصرف على

أحكامها واستفحل أمرهُ وكثرت البوادى معه، فسار إلى أحياء عُقيل المقيمة بالشام ليواقعها [505] ويخرجها عن تلك البلاد، فلجأت إلى أبى تغلب وسألته نصرتها ومتّت إليه بالرحم النزارية وكتب ابن الجراح إليه يسأله ألّا يفعل ذلك ومتّ إليه بالحِلف الذى وقع قديما فى الجاهلية بين ربيعة واليمن، فتوسط بين الجهتين على التكافّ إلى أن يرجع الى صاحب المغرب ويمتثل ما يرد منه فى الأمر الذى شجر بينهما.

ورحل فنزل فى جوار عُقيل على أنّه مانع لها المسير والإبتداء بالشرّ فأوحش ذلك ابن الجرّاح والفضل صاحب[١] صاحب المغرب وخافاه وظنا أنّ اجتماعه مع بني عقيل لتدبير على أعمالهم. فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل إلى الرملة.

وضجر أبو تغلب من طول مقامه[٢]، واتصل[٣] كُتب كاتبه إليه بالتسويف والتعليل فسار الى الرملة مع احياء عُقيل[٤] وذلك فى المحرم سنة ٣٦٩ فهرب ابن الجراح والفضل من بين يديه حتى[٥] بعُدَ، وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولاته.

وجمع أيضاً ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة واستأمن الى أبى تغلب ممن كان معهما اسختكين التركى المغربى وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيدية والمغاربة وعطف إليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقعت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين لليلة خلت

---

١. لا تكرار في مط.
٢. مقامه. كذا فى الأصل ومط. والمثبت فى مد : مقيل، وهومخالف للأصل.
٣. فى الأصل : اتصال. وهو المثبت فى مد. وما أثبتناه هو من مط.
٤. كذا في الأصل ومط. والمثبت فى مد: عقلتي!
٥. والمثبت فى مد : حتها!

من صفر [506] سنة تسع وستّين وثلاثمائة.

فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهزمت، فضعف[١] أمر أبى تغلب وفارقه اسختكين المغربى طالبا العراق ومستأمنا الى عضد الدولة، وعاد باقى المستأمنة من المضَرّيين الى الفضل والى ابن الجرّاح ولم يبق مع أبى تغلب إلّا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانه الحمدانية فانهزم وانهزموا ولحقهم الطلب فثنوا وجوههم يحامون عن نفوسهم بالمكافحة والمجالدة. فضرب بعض الصعاليك أبا تغلب على رأسه، وعرقب آخر، فرسه، فسقط إلى الأرض وبادر إليه ابن عم لابن الجراح يقال له: مشيّع الطائى، وقتل بعض غلمانه وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب فى عشيّته[٢] تلك في يد ابن الجراح فبكّر مرتحلا بأحيائه وعسكره وسيّره بين يديه على ناقة وقد شدّ رجليه بسلسلة إلى بطنها واعتقد أن يأتى عليه ولا يبقى.

فبلغ ذلك الفضل فبكر ليأخذه من يد أبى الجراح فألفاه قد سار فاتبعه. فلمّا قرب خلف ابن الجراح أن يتسلمه منه ويصير به الى مصر فيجرى معه مجري ألفتكين في اصطناع صاحب المغرب له واستصحابه إياه وقد وترهُ بالحرب والأسر وأناخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتيلا وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه، لأنّه كان ضرب يد ابن له عند ممانعته عن نفسه فأطنّها. ولحق الفضل وقد قضى الأمر فأخذ رأسه وأنفذه إلى مصر ثم صلّب جثته ثم أحرقت.

وقد كان خلّف أخته جميلة وزوجته وهي بنت سيف الدولة [507] فى أحياء بنى عقيل. فلما قُتل حملوهما[٣] مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد

---

١. فى الأصل: فضعفت.

٢. والمثبت فى مد: عشية. ولذلك زاد «الليلة» بعد «تلك».

٣. فى الأصل ومط: حملوها.

الدولة أخته اليه وأنفذ جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعدل بها من عانة الى الموصل وسُلّمت الى أبي الوفاء فكانت في يده الى أن انحدر الى بغداد فحدرها معه وحصلت معتقلة في الدار في بعض حُجَرها مع جوارى عضد الدولة ونسائه.

ذكر تلافي بغداد بالعمارة بعد الخراب بأمر عضد الدولة

وفي هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلّة قد أحرق بعضها وخُرب البعض فهي تلّ.

المساجد الجامعة

وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا في نهاية الخراب فأنفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على إحكام وشيّدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بإدرار أرزاق قُوّامها ومؤذنيها والائمة والقرّاء فيها وإقامة الجرايات لمن يأوى إليها من الغرباء والضعفاء. وكان ذلك كله مهملا لا يُفكّر فيه.

مساجد الأرباض والعقارات

ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الارباض المختلفة وأعاد وقوفها وعوّل في هذه المصالح على عمّال ثقات أشرف عليها نقيب العلويّين.

ثم الزم أرباب العقارات التي احترقت ودثّرت في أيام الفتنة أن يعيدوها إلى أفضل أحوالها في العمارة وفي الحسن والزينة. فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله لِيُرتجع منه عند الميسرة ومن لم يوثَق منه بذلك أو

كان غائباً أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج إليه فعمرت بغداد [508] وعادت كأحسن ما كانت.

الدور والقصور

ثم وقع التتبع على الدور والمساكن التي على جانبي دجلة فبنيت مسنّياتها[١] وجددت رواشنها[٢] بعد أن كان الخراب شاملا لها وتقدم إلى من سمّيت له دار على الشط من كبار الأولياء والحاشية أن يجتهد في عمارتها وتحسينها.

سبب خراب الدور والقصور

وكان السبب في خراب هذه الدور والقصور على الشطّ أنّ بختيار كان نقض دار أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي التي كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد في الاتساع والحسن، وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجربة مملوأ بالنخل والأشجار والرياحين والأنوار وطرائف الغروس الغريبة وأنشأ فيها المجالس البهيّة والمساكن الفسيحة، فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الأنقاض فهدم المنازل الجليلة التي لا يمكن أو يصعب إعادتها.

---

١. كذا في الأصل : مسنّياتها. والمثبت في مد : مسناتها. في مد : مسبياتها. والمُسنّاة : ما يبنى في وجه السيل.

٢. والمفرد : الرّوشن : الكوّة. (فارسيّ) وربما يريد هنا الرَّشن : الفرضة اى الثلمة التي ينحدر منها الماء.

رفع سنّة الإخراب وبيع الأنقاض

فأمر عضد الدولة برفع سنّة الإخراب وبيع الأنقاض وإعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد. ففعل ذلك فامتلأت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد أن كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار وجلبت اليها الغروس من فارس وسائر البلاد.

الأنهار والقناطر

وكان ببغداد أنهار كثيرة مثل نهر العبارة ونهر مسجد الأنباريين ونهر البزّازين ونهر الزجاج[١] ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة [509] والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحربية يأخذ من الدجيل وكان منها مرافق للناس لسقي البساتين ولشرب الشفة في الأطراف البعيدة من دجلة. فاندفنت مجاريها وعفت رسومها ونشأ قرن بعد قرن من الناس لا يعرفونها واضطرّ الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكلفوا حمل الماء من دجلة في المسافة الطويلة، فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها الكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل أمرها وقلّ الفكر فيها، فربما انقطعت بها السبل أصلا وربما عمرتها الرعية عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والتزجية[٢] فلم تكن تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت

---

١. كذا في الأصل: الزجاج. في مط ومد: الدجاج.

٢. كذا في الأصل ومط: التزجية: دفع الأيّام. والمثبت في مط: الترجبة: نصب ما يدعم النخلة الضعيفة.

كلها جديدة وثيقة وعملت عملا محكما.

جسر بغداد

وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد فإنّه كان لا يجتاز عليه إلّا المخاطر بنفسه لاسيّما الراكب، لشدة ضيقه وضعفه وتزاحم الناس عليه. فاختيرت له السفن الكبار المتقنة وعرّض حتى صار كالشوارع الفسيحة وحُصّن بالدرابزينات ووكّل به الحفظة والحرّاس.

مصالح السواد

فأما مصالح السواد فإنّها قُلّدت الأمناء ووقع الإبتداء بذلك فى السنة المتقدمة لهذه التي نحن فى ذكرها، فغلبت الزيادات وجمعت العدد من القصب والتراب وأصناف الآلات [510] وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار والمفايض والآجرّ والنورة والجصّ وطولب الرعية بالعمارة مطالبة رفيقة واحتيط عليهم بالتتبع والإشراف وبلغ فى الحماية إلى أقصى حد ونهاية.

تأخير الخراج إلى النيروز

وأخّر افتتاح الخراج الى النيروز المعتضدى[١] وكان يؤخذ سلفا قبل إدراك الغلاّت، وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها الزيادات والتأويلات، ووُقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التعديل ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج، وزال ما كان يجرى عليهم من القبائح وضروب العسف وأقيمت لهم السوانى فى مناهل الطريق وأحفرت الآبار واستفيضت

---

١. قال صاحب كتاب العيون أنّه فى سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النوروز الذى يقع فى اليوم الحادى والعشرين من حزيران (مد).

الينابع.

حمل الكسوة إلى الكعبة

وحُملت إلى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة وأطلقت الصلات لأهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى الفاقة وأدرّت لهم الأقوات من البرّ والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالغرى والحائر ـ على ساكنيهما[1] السلام ـ وبمقابر قريش فاشترك الناس فى الزيارات والمصليات بعد عداوات كانت تنشأ بينهم الى أن يتلاعنوا وتواثقوا وخرست الألسن التى كانت تجرّ الجرائر وتشبّ النوائر بما أظلها[2] من السلطان القامع والتدبير الجامع.

رسوم للفقراء وأصناف العلماء وإفراد حجرة في داره لمفاوضات الحكماء آمنين من السفهاء

وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسابين والشعراء والنحويين والعروضيين والأطباء والمنجمين والحسّاب والمهندسين. وأفرد في دار عضد الدولة لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التى يختص بها الحجّاب، فكانوا [511] يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة، وأقيمت لهم رسوم تصل إليهم وكرامات تتصل بهم.

فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا أشتاتا ورغب الأحداث فى التأدب والشيوخ فى التأديب، وانبعثت القرائح ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة، وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت فى هذه

---

١. فى الأصل ومط : ساكنيهما. والمثبت فى مد : ساكنها.
٢. فى مط : أطلقها. أظلّه. جعله تحت ظلّه ورعايته.

الأبواب وفى غيرها من الصدقات على ذوى الحاجات من أهل الملّة، وتجاوزهم الى أهل الذمّة. وأذن للوزير نصر بن هارون فى عمارة البيع والديرة وإطلاق الأموال لفقرائهم.

الغرض من شرح هذه البركات

وكنّا بعُرض الزيادة من هذه البركات إلى أن أتى أمر الله الذى لا يدفع. وإنّما شرحناها لينظر فيها من يأتى بعدنا ويقرأها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسيرون بها لينتشر ذكرهم بالجميل ويطلع الله عزوجل على نيّاتهم فيمكّن لهم ويُحسن معونتهم.

فلولا خلال كانت فى عضد الدولة يسيرة لاأستحسن[1] ذكرها مع كثرة فضائله، لبلغ من الدنيا مناه، ورجوتُ له من الآخرة رضاه، والله ينفعه بما قدّمه من العمل الصالح ويغفر له ما وراء ذلك.

شخوص المطهر بن عبدالله عن مدينة السلام

وفى هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فأقام على منازلته والتاث عليه أمره فقتل نفسه.

ذكر شرح الحال في قتل المطهّر نفسَه

لما توفّى عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة [512] من الأعداء الكبار وقتل بختيار وأبو تغلب وملك ديارهم ورجالهم وحصل بمدينة السلام وكانت

---

١. فى مط: لاستحسن.

نفسه تنازع إلى مصر خاصّة، والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها، كره أن يجاوره النبط مستعصية ويطاوله صغار أصحاب الأطراف ومن يلوذ بالقصب والغياض والآجام ولا يستأصله فعرّض في مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطلب من يكفيه هذا الخطب، فانتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه.

وتقرر الرأى على إنفاذ المطهر فجرّد معه عسكرا فيه أصناف من الرجال وأزاح[1] علته فى السلاح والأموال والعدد والآلات وضمّ إليه أبا الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفي وكان فى هذا الوقت بها، فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها، فخلع على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للنصف من صفر واستخلف له عضد الدولة على الوزارة وتدبير الأعمال وجمع الأموال أبا الريان حمد بن محمد الاصبهانى وذلك لدربته لا لصناعته ولأنّه عرف بطول الممارسة موارد الأمور ومصادرها، وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه، وكان كالشريك لهم فيما ينفذونه من أوامره.

فلما استقر المطهر بالبريونى[2] من أعمال الجامدة شاور الناس ومحض الرأى، فتقرر الأمر على تدبير فاسد قد كان جرّبه من درج قبله مراراً فلم ينتفع به وهو إيقاع السدود على أفواه الأنهار لتنشف البطيحة التى يلجأ اليها [513] عسكر النبط وأنشأ مسنّاة يسلك عليها بالاقدام إلى نفس معاقلهم فأطلقت فى ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك فى دجلة وبطل ارتفاع الكار ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال وجاءت المدود فحملت على السدود.

وتوصل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبثقها فامتلات البطائح

---

١. فى مط : أراح.
٢. ما فى مط مهمل إلّا فى ما قبل الأخير.

بالمياه وكان المطهر إذا سدّ جانباً انثلمت عليه جوانب واذا حفظ وجها أتاه الخلل من وجوه، واتفق مع ذلك أن جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة فى الماء فلم يتمّ له ما قدّره من اصطلامه.

وكان المطهر قد ألف فيما كان باشره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يُدفع إلى مصابرة[1] قطّ ولا مطاولة. فشقّ ذلك عليه وبلغ منه وكان يتهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوى بمراسلة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطفات فى السرّ منه، وأنّه يطلعه على أسرار التدبير عليه ويهديه إلى مصالحه.

وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخشنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس فى نفسه خيفة واستشعر وحشة وتوهّم أنّ استصعاب ما استصعب عليه من هذا الأمر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وأنّ أبا الوفاء يجد مساغا للطعن عليه وإظهار معايبه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة فى المرتبة، واختار الموت على تسلط الأعداء عليه وتمكّنهم منه.

فلمّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان جلس فى مجلسه من عسكره، ودخل إليه الكتّاب والقوّاد وطبقات الناس [514] مسلّمين عليه فتقدم إليهم بالتخفيف والانصراف ونهض إلى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وأمره بأن يفصده وظنّ أنّه إذا انصرف الطبيب حلّ شداد الفصد واستنزف دمه إلى أن يتلف، وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الأدوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة. فأعلمه الطبيب أنّه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه

١. هنا زيادة فى مط مكرّرة بقدر صفحتين من صفحات الأصل.

من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكّين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعاً وأدخلها إلى باطن ثيابه فخرج نفسه في مقاتله ودخل إليه فرّاش كان يختص به فرأى دستَهُ الذي كان جالسا فيه مملوءً دما فصاح وتوافى إليه الناس فأدركوه وبه رمق وظنّوا أنّ إنسانا أوقع عليه. ثم تكلم بما بان لهم أنّه تولى ذلك من نفسه. وحفظت عليه ألفاظ يسيرة منها أنّ محمد بن عمر العلوي حمله علي ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة في هذا المعنى وغيره، ومات من ساعته وحمل الى بلده بكارزين من أعمال فارس فدفن هناك.

وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان إذ فتك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له. ونسئل الله التوفيق والعصمة والستر الجميل برحمته.

وأنفذ عضد الدولة عبيد الله بن الفضل إلى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيحة على أمر في العاجل من حمل مال وموادعة له إلى أن ينظر في أمره وكان ذلك عقيب عوده من الإيقاع ببني شيبان [515] فانحدر ووفى بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران وتسلّم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة.

أنفراد نصر بن هارون بالوزارة

وفيها انفرد(١) نصر بن هارون بالوزارة لأنّ أصل الوزارة كانت له ثم شورك بينه وبين المطهر. فلمّا مضى المطهر لسبيله وتفرد نصر بن هارون بوزارته وكان مقيما بفارس يدبّر أعمالها استخلف له عضد الدولة أبا الريان حمد بن محمد.

---

١. سقط من مط : انفرد.

حوادث أخر

وفيها ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أدّاها وكان دخوله فى شعبان وانصرافه فى ذى القعدة ورُدّ معه القاضى أبو محمد العمانى لتأدية الجواب.

وفيها توفى حسنويه بن الحسين فى قلعته المعروفة بسرماج.

القبض على محمد بن عمر العلوى وإنفاذه إلى فارس

وفيها قبض على محمد بن عمر العلوى بالبطيحة وأنفذ الى فارس وكان السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه[1] وأنفذ أبو الوفاء طاهر ابن محمد الى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل الى شىء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التى لا يظنّ بمثله أنّه يجمعها ودخلت اليد فى ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جلّ سقى الفرات بل قد تجاوز ذلك إلى غيره من أعمال السواد واصطُنع أخوه أبو الفتح أحمد ابن عمر وقلّد الحج بالناس وأقطع إقطاعا سنيّا.

وفى هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعى أسيراً وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه. [516]

شرح الحال فى الحيلة التى تمّت عليه حتى أسر وقُتل

كان هذا الرجل وضيعا ساقطا طبقته عن كل رتبة، واستخدم فى وقت فى تفرقة قضيم الكراع ولذلك عُرف بالكراعى. ثم وصل بمحمد بن بقية

١. قال ابن الصابى أنّه سمع منه كلام يفهم منه الشكاية من الشريف فقبض عليه عضد الدولة ونقله إلى فارس ودخلت اليد فى أملاكه وأسبابه (مد).

وجمعتهما عاهة النقص ومناسبة السقوط، فارتفع معه حتى قلّده خلافته بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأثرى وتموّل، وكان منه في أيام عصيان ابن بقية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم في بعض. ثم تنكّر له ابن بقية، فقبض عليه ونكبه. فلمّا قبض بختيار على ابن بقية استخدمه ولما عزم بختيار على الهرب منهزما هرب منه وصار إلى البطائح وكان هناك يجرى على سوء عادته في سوء الأدب.

فدبّر عضد الدولة تدبيرا ثم شطّره عليه ولو قبل جميعه لتمّ أيضا على صاحب البطيحة ما يُستغنى معه عن محاربة ومكافحة. وذلك أنّه ووقف[1] جماعة من أهل البصرة ووجوهها أن يخدموا عضد الدولة في مكاتبة يُوقِعونها إلى هذا الكراعي ويوهمونه أنّهم يوالونهُ ويضافرونهُ، فإذا قربوا منه أثاروا الفتنة بمواطأة من سلطان البصرة ثم سلّموا إليه البصرة حتى إذا اغترّ استدعى الحسن بن عمران ليتقوّى به فإذا صار في دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وخاشنته[2] الكمناء من أعلى وأسفل. وأخذ فبلغ به الجهل أن صدّق بهذا الوعد وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال:

ـ «لى بالبصرة أولياء وإخوان قد كاتبوني والبصرة في أيدينا.»

فاغترّ به الحسن ابن عمران [517] وخرج مع عسكره. فلمّا صاروا بمطارا ثار بهم من كان فيها من الرجال وقاتلوهم، وأخطأوا لأنّ تمام التدبير كان في أن يتركوهم حتى يُوغلوا إلى البصرة. فأقام القوم يقاتلونهم ثم ظُفر بالكراعي وانهزم الحسن ابن عمران بعد أن مُلكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله، وحُمل الكراعي إلى البصرة فشُهر وعوقب وطولب بالمال، ثم أُنفذ

---

١. في مط: وقف.

٢. كذا في الأصل: خاشنته. في مط ومد: حاشته.

إلى بغداد فشهر منصوبا على تقنق فى سفينة وعلى رأسه بُرنُس وذلك يوم الخميس لعشر ليال بقين من شعبان فلمّا كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح الى الفيلة فخبطته وصلب إلى جانب ابن بقية.

نفاذ عسكر إلى عين التمر

وفى هذه السنة نفذ عسكر إلى عين التمر فى طلب ضبّة بن محمد الأسدى ـ وقد مرّ ذكرهُ وأنّه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدماء ويُخيف السبل وينهب القرى ويبيح الأموال والفروج ـ وانتهك حرمة المشهد بالحائر فلمّا أظلّ عليه العسكر المجرّد هرب بحشاشته إلى البادية وأسلم أهله وحرمهُ فحصل أكثرهم فى الأسر ومُلكت عين التمر.

تدبير عضد الدولة للجمع بين الملك والخلافة

وفيها دبّر عضد الدولة أن يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى، ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة ألف دينار [1] وبنى الأمر فيه على أن يرزق ولداً ذكرا منها فيولّى العهد وتصير الخلافة في بيت بنى بويه ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية. [518]

مسير عضد الدولة إلى الجبل

وفى هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوّخ همذان والدينور ونهاوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردى وتدبير فخر

---

١. زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام: وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو علي (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار) الفارسى النحوى والذى خطب القاضى أبو على المحسن ابن على التنوخى. (مد)

الدولة فى قصده ومقابلته على ما كان منه فى مكاشفته والإجتهاد فى تشتيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاضدة بختيار وابن بقيّة، وقد كان أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير.

رسائل عضد الدولة

إلى مؤيّد الدولة، وإلى فخر الدولة، وإلى قابوس بن وشمكير

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمّل[١] عضد الدولة أن يكون الشيطان الذى نزغ بينه وبين اخوته قد زال. وأنفذ أبا نصر خرشيد يزديار[٢] الخازن برسائل إلى مؤيد الدولة، وإلى فخر الدولة، وإلى قابوس بن وشمكير.

أمّا إلى مؤيد الدولة فبإحماده على طاعته التي ما غيّرها ولا كدّرها.

وأمّا إلى فخر الدولة فبالمعاتبة والمداراة والزيادة فى الأخذ بالحجة.

وأمّا إلى قابوس بن وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمّة التى تعلّق بها وحفظ نعمته وترك التعرّض لما يُورطه ويُهلكه.

أجوبتهم عن تلك الرسائل

فأمّا مؤيد الدولة فإنّه أجاب جوابا سديدا وأنّه واقف على حدود طاعته وتابع له فى رضاه وغضبه.

وأمّا فخر الدولة فأجابه جواب النظير الذى لا يرى لرتبة[٣] الملك مزيّة ولا لِكبر السن وعهد الأب فضيلة ولا فى المعاودة إلى جميل الطاعة نيّة.

وأمّا قابوس فأجاب جواب المتهيّب المحجم المراقب.

---

١. فى مط : امثل.

٢. فى مط : خورشيد بن وهيار.

٣. فى مط : لزينة. بدل «لرتبة».

افتراق أولاد حسنويه

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم: أبو العلاء وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار [519] وعبد الملك.

فطائفة منهم انحازت إلى فخر الدولة مُظهرة لمشاقّة عضد الدولة، وطائفة وردت حضرته. فأمّا بختيار من بينهم فإنّه نافر إخوته وكان مقيما في قلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر، فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم ذلك إليه وذكر رغبته في الاعتصام به والدخول في كنفه ثم تلوّن ولم يف.

فتشوّف(١) عضد الدولة للمسير إلى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدّم عساكره يتلو بعضها بعضا: فجرد أبا الفتح المظفّر بن محمد الحاجب وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد، وبرز عن داره إلى المعسكر بالمصلى من الجانب الشرقي بعد أن أقرّ أبا الريان بالحضرة على جملته من خلافة الوزارة، ولكن زاد في منزلته وناط به جميع أمور المملكة، وطال مقامه بالمعسكر الذي برز إليه إلي أن أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته.

وقد كان أبو نصر خواشاذه(٢) وطّأ الأمور عند خروجه لتأدية الرسائل. فواقف القوّاد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بنيّاتهم، فإذا سار استأمنوا إليه وضمن لهم الإقطاعات السنيّة وحمل إلى بعضهم الهدايا والألطاف في السرّ. فلما سار تلقّته في طريقه البشائر بدخول جيشه همذان واستئمان العدد الكثير من قوّاد [520] فخر الدولة ورجال حسنويه وتلقّيهم رايته منحازين إليها. وتلقّاه أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير فخر الدولة

---

١. كذا في الأصل: فتشوّف. وهو المثبت في مد. في مط: تشوّق.

٢. في مط: حواساده.

ومعه جماهير حاشيته وبقية قوّاده وغلمانه فانحلّ أمر فخر الدولة واحتاج إلى مفارقة موضعه واللحاق ببلد الديلم[١]. فمضى ونزل داراً كان بناها معزّ الدولة بهوسُم، ولجأ إلى الداعى العلوى المستولي على ذلك الصقع. وعرّج عضد الدولة إلى نهاوند وافتتح قلعة سَرماج واحتوى على ما فيها، وملك غيرها من قلاع تلك البلاد، وألقت إليه الحصون مقاليدها، وأخرجت الأرض أثقالها.

ولحقته فى هذه السفرة علّة عاودته مراراً وكانت شبيها بالصرع وتبعه مرض فى الدماغ يعرف بليترغس[٢] وهو النسيان، إلّا أنّه أخفى ذلك.

ويقال: إنّ مبدأ ذلك به كان بالموصل إلّا أنّه لم يظهر أمره لأحد.

وهذا آخر ما عمله الأستاذ أبو علي أحمد بن
محمد بن يعقوب مسكويه رضى الله عنه
والحمد لله وصلواته على محمد النبى وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل
فرغ من انتساخه محمد بن علىّ بن محمد أبو طاهر البلخى فى
منتصف شهر ربيع الأول سنة ستّ وخمسمائة
نقله وقابله علىّ بن حنظلة سنة عشرين وخمسمائة
فرغ من نقله الحسن بن منصور فى مستهلّ المحرم سنة
ثمان وثلاثين حامداً لله ومصلياً على نبيه
فرغ ابنه محمد بن الحسن فى ربيع الأول سنة أثنتين وخمسين وخمسمائة

١. سقط من مط: الديلم.
٢. في مط: بليثرغس.

فهرس العناوين

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL- UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

vol.6



Soroush Press

Tehran 2000

بها: شمیز ۲۵۰۰۰ ریال
گالینگور ۳۰۰۰۰ ریال

ISBN:964 - 435 - 441 - 9 شابک: ۹ - ۴۴۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴

ISBN:964-435-331-5(7Vol.SET) شابک: ۵-۳۳۱-۴۳۵-۹۶۴(دوره ۷ جلدی)

